



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي
تحديد المفاهيم النظرية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها
تخصص: الأدب العربي و نقده

إشراف الدكتور:

لبوخ بوجملين

إعداد الطالب:

سعد بولنوار

السنة الجامعية: 2012/2011



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان
للشوقي
تحديد المفاهيم النظرية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها
تخصص: الأدب العربي و نقده

إشراف الدكتور:
لبوخ بوجملين

إعداد الطالب:
سعد بولنوار

أعضاء لجنة المناقشة :

- الدكتور : مشري بن خليفة ، أستاذ التعليم العالي / جامعة ورقلة ، رئيساً
الدكتور : لبوخ بوجملين ، أستاذ محاضر أ / جامعة ورقلة ، مشرفاً و مقرراً
الدكتور : مالكية بلقاسم ، أستاذ محاضر أ / جامعة ورقلة ، مناقشاً
الدكتور : بوداود وذناني ، أستاذ محاضر أ / جامعة الأغواط، مناقشاً
الدكتور : علي ملاحى ، أستاذ التعليم العالي / جامعة الجزائر2، مناقشاً
الدكتور : الطاهر لوصيف ، أستاذ التعليم العالي / م ج تيبازة ، مناقشاً

السنة الجامعية: 2012/2011

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة، أسأل له المغفرة ..
وإلى الوالدة الكريمة حفظها الله ..
إلى الزوجة .. وإلى روح ابني أيوب تغمده الله برحمته ..
وإلى إخوتي

مقدمة البحث

مقدمة البحث:

إننا بصدد تحليل الخطاب، و لا أخص الخطاب في عمومه و إنما أتناول نوعا يتعلق بخطاب التفسير، الموسوم بالعلمية في جانبه المعرفي، و بكونه يمثل قراءة ثانية للقرآن الكريم ، و تميزه بتعددية في متلقيه، كما أن معانيه قد استمدت ركائزها من نسق لغوي منسجم هو القرآن الكريم الذي يتسم بالسيرورة في الزمان و المكان، على نقيض من الأحاديث حول النص المقدس التي هي إجمالا ما هي إلا طبقة واحدة من طبقات القراءة، و ذلك يرجع إلى ما قد أجمع حوله العلماء و الفقهاء في أنه صالح لكل زمان و مكان، و أن القرآن خزان لا ينضب من المعاني و المقاصد .

و قد حاول أكثر من باحث و عالم ترجمة معانيه، غير أن كل المحاولات لم تستوف ما يحمله باطنه من المكامن المخبأة الجزلة المعطاءة لمن يتصيد و يبحث و يستقري عن فيضه و هو (التدبر) . و من على هذه الزاوية كثرت الاستبطانات وهي تحاول إدراك بعضه، و القراءات تستكنه سلطته، و التفاسير تستنزله للأفهام، فكثرت الأقاويل حوله كثرة كان أهمها التفسير باعتباره الإجراء الذي حاول أن يغوص إلى معنى من معانيه .

و من هذا المنطلق تراني سأحاول تناول تفسير أضواء البيان للشنقيطي بالتحليل و الكشف ، باحثا فيه عن الآليات التي استعملها المفسر في بيان المعنى القصد - حسبه - لأحدد فيما بعد المفاهيم النظرية العامة من مدونة التطبيق هذه و هي خطاب التفسير .

و قد كانت لي دوافع كثيرة ساهمت في اختياري لهذا الموضوع، لأن لأي موضوع في حقيقة الأمر دوافع و أي موضوع لا ينبع من دافع فهو خارج إطار الحاجة البشرية، إذ أنني انطلقت بمحض عدد كبير منها و بإمكانني أن أخص بعضها فيما يلي :

دوافع موضوعية :

- خطاب التفسير من المواضيع التي تشكل مدونة خصبة قل فيها الاهتمام ببحث آلياتها و إجراءاتها ، و البحوث التي تناولت هذا الجانب أغلبها يتصل بعلوم الشريعة و الفقه .

- علوم اللغة وحدها، إجرائياً، أصبحت لا تكفي وحدها لبيان المعاني و المقاصد في الخطاب القرآني من خلال خطاب التفسير، و إنما الحاجة أصبحت ملحة أيضاً إلى المفاهيم المستجدة الآن من مناهج و استراتيجيات معاصرة، سواء منها الغربية التي يوافق فحواها التراث العربي الإسلامي أو المؤصلة النابعة من موروثنا.

- تحديد المفاهيم النظرية من خلال خطاب التفسير من شأنه أن يغني الباحث بالمفاهيم النظرية الخاصة التي سيحتاجها في تحليل الخطابات الأخرى .

- و أيضاً يدفني إلى ذلك كشف الأعراف العلمية الخاصة في التفسير باعتباره علماً قائماً بذاته و هذا من خلال عينة أضواء البيان .

و ككل موضوع لا يخلو من دوافع ذاتية، فإني وجدت نفسي منقاداً لهذا النوع من الدراسة تبعاً لرغبتني الملحة و ميلي لمثل هذه الموضوعات، ذلك أن موضوع خطاب التفسير يغري الباحث من جوانب عدة، فإن تفسير (أضواء البيان) للشنقيطي يمثل، بالنسبة لي، مدونة ترقى إلى مستوى الدراسة و التمحيص لأتقدم للباحث جملة من التوجيهات المنهجية و الدعامات الإجرائية لمعالجة العديد من الإشكاليات المطروحة على مستوى قراءة النص القرآني، و عليه، تطل علينا إشكالية الموضوع ممثلة في سؤال محوري يبحث في أهم الآليات النظرية التي اعتمدها الشنقيطي في تفسيره و فهمه للنص القرآني، و كيف استقام خطابه التفسيري؟ و هو سؤال يفتح نوافذ عدة تتيح لنا الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أ - ما مفهوم الخطاب ؟ و هل هناك تعريف واحد للخطاب ؟

ب - ما مفهوم التفسير ؟ و هل يتعدد المعنى في التفسير كما أن هناك تعدد في معاني الخطابات ؟

ت - ما وجه العلاقة ما بين الخطاب و التفسير ؟

ث - ما بنية خطاب التفسير و ما سياقه الداخلي؟ و ما هي الإجراءات اللغوية النسقية المحللة؟
ج - ما هي آليات تحليل الخطاب في تفسير الشنقيطي؟ و ما إجراءات السياق الخارجي فيه؟ و أين مواطن الاتساق و الانسجام فيه؟

هذه إشكاليات و أسئلة نظرية تشكل كليات لها قابلية الانفراج عن طريق التحليل و المناقشة، و قد حاول بحثنا هذا أن يلج إلى مرافئ الإجابات، عبر منهجية محددة مكونة من تمهيد و بابين و في كل باب ثلاثة فصول، و هو ما سنتكلم عنه في هذا الصدد:

تمهيد: و عنوانه ب: (مدونة التفسير و الخطاب النقدي)، و تعرضنا فيه إلى سياق هذا البحث من الأبحاث النقدية الأخرى التي تصب في نفس الاتجاه، و ذلك بمعاينة ما أمكن معانيته من القضايا التي طرحها النقاد الذين تناولوا التفسير القرآني، باحثين عن الحثيات التي تؤطر موقعية دراستنا الراصدة للإشكاليات التي لم تستوف بحثاً، بحيث طرحنا مجموعة من القضايا، و حاولنا الإجابة عن بعض هذه الأسئلة، و قد اتبعنا المنهجية التالية في سير البحث:

الباب الأول: و عنوانه ب: (في الدراسات القرآنية و مفاهيم الخطاب و السياق) . و في هذا الباب توجد ثلاثة فصول، و بالإمكان أن ندرجها كالتالي:

1-الفصل الأول: و عنوانه : (في الدراسات القرآنية، مقارنة تصنيفية وصفية)، في هذا الفصل بالذات، تطرقنا إلى محاولة إيجاز تلك الدراسات التي تناولت القرآن الكريم، لأن تناول هذا الجانب يتيح معرفة الأبعاد الأبستمية لتنوع المجالات التي أشعها القرآن، أثناء هذا، حاولنا تكوين مفهوم للقرآن عبر مجموعة من التعاريف المتنوعة .

2-الفصل الثاني: و عنوانه : (مفاهيم الخطاب، الأصول و الحدود و الآليات)، في هذا الفصل خضنا في بيان مفاهيم الخطاب، لضرورة إدراك هذا الجانب، عبر من أسهموا في بناء قاعدة

لمصطلح الخطاب من نقاد و لغويين، عرب و عجم، لاتساع رقعة هذا المفهوم، بعد هذا تعرضنا لبعض المناهج النقدية التي عاجلت الخطاب في مختلف صوره .

3-الفصل الثالث: و عنوانه : (مفاهيم آلية السياق، المكونات الأنواع و الوظائف، يليه

تعريف بالشنقيطي)، حيث رجحنا آلية السياق عينة للدراسة، لهيمنتها الكلية على تفسير الشنقيطي، فتعرفنا على مكوناته لدى اتجاهات مختلفة، و كذلك تطرقنا إلى أنواعه بحسب مختلف المجالات، و الوظائف المنوطة به، و قد أعقبنا هذا التناول بتعريف لصاحب المدونة و هو الإمام محمد الأمين الشنقيطي، بعد ذلك قادنا البحث إلى الجانب الإجرائي، و هذا الباب ينقسم بدوره إلى ثلاثة فصول.

الباب الثاني: و عنوانه ب:(آليات السياقية في أضواء البيان، تحديد المفاهيم النظرية)، و هو يتضمن:

1-الفصل الأول، و عنوانه: (آليات السياق البنيوية و الأسلوبية)، و قد تناولنا فيه أنواعا مهمة

من السياقات في إطارها النسقي من مثل : 1-السياق الإفرادي، و فيه : -السياق الصوتي المفرد- السياق الصرفي- السياق المعجمي . 2-السياق التركيبي و فيه :- السياق الصوتي المركب- السياق النحوي و الوظيفي، ثم تناولنا السياق البلاغي و السياق الأسلوبي و سياق القراءات القرآنية .

2-الفصل الثاني، و عنوانه: (آليات السياق الدلالية)، و قد تناولنا فيه أنماطا من الآليات منها :

الاشترك - سياق التضاد - سياق المعرب -سياق التقابل الدلالي -سياق التضمن -سياق اللزوم أو الاقتضاء -السياق الإحالي -سياق الإجمال -سياق الترجيح -تخصيص العموم -سياق التناسب .

3-الفصل الثالث، و عنوانه: (آليات السياق التداولية و غير اللغوية)، و تناولنا فيه آليات تتصل

بالإستراتيجية التداولية و منها :-سياق الافتراض -سياق الإضمار -سياق الفعل الكلامي -سياق الحجاج، و آليات أخرى خارج لغوية و منها : -سياق الاستشهاد بغير القرآن -معرفة علوم القرآن (سياق الموقف) -أسباب النزول -معرفة المكّي و المدني -سياق الإعجاز .

و لتحقيق مقتضيات البحث فقد اعتمدت مجموعة من المصادر و المراجع، و بإمكاننا أن نورد بعضاً منها، فقد استوجب منا الأمر استعمال القرآن الكريم أولاً، و تفسير أضواء البيان للشنقيطي ثانياً باعتبارهما المصادر الأولى، و في المعاجم استعملنا لسان العرب لابن منظور و صحاح الجوهري و محيط الصاحب بن عباد .. الخ، و في المراجع استعملنا البرهان للزركشي و إستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري و أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية لمحمد الشاوش و نظرية الأفعال الكلامية لهاشم الطبطبائي و الحجاج في القرآن لعبد الله صولة و لسانيات النص لمحمد خطابي و دينامية النص لمحمد مفتاح و نظرية النص لحسين خمري و دلالة السياق لردة الله بن ردة الطلحي و البلاغة الجديدة لمحمد العمري و الخطاب القرآني لخالدة العموش و نظرية السياق القرآني للمثنى عبد الفتاح و أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية لأحمد عزوز .. الخ، و هذه بعض المراجع فقط إضافة إلى بعض المراجع الأجنبية و المجالات المحكمة و مواقع الأنترنت المتخصصة .

و لإتمام هذا البحث، كان لزاماً علي، تجاوز العديد من الصعوبات و المحاذير، يبقى في مقدمتها دوماً اقتناء التوثيق المتخصص و النوعي الذي يخدم الموضوع بشكل دقيق، بالإضافة إلى صعوبة المدونة، من حيث سماتها الموضوعية، التي تقوم على فهم النص القرآني، و هي فرصة كذلك لأشكر كل من ساعدني على تذليل هذه الصعاب حتى خرج هذا البحث إلى الوجود و بهذه الصورة، و أخص بالذكر هنا أستاذي الكريم المشرف على أطروحتي : لبوخ بوجملين، الذي ساعدني بتوجيهاته القيمة و قد كانت لي المعلم السديد الذي أضاء دربي في هذا البحث، و أشكر كذلك الأستاذ جلولي العيد، و الأستاذ خليفة محمد من جامعة الأغواط، و الأستاذ العيد أحمد من جامعة الجلفة، و الأستاذ شنين عزالدين مهدي، و كل من وسعهم صدري و أغفلهم قلبي ممن قدم يد المساعدة من قريب أو من بعيد، و ندعو الله أن يوفقنا و يسدد خطانا .

و الله ولي التوفيق

تمهيد

مدونة التفسير و الخطاب النقدي

المنهجية

- توطئة
- لماذا التفسير القرآني بالذات ؟
- دراسات التفسير
- التفسير و مبدأ الانسجام
- التفسير و الرؤية التداولية
- التفسير ما بين الجمالية و الفهم
- التجربة النصية لآليات التفسير و الشعر
- آلية السياق و فاعليتها على التفسير

توطئة :

يحظى تفسير القرآن الكريم بعدد الدراسات التي تناولته لاعتبارات شتى ، و يظهر من خلال المكتبة العربية أن الشق الفقهي وكذلك الجانب المتعلق بشؤون العقيدة و الشريعة قد أخذ النصيب الأوفر من هذه الدراسات، و مرد ذلك إلى حاجة الناس الملحة لفهم أمور دينهم و دنياهم منذ أن أصبح الإسلام دين البشرية إلى يومنا هذا ، و هذا الفهم يكون عن طريق التفسير و المفسر .. و بطبيعة الحال فلا بد لأي مفسر أن ينحو من قواعد و مبادئ معينة تكون منهجه في تناول ظاهرة خطاب التفسير ... و هناك دراسات و أبحاث كثيرة تناولت خطاب التفسير من وجهات نظر متعددة .. غير أن بيان الوجهة الفقهية و العقائدية لا تعيننا في حد ذاتها باعتبار الدراسة تبحث عن الآليات التي بها يحلل خطاب التفسير ، إلا ما كان في خدمة قاعدة الانطلاق الأساسية و التي هي السياق بوصفه الآلية المهيمنة في تفسير الشنقيطي .. و لكن دعنا لا نستبق قواعد البحث ، و لنقل أن ما يعيننا من هذه الدراسات و الأبحاث ما كان يتجه باتجاه الخطاب النقدي سواء على المستوى اللغوي أو غير اللغوي و نريد به التداولي .

لماذا التفسير القرآني بالذات ؟

ثم أن هناك سؤالاً مهماً ينبغي أن يطرحه منطلق هذا البحث قبل التطرق إلى قضية الدراسات ، و هو : لماذا اتجه النقاد و الباحثون إلى مدونة تفسير القرآن .. هل اتجاههم إلى هذه المدونة أملته طبيعة اهتمام البحث الخاص بكل واحد منهم .. أم أن تحليلهم لخطاب التفسير هو الغاية بذاتها لما يوجد فيه من خصائص تفرّد بها عن غيره من الخطابات ، هذه الأسئلة و غيرها من الأسئلة المتوقعة ، سنؤجل محاولة الإجابة عنها حتى نتعرض لبعض الدراسات .. و بعد تقييم الجانب التطبيقي من البحث الذي يحاول الولوج إلى مدونة من خطاب التفسير و هو تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، بعدها تكون الأجوبة التقريبية في شكل نتائج .. و هذا في خاتمة البحث .

دراسات التفسير :

و أعراف البحث، كما الواجب، يفرضان على الدارس قبل التطرق إلى أي مسألة تخص موضوع البحث ، أن نذكر بعضاً من هذه الدراسات المهمة و هي كثيرة لا يتسع المجال أن نلم بها في صفحات معدودة .. و لكن لا بأس في أن نلخص بعضاً منها و مقياسنا في ذلك عنصرين هما : الجدة و الشيوع ، و ذلك حتى نربط محاولة بحثنا هذا بسياقها من تلك الدراسات ، و أن نجعلها فضلاً على ذلك ممهدة

لما انطلقنا منه من أسئلة نظرية ، و بالتالي يكون البحث مسهما في الخطاب النقدي الذي مدونته تفسير القرآن الكريم ، و لا بأس في أن نورد بعضا من تلك الدراسات و الأبحاث التي تناولت خطاب التفسير على النحو التالي :

التفسير و مبدأ الانسجام :

لسانيات النص ل : محمد خطابي : يبحث محمد خطابي من خلال كتابه لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب - في الآليات و الوسائل و العلاقات التي تجعل من القرآن كلاً واحداً ، يقول : " سنخصص هذا الفصل للبحث في كيفية تماسك النص القرآني ..على أن ما يهمننا بالذات هو استخراج بعض الوسائل و العلاقات و الآليات التي تفتن المفسرون إلى مساهمتها في جعل النص القرآني ، آيات و سورا ، كلا واحدا موحدا رغم اختلاف أوقات نزوله و أسبابه " ¹ ، إذا هو يبحث في انسجام النص القرآني ، و يكون ذلك في اعتقاده عبر مدونة واسعة في الزمان و المكان " و على هذا الأساس اعتمدنا المؤلفات التالية :

- أبو القاسم محمود بن عمر الزخشري . الكشاف عن حقائق التأويل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، بيروت . لبنان . ط 1 . 1977 .
- محمد الرازي فخر الدين . التفسير الكبير . دار الفكر بيروت . لبنان . ط 1 . 1981 .
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . البرهان في علوم القرآن . دار الفكر . بيروت . لبنان . ط 3 . 1980 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .
- جلال الدين السيوطي . الإتقان في علوم القرآن . دار الفكر بيروت . لبنان . 1979 .
- جلال الدين السيوطي . تناسق الدرر في تناسب السور . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط 1 . 1986 (تحقيق عبد القادر أحمد عطا) .
- محمد الطاهر بن عاشور . تفسير التحرير و التنوير . الدار التونسية . تونس . 1984 . " ²

و يبدي خطابي اهتماما بالغا لمفهوم علم المناسبة ، باعتباره المؤسس الأكبر لخاصية الانسجام في النص القرآني الذي هو في نظره كالكلمة الواحدة ، إذ أن خطابي يبحث في الارتباطات

¹ محمد خطابي - لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط2 ، 2006 ، ص: 165 .

² محمد خطابي - لسانيات النص ، ص: 165 ، 166 .

الموجودة بين الآيات و السور و الكلمات ، و السؤال الذي يطرحه هو " كيف أبرز المفسرون العلاقة بين الآيات تدليلاً على تماسك النص القرآني ؟ و كيف برهن المصنفون في علوم القرآن على التماسك ؟ " ³

و يجب خطابي عن هذه الأسئلة عبر مقارنة تطبيقية في نصوص التفسير ، مارا بعدد الإجراءات و التي منها العطف بأصنافه من مثل عطف جملة على جملة ، و تعدد المعطوف عليه ، و العطف السببي ، و ينتقل إلى مفهوم الإحالة عبر الضمائر و الإشارة ، ثم إلى مفهوم التكرير وصولاً إلى موضوع الخطاب الذي يتضمن تنظيم الخطاب و تغير موضوع الخطاب ، و بعد ذلك إلى ترتيب الخطاب و إلى العلاقات و نموذجها الإجمال و التفصيل ثم يتطرق إلى المناسبة و التناسب و هذا كله في قسم علم التفسير .. و خصص قسماً ثانياً لعلوم القرآن يحتوي موضوع المناسبة ، و هو يركز على المناسبة بصورة جلية و بخاصة عند السيوطي إذ يمثلها بعلاقة الإجمال / التفصيل بين السور ، و في الاتحاد و التلازم و رد العجز على الصدر .

و يخلص إلى ما مفاده " أن الوسائل و العلاقات التي ينسجم بها الخطاب ، وفق المفسرين و المصنفين في علوم القرآن ، تنتمي إلى ثلاثة مستويات وصفية :

1 - المستوى النحوي :

- العطف .

- الإحالة .

- الإشارة .

2 - المستوى المعجمي :

- التكرير و وظيفته .

- بناء السورة على حرف أو حروف .

3 - المستوى الدلالي :

- موضوع الخطاب .

³ المرجع نفسه، ص : 168 .

-تنظيم الخطاب .

-ترتيب الخطاب .

-العلاقات :

. البيان و التفسير .

. الإجمال و التفصيل .

. العموم / الخصوص .

معنى هذا أن المفسرين و المصنفين في علوم القرآن اهتموا بالاتساق الذي يندرج تحته المستويان النحوي و المعجمي و بالانسجام الذي يندرج تحته المستوى الدلالي " 4 و يوافق الخطابي في هذا المنحى النصي في مبدأ الانسجام ، باحث مغربي آخر هو الدكتور محمد مفتاح في كتابه دينامية النص و الذي خصص بحث الانسجام للجانب المتعلق بالناسخ و المنسوخ و من استعماله لبعض مفاهيم التحليل من مثل المقصدية و المماثلة و المشابهة و نوع العلاقة وصل إلى نتائج ولعل أهمها :

- 1- دينامية الخطاب : ... و إذ إن مفهوم الدينامية ينظر إلى الخطاب في بدايته و نموه و نهايته و آليات انتظامه كما ينظر إلى الكائن الحي في صيرورة مراحل عمره من حيث تعاونها و تنافرها و تساندها و تصارعها ، فإنه يصير من المنطقي النظر إلى تناسل النص من زاويتين :
 - أولاهما : دينامية التنافي ... التناقض ، و التضاد ، و التضامن المتبادل ...
 - ثانيهما : دينامية الثبات ... اثبات الحكم و نقضه ، أو نفي بعض صفاته أو الجمع بين السلب و الإيجاب أو التكامل ...

2- شمولية الدينامية : و يرى فيها أن الرسالة القرآنية لها مقصد ووحيد جامع و هو ما يتيح مشروعية الشمولية من أوجه أن الأصوليين بينوا أن هدف الشريعة هو المحافظة على الدين ، و المتأمل لكلامهم يجد فيه هيمنة لثلاثة عناصر (الله - الرسول - الكتاب) .

3- و هذا الطرح يمكن من إبداء الكثير من الآراء التفسيرية و الفقهية و الكلامية القديمة و المعاصرة .. 5 .

⁴ السابق، ص : 205 .

وفي حين نرى أن محمد خطابي يؤسس للسانيات نص عربية محورها مدونة عربية و إسلامية ، و من بينها التفسير القرآني ، فإننا نجد باحثا آخر ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقد ابتعد عن محايثة محمد خطابي ، إلى خارج النص عبر سياقاته و مقاماته و هو يستعمل إستراتيجية تداولية ممثلة في آلية الحجاج .

التفسير و الرؤية التداولية :

الحجاج في القرآن ل : عبد الله صولة ، ينطلق هذا الباحث من خلال كتابه الحجاج في القرآن - من خلال أهم مظاهره الأسلوبية - من أسئلة عديدة من بينها : " ما الحجاج ؟ و كيف يمكن أن يكون منه شيء في القرآن ؟ ... ما المقصود بالخصائص الأسلوبية ؟ و ما هي هذه الخصائص الأسلوبية التي نروم رصد بعدها الحجاجي في القرآن دون سائر ما فيه من مظاهر لغوية و قصصية و مضمونية عامة ؟ " ⁶ ، و في بداية بحثه يحاول تحديد مفهوم الحجاج و يتوصل إلى أنه قاسم مشترك ما بين الجدل و الخطابة .. و يتتبع الخصائص الأسلوبية للحجاج أولا من خلال المفردة و الكلمة المعجمية هذا في الباب الأول و مدونته تفسير القرآن و بخاصة تفسير التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور . و في الباب الثاني يتناول التركيب في القرآن : خصائصه و وجوه الحجاج فيه ، و هذا الباب مكون من ثلاثة فصول ، فالفصل الأول يعالج قضية العدول الكمي بالزيادة داخل الجملة و أبعاده الحجاجية و يقصد به ما يدخل الجملة من زوائد فضلا على الجملة الإسنادية من توكيد أو غيره ، و فيه الأبعاد المفهومية و الاقتضائية و التوجيهية ، و الفصل الثاني يعالج العدول الكمي بالزيادة بين الجمل و أبعاده الحجاجية ، و في الفصل الثالث يتناول العدول الكمي بالنقصان .. و في الفصل الرابع العدول النوعي و يقصد به " الانتقال من طريقة في التعبير إلى طريقة أخرى مختلفة عنها " ⁷ ، و يخصص الباب الثالث لقضية الصورة في القرآن : خصائصها و وجوه الحجاج فيها ، و الفصل الأول فيه يتناول مادة الصورة سواء من المجال الحسي أو من المقومات الثقافية و الرمزية لفكر المتلقين و الفصل الثاني فيه يعالج شكل الصورة في القرآن و أبعاده الحجاجية .. و طبعاً يتكأ بحثه على نماذج تفسيرية و التفسير الرئيسي لديه تفسير الطاهر بن عاشور

⁵ محمد مفتاح - دينامية النص (تنظير و إنجاز)، المركز الثقافي العربي ، ط 03 ، المغرب ، 2006 ، ص: من 220 إلى 223 .

⁶ عبد الله صولة - الحجاج في القرآن، دار الفارابي ، ط 1 ، لبنان ، 2001 ، ص: 07 .

⁷ عبد الله صولة - الحجاج في القرآن ، ص: 423 .

التحرير و التنوير ، و يقول في آخر البحث : " إن العمل بمبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني قد وجد مجاله الأمثل في ما يسمى بـ (كتب مناسبات القرآن) و ما كان على صلة بها مثل كتب (المتشابه) و حتى كتب (الوجوه و النظائر) و غيرها .

غير أننا في هذا الكتاب غلبنا المبدأ الآخر المناهض لمبدأ الانسجام أعني المبدأ التداولي إذ كان ههنا لا البحث في مدى نحوية الخطاب القرآني بل البحث في مدى تأثيره و كتب التفسير هي سندنا في معظم الأحيان " ⁸ .

التفسير ما بين الجمالية و الفهم :

أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ و المعنى في خطاب التفسير ، ل : د . أحمد الوديني : وهذا كتاب آخر يستفيض في دراسة خطاب التفسير و نمودجه في ذلك الطبري و يقول في مقدمة كتابه : " نروم في هذا البحث تجاوز المستوى العادي للفهم : Le niveau ordinaire de compréhension . لذلك فإننا نروم في هذا البحث تجاوز المستوى العادي لفهم المعنى القرآني المرتبط بنشأة التفسير إلى مستوى آخر موصول بمرحلة نضج فيها التفسير و خرج عن نهج البحث العفوي : Méthode de recherche spontanée . إلى نهج البحث العالم : Méthode de recherche savante من خلال جهود مفسر قوي الشكيمة تحول التفسير بفضلله إلى علم فاستحال معه الفهم إلى فلسفة : Une philosophie de compréhension . إن ذلك المفسر هو محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) صاحب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) " ⁹ .

و محور اهتمام الوديني هو الطابع الفني في النص المقدس ، " إننا نطلب الفهم الأوفى لقضايا الشعر و الشعرية و الأدب و الأدبية و الجمال و الجمالية من خلال النص القرآني بحثا عن المعايير التي تحكم القول الجميل و التي سيعتمدها النقاد القدامى أصولا يحددون في ضوئها قواعد القول

⁸ المرجع نفسه : 620 .

⁹ أحمد الوديني - أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ و المعنى في خطاب التفسير، دار الكتب الوطنية، ط 1، ليبيا، 2005، ص: 05

الأدبي شعرا كان أم نثرا علما و أن النص المقدس يمثل نوعا من الكتابة التي لا تنطبق عليها قواعد أي جنس من الأجناس الأدبية و الفنية المعروفة لأنه عبارة عن مجمع لكل تلك الأجناس "10 .
و طرح من هذا القبيل يسيره الوعي بما هو واقع بين التأويل و الجمالية يقول في هذا : " إن طموحا منهجيا كهذا يغذيه وعينا بالجدلية بين الميرمينوطيقي و الجمالي ، و هذا الوعي نما لدينا من رافدين : رافد قديم يتمثل في اقتناع – أفرزته مدارستنا للمدرسة القديمة – بأن مقومات التجربة الجمالية عند العرب – و من ورائها مقومات نظريتهم الشعرية و النقدية عموما – لا يستقيم فهمها إلا في ضوء تجربتهم للفهم . فحدث الفهم L'acte de comprendre . هو السبيل إلى الحدث الشعري L'acte poétique في إطار الجدلية المستمرة بين المفهوم و الجميل . Le compréhensible et le beau و رافد حديث يتمثل في جهود منظري الجمالية في زماننا أمثال يوس و إيزر الألمانيين "11 .

أما فيما يخص سير بحثه فكل تركيزه منصب على المستوى النحوي ، منطلقا من بنية الكلمة ممثلة في الفعل و الاسم و معاني الكلمات و هذا في الفصل الأول ، أما في الفصل الثاني فيعالج قضية النظم و تنويعات المعنى سواء التركيبي أو المجازي .. و آليته في ذلك الجداول و الإحصاء ، و يخلص في الأخير إلى محاولة ضبط الخصائص العامة لرؤية العرب الجمالية في النظرية النقدية و يراها هو تتمثل في : نبذ التلبس و القول بظاهر الكلام ، و القول بمشهور الكلام عند العرب و العدول عن غير المتواتر في خطابهم ، و صحة المعنى .

التجربة النصية لآليات التفسير و الشعر :

نظرية النص – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، ل : د. حسين خمري : و قد مرت حالته البحثية بثلاث مراحل : " مرحلة التلقي ، فمرحلة التأويل ثم مرحلة التبليغ "12 ، و هو يبحث في كتابه هذا عن مفهوم قار للنص ، باعتبار أن نظرية النص بديل لنظرية الأدب في نظره و هو يقول في هذا الإطار : " و قد جاءت نظرية النص لإصلاح بعض المنظورات النقدية و

10 المرجع نفسه : 07 .

11 المرجع نفسه : 08 .

12 حسين خمري – نظرية النص، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، الجزائر ، 2007، ص : 10 .

السياقات الفلسفية التي تناولت الخطاب الأدبي و كرد فعل على التصلب المنهجي و النقد الراديكالي فتجاوزت بذلك مقولة الأجناس الأدبية التي حددت خصائصها منذ عهد أرسطو و ركزت على مفهوم النص كمقولة أدبية أساسية .

إن نسبة المناهج الحدائية قد جعلتها قابلة للمراجعة و التجاوز لأنها لا تدعي امتلاك الحقيقة النهائية بل تقدم نفسها كقراءة ، أي باعتبارها احتمال من بين احتمالات عديدة (انفتاح النص)¹³ .

ثم يربط حسين خمري ما بين النص المقدس (القرآن) و نص (التفسير) بقوله : " و في كل التفاسير يمكن أن نلاحظ انزياحا بين النص الأصلي (باعتباره لغة ذات محمولات دلالية متعددة) و نص التفسير (باعتباره لغة شارحة لمستويات اللغة الأولى) . و هذا كي لا يحصل ذوبان النص الأصلي في نصوص تفسيراته (الواحد/المتعدد) ... كما يمكن أن نقول إن نص التفسير يتخذ من النص الأصلي علة لإنتاج خطاب جديد . و يعرف المبرر **Prétexte** بأنه مجموع شروط الإنتاج التي تحيط بالعمل و تعطيه معنى .. يقترب في مفهومه من مفهوم السياق **Contexte** الذي يلعب هو أيضا دورا حاسما في تحديد شروط إنتاج النص و كذا في تلقيه و تداوله " ¹⁴ ، و يعقد خمري مقارنة ما بين النص الشعري و النص القرآني و ذلك عبر قراءات بعض الأدباء و علماء الأصول و المفسرين من مثل الباقلاني و ابن قتيبة و الزركشي و ابن رشيق . و يتناول حسين خمري بعض المحاولات التأسيسية للجهاز المفاهيمي البلاغي ممثلة في النموذج التأسيسي (الباقلاني) من خلال تفسيره إعجاز القرآن .. و يظهر فيه أن الباقلاني قد زاوج فيه بين مدونتين هما الشعر : قصائد امرؤ القيس و البحترى ، و القرآن . و ذلك بغية بيان السبق و بيان وجه الإعجاز للقرآن بمقارنته بأماط تعبيرية أخرى مثل الشعر ، و محاولة خمري في هذا التفسير تتجه إلى الطريقة التي حلل بها الباقلاني قصيدتي امرئ القيس و البحترى لملاحظة مدى التوازي في التحليل باعتبار أن الباقلاني مفسرا للقرآن .. و مدى توارد الآليات من تحليل آخر هل الآليات هي نفسها .. و يقول استنتاجا لملاحظته : " إن أهم ما نستنتجه انطلاقا من درس الباقلاني للقصيدتين هو أنه و إن كان ينطلق من فكرة أساسية مؤداها أن نظم القرآن جنس متميز و أسلوب متخصص

¹³ المرجع نفسه : 12، 13 .

¹⁴ المرجع نفسه : 85 ، 86 .

يبين جميع الأساليب ، فإنه رغم ذلك قد تطرق إلى جانب من أهم الجوانب (أدبية النص) (و هو النظام) " 15 .

آلية السياق و فاعليتها على التفسير :

نظرية السياق القرآني ، ل : الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود : كما يظهر في العنوان فإن عبد الفتاح يحاول استقصاء نظرية السياق القرآني عبر عديد المدونات التفسيرية و هو يقول في هذا الإطار : " و قد انصب بحث هذه النظرية في جانب مهم و أصيل في علم التفسير ألا و هو جانب الترجيح الدلالي - إن لم يكن هو الجانب الأهم - ، فالسياق القرآني مرجح دلالي كما أن الرواية الصحيحة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مرجح دلالي ، فكان تركيز النظرية على هذا الجانب باعتباره الركن الركين ، و الأساس القويم للسياق القرآني ، فوظيفة السياق الأولى ، بيان المعنى الراجح من المرجوح ، فقد ازدحمت كتب التفسير بأقوال شتى، منها المحتمل و منها غير المحتمل ، منها الراجح و منها المرجوح ، فكان لا بد أن يأخذ السياق موقعه و دوره في بيان الراجح من المرجوح ، ليقبل من تلك الأقوال المتكاثرة التي حشيت بها كتب التفسير "16 ، و يقف عبد الفتاح و قفات مع المفسرين قراءة و نقدا من أمثال الشوكاني و السيوطي و الشاطبي و الرازي و الألوسي و الزخشري و الطبري و الفراء و القرطبي و الطاهر بن عاشور و الشيرازي و القاسمي و ابن كثير و أبو زهرة .. و هذا حتى يخرج باستنتاج مهم و هو أن المفسرين لم يأخذوا بآلية السياق في تحليلهم للخطاب القرآني و مرد ذلك إلى : 17

1- سبب فكري كتعصب المفسر لمذهبه و تمسكه برأي المذهب دون أن يلتفت للسياق القرآني .

2- سبب نقلي كإعمال الروايات الضعيفة ، أو الصحيحة التي لا تعلق لها بالسياق .

3- سبب سلبى كعدم الالتفات للسياق القرآني .

و لا ندري لماذا لم يتنبه الدكتور عبد الفتاح لوجود تفسير مهم للغاية آليته الوحيدة هي السياق ، و هو تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ، فلم يأت بأي إشارة تشير إلى هذا

15 السابق، ص : 360 .

16 المثنى عبد الفتاح محمود - نظرية السياق القرآني ، دار وائل للنشر ، ط 1 ، الأردن ، 2008 ، ص : 07 .

17 المرجع نفسه : 06 .

الكتاب لا من قريب و لا من بعيد .. و رغم هذا فقد توصل الباحث إلى بعض النتائج المهمة بالإمكان إيجازها على النحو التالي :¹⁸

- 1- السياق القرآني هو : " تتابع المعاني و انتظامها في سلك الألفاظ القرآنية ...
- 2- السياق القرآني مصطلح قائم بذاته يحمل معنى واضحا ...
- 3- يعد السياق القرآني أحد أعمدة الترجيح الأساسية في منهجية المفسر ...
- 4- السياق القرآني هو امتداد للقول بأن القرآن ترتيبه توقيف من الله ...
- 5- يضبط السياق القرآني فهم المتلقي ...
- 6- احتكم المفسرون عموما للسياق القرآني ...
- 7- للسياق القرآني فوائد عدة .. توجيهه المتشابه .. التنوع الدلالي .. الترجيح الدلالي .. دفع شبهة التكرار المعنوي .. نقد الروايات .. تخصيص العام .. دفع الأوهام ..
- 8- خرجت طائفة من المفسرين عن السياق القرآني ...
- 9- السياق القرآني هو الطريق القويم و الشرعة الصحيحة .

و هكذا هي الاتجاهات التي تناولت التفسير في عمومها ، تناولنا بعضها على سبيل التمثيل فقط و ليس على سبيل الحصر .. و هي اتجاهات تبدو متضاربة و ليست متماثلة في منطلقاتها أو في نتائجها أو في طريقة تناول و المقصود منهجية البحث ، و هذا كله يرجع لطبيعة البحث في حد ذاته .. و يرجع أيضا لطبيعة اهتمام الباحث ، مع أنه يوجد دراسات غير هذه الدراسات اهتمت بنفس المدونة (أضواء البيان) و هي موضوع رسالة تخرج في المملكة الأردنية بعنوان : دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان لصاحبها : أحمد لافي فلاح المطيري .. و قد وقعت بين أيدينا نسخة مصورة إلكترونية منها بصيغة pdf ، و هذا لما انتهينا من إعداد البحث كلية ، مع أننا بحثنا عنها قبل أن نباشر العمل ، و الذي وجدناه أن الوجهة التي كانت تقود المطيري هي وجهة أخرى غير وجهتنا ، فتخصصه في التفسير جعله يتناول ما يتصل بعلم القرآن دون التركيز أكثر على الجانب اللغوي، أما تناولنا يسعى إلى بحث السياقات اللغوية و غير اللغوية . و هناك دراسة أخرى أيضا بعنوان : السياق القرآني و أثره في التفسير من خلال تفسير ابن كثير، لصاحبها عبد

¹⁸ السابق، ص : 397 ، 398 .

الرحمان عبد الله المطيري، في جامعة أم القرى بالسعودية و هي تركز تركيزا كليا على بعض سياقات علوم القرآن فقط، فلا نجد ذكرا للسياقات اللغوية ، و هذا راجع إلى تخصصه في علوم التفسير أيضا .

و لكن السؤال المطروح هو : هل بإمكاننا أن نعتبر الدراسات الآنفة الذكر مولدة لآليات معينة مستخرجة من الخطاب القرآني ؟ هل هناك آليات في تلك التفاسير تصلح لتحليل جميع الخطابات ؟

لا يمكننا أن نجيب عن هذه الأسئلة بسهولة و يسر اكتفاء بما هو موجود في الأبحاث التي سبقت ، و ذلك حتى يتوصل بحثنا لنتائج من خلال ولوجه لمدونة تفسير الشنقيطي ، و لكن دعنا قبل ذلك أن نتعرف على ما هو سائد و مشهور من الدراسات القرآنية و كذلك على بعض المفاهيم التي تخص الخطاب و بعض المفاهيم التي تخص آلية السياق و هذا كله في الباب الأول .

الباب الأول

في الدراسات القرآنية ومفاهيم الخطاب و السياق

الفصل الأول

(الدراسات القرآنية، مقارنة تصنيفية وصفية)

- توطئة
- محاولة لتحديد مفهوم القرآن
- التفسير في اللغة و الاصطلاح
- الدراسات القرآنية
- خطاب التفسير
- التأصيل العلمي من خلال القرآن الكريم
- دراسات الإعجاز القرآني
- الدراسات الفكرية و التأملية
- ملاحظات في الدراسات القرآنية

1- توطئة :

تتنوع الدراسات القرآنية تنوعا ملحوظا ، آخذة في اعتبارها مقتضيات وجهة التناول و كذلك من حيث مقررات المنطلق التي اتخذتها الدراسة القرآنية أرضية لها .. و سبب هذا التباين راجع إلى طبيعة المدونة التي هي القرآن ، و هو راجع كذلك لطبيعة و خصوصية الاتجاه الذي يتبناه الدارس للظاهرة

القرآنية ، فيطرح السؤالان التاليان فنقول : ما هو القرآن ؟ و ما هي اتجاهات و مذاهب الدراسات القرآنية ؟

نبدأ بمحاولة الإجابة عن السؤال الأول :

أخذ القرآن الكثير من التعريفات التي تحاول تكوين مفهوم محدد له ، و هذه التعريفات تعريفات لغوية و تعريفات اصطلاحية في جانبها الآخر ، غرضها بيان المعنى الحرفي الذي اشتق منه لفظ القرآن و ما يرادف معناه الحرفي ، و التعريفات الاصطلاحية تحاول أن تكون جامعة مانعة ، و ذلك بضبط حد المصطلح بما يشمل مصدره ، و بنيته الحملية ، و خصائصه التي تميزه ، و غرضه الذي جاء من أجله و البداية تكون من المعنى الحرفي من خلال المعاجم .

2- محاولة لتحديد مفهوم القرآن :

القرآن لغة :

وردت لفظة القرء في كتاب العين للخليل بن أحمد بمعنى القرآن يقول : " قرء: وقُرأت القرآن عن ظهر قلبٍ أو نظرت فيه، هكذا يقال ولا يقال: قرأت إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث .وقرأ فلان قرأه حسنة ، فالقرآن مقروءٌ ، وأنا قارئٌ . ورجل قارئٌ عابد ناسك وفعله التَّقِي والقراءة " 19 .

و ورد لفظ القرآن في صحاح الجوهري بمعنى الجمع و القراءة " و قرأت الشيء قرآنا ، جمعه و ضمنت بعضه إلى بعض ، و منهم قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، و قرأت الكتاب قراءة و قرآنا ، و منه سمي القرآن ، و قال أبو عبيدة : سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها ، و قوله تعالى : ﴿إن علينا جمعه و قرآنه﴾ (القيامة:17) ، أي جمعه و قراءته ، ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ (القيامة:18) ، أي قراءته ، قال ابن العباس و أفراك السلام بمعنى . و أقرأه القرآن فهو مقرئ " 20 .

¹⁹ الخليل بن أحمد الفراهيدي - كتاب العين، ج5، مادة : قرء ، مؤسسة دار الهجرة، ط02، إيران، 1409 هـ ، ص :204 .

²⁰ إسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، مادة : قرأ ، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2009 ، ص:924 .

في قاموس المحيط للفيروزآبادي : " القرآن التنزيل . قرأه ، و قرأ - به ، كصره و منعه ، قرأ و قراءة و قرآنا ، فهو قارئ من قرأة و قراء ، و قارئين : تلاه ، كاقترأه ، و أقرأته أنا. و صحيفة مقروءة و مقروءة و مقرية . و قارأه مقارأة و قراء : دارسه " 21 ، فنلاحظ أن الفيروزآبادي ينتصر للمرادف القراءة أيضا . و جاء أيضا على معنى القراءة و الجمع في لسان العرب لابن منظور ، يقول : " قرأ: القرآن: التنزيل العزيز، وإنما قَدَّمَ على ما هو أَبَسُّ منه لشرفه . قَرَأَهُ يَ قَرُوهُ وَيَقْرُوهُ الأَخيرة عن الزجاج، وَقَرِءَ لِرَاءَ ةَ وقرآناً، الأولى عن اللحياني، فهو قَرِءٌ."

أبو إسحق النحوي: يُسَمَّى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كتاباً وقرآناً وقرآناً ، ومعنى القرآن معنى الجمع ، وسمى قرآناً لأنه يجمع السُّور ، فيَضُمُّها. وقوله تعالى : ﴿لَنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ، أي وَهَجْرَاءَ تَه ، ﴿إِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ، فَأَجْمَاءَ تَه . قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا بيَّناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيَّناه لك ، فأما قوله :

هُنَّ الْحَرَاءُ، لَا رَبَّنَا تُحْمَرُ ، سُودُ الْمَحَاجِرِ، لَا يَ قَرَّانَ بِالسُّورِ

فإنه أراد لا يقرآن السُّور ، فزاد الباء كقراءة من قرأ : ﴿تَنبِتُ بِالذُّهْنِ﴾ وقراءة من قرأ: ﴿كَادُ سَقَى رَقِيهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ، أي تَنبِتُ الذُّهْنَ وَيَذْهَبُ الْأَبْصَارَ . وقرأت الشيء قرآناً : جمعه وضممت بعضه إلى بعض . ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، وما قرأت حديناً قط ، أي لم يضطم رمها على ولد ، وأنشد : هجان الدين لم تقرأ جنيها ، وقال : قال أكثر الناس معناه لم تجمع جنيهاً أي لم يضطم رمها على الجنين. قال ، وفيه قول آخر: لم تقرأ جنيهاً أي لم تلمقه . ومعنى قرأت القرآن : لفظت به مجروحاً أي ألقيته . وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول: القرآن اسم ، وليس بمهموز . ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن ، كما تقول إذا قرأت القرآن. قال وقال إسماعيل : قرأت على شل ، وأخبر شل أنه قرأ على عبد الله بن كثير ، وأخبر عبد الله أنه قرأ على مجاهد ، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس رضي الله عنهما ، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي ، وقرأني على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: كان أبو عمرو بن العلاء لا يهزم القرآن ،

21 مجد الدين بن محمد الفيروزآبادي - القاموس المحيط، مادة: قرأ ، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2008 ، ص: 1298 .

وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير . وفي الحديث : أَقْرَأَكُمْ أَبِي . قال ابن الأثير : قيل أراد من جماعة مخصوصين ، أو في وقت من الأوقات ، فإد غيرهِ كان أقراً منه . قال : ويجوز أن يريد به أكثرهماءة ، ويجوز أن يكون عاماً وأنه أقرأ الصحابة أي اتقنوا القرآن وأحفظ . ورجل قارئ من قوم قراء وقراءة وقارئ بين .

وأقرب يد قرئه إقراء . ومنه قيل : فلان المقرئ . قال سيويه : قرأ واقتراً ، بمعنى ، بمنزلة علا رزاه واستعلاه . وصحيفة هوءة ، لا يجيز الكسائي والقرنجر ذلك ، وهو القياس . وحكى أبو زيد : صحيفة هوءة ، وهو نادر إلا في لغة من قال قرئت . وقرأت الكتائبة وقراً ، ومنه سمي القرآن . وأقرأه القرآن ، فهو هوءة . وقال ابن الأثير : تكرر في الحديث ذكر القراءاة والاقتراء والقارئ والقرآن ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعه فقد قرأته . وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض ، وهو مصدر كالعفران والكفران " 22 .

هذه كلها تعاريف لغوية مستقاة من المعاجم العربية المعهودة ، و الملاحظ فيها أن أغلبها يريد بالقرآن معنى القراءة و بعضها يضيف معنى الجمع الذي هو ضم الشيء للشيء إلى معنى القراءة ، و لكن المعنى اللغوي للفظه غير كاف للنظر في حد المصطلح على الصورة التحديدية الدقيقة ، لذلك فإننا سنلجأ إلى المعنى الاصطلاحي .. و لكن هناك اختلافاً بيناً و واضحاً في المعاني الاصطلاحية لكلمة القرآن ، و هذه التباينات مرجعها إلى الأصول التي ينطلق منها كل فقيه أو مفسر أو باحث - و هي التي ستكون المحدد في التناول الوصفي التصنيفي - و سنتناول عددا من هذه التعاريف الاصطلاحية على النحو التالي :

القرآن اصطلاحاً :

و القرآن كما هو مصطلح عليه بين العلماء و الفقهاء و القراء سهل القراءة و المذاكرة ، و له أسماء يسمى بها " قال الله تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ القمر : 17 ، 22 ، 32 ، 40 . وسمى الله تعالى القرآن كريماً فقال تعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ وسماه حكيماً ، فقال تعالى : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ يس : 1 ، وسماه مجيداً فقال تعالى : ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ ق : 1 . أنزله الله تعالى على سيد الأنام وخاتم الأنبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، فكان من أعظم معجزاته أن

²² ابن منظور الإفريقي - لسان العرب، مادة : قرأ ، دار المعارف ، در ط ، القاهرة ، 1981 ، ص : 3563 .

أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الإتيان بآية من مثله، قال تعالى: ﴿ قل فأتوا بسورة من مثله ﴾ البقرة: 23 ، وقال تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الإسراء: 88 ، فهو النور المبين والحق المستبين لا شيء أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من إفادته ولا ألد من تلاوته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القرآن فيه خبر من قبلكم ونبا من بعدكم وحكم ما بينكم. وقال أيضاً: أصغر البيوت بيت صغر من كتاب الله تعالى . وقال الشعبي: الذي يقرأ القرآن إنما يحدث عن ربه عز وجل " 23 .

و الرسول الأعظم و النبي الكريم محمد عليه الصلاة و السلام يقول فيه : " عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد فأتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشرة حسنات ، أما إني لا أقول ألم حرف ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وإن أصغر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله . وقال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مآدبة ... وروى البخاري عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ... وقال البخاري : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة " 24

أسماء القرآن الكريم وصفاته :

1. القرآن : في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ لِقُرْءٍ أَنْ كَرِيمٍ ﴾ (سورة الواقعة : الآية : 77).
2. الكتاب: في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة البقرة: الآية الأولى) .
3. الذكر : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ ﴾ (سورة الحجر: الآية 9) .

²³ شهاب الدين أحمد الأبيهي - المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة محمود توفيق، درط، مصر، 1933 ، ص: 17 .

²⁴ محمد بن أحمد القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، ج 1، دار إحياء التراث ، ط 2 ، لبنان ، 1985، ص: 5 و 6 .

4. الفرقان : في قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ (سورة الفرقان : الآية الأولى).

5. النور: في قوله تعالى : ﴿ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنزِلَ ﴾ (سورة النور : الآية 8) .

و من أسمائه الواردة في القرآن نفسه : بشرى (البقرة /97) ، علم (البقرة/145) ، العروة الوثقى (البقرة/256) ، حق (آل عمران/62) ، جبل الله (آل عمران/103) ، بيان للناس (آل عمران/138)، منادي (آل عمران/193) ، نور مبين (النساء/174) ، مهيمن (المائدة/48) ، عدل (الأنعام/115)، صراط مستقيم (الأنعام/153) ، بصائر (الأعراف/203) ، كلام الله (التوبة/6) ، حكيم (يونس/1)، موعظة (يونس/57) ، هدى ورحمة (يونس/57) ، عربي (يوسف/2) ، قصص (يوسف/2) ، بلاغ (إبراهيم/52) ، هدى (الإسراء/9) ، شفاء (الإسراء/82) ، قيّم (الكهف/2) ، وحي (الأنبياء/45) ، ذكر مبارك (الأنبياء/50) ، زبور (الأنبياء/105) ، الفرقان (الفرقان/1) ، تنزيل (الشعراء/192) ، أحسن الحديث (الزمر/23) ، مثاني (الزمر/23) ، متشابه (الزمر/23) ، الصدق (الزمر/23) بشير ونذير (فصلت/4) ، عزيز (فصلت/41) ، روح (الشورى/52) ، عليّ حكيم (الزخرف/4) ، كتاب مبين (الدخان/2) ، حكمة (القمر/5) ، قرآن كريم (الواقعة/77) ، أمر الله (الطلاق/5) ، تذكرة (الحاقة/48) ، عجب (الجن/1) ، نبأ عظيم (النبأ/2) ، صحف مكرمة (عبس/13) ، مرفوعة مطهرة (عبس/14) ، مجيد (البروج/21) ، قول فصل (الطارق/13) .

ومن صفات القرآن الكريم :

1. المبارك : في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ (سورة الفرقان : الآية) .

2. هدى ، ورحمة : في قوله تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة لقمان : الآية 3) .

3. الكريم : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الواقعة : الآية 77) .

4. الحكيم : في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ لَكُم مِّنَ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (سورة يونس : الآية : 1) .

5. الفصل : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾ (سورة الطارق : الآية 13) .

و يقول محمد الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات : " القرآن هو المنزل على الرسول ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة ، و القرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها " 25 .

و يقول التهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون : القرآن " بالضم اختلف فيه . فقيل هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز و به قرأ ابن كثير و هو مروى عن الشافعي . و قيل هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء سمي به لقران السور و الآيات و الحروف فيه . و قال الفراء هو مشتق من القرائن و على كل تقدير فهو بلا همزة و نونه أصلية . و قال الزجاج هذا سهو و الصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ، و نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها . و اختلف القائلون بأنه مهموز ، فقيل هو مصدر لقرأت سمي به الكتاب المقروء من باب تسميته بالمصدر . و قيل هو وصف على فعالن مشتق من القرء بمعنى الجمع كذا في الإتقان . قال أهل السنة و الجماعة : القرآن و يسمى بالكتاب أيضا كلام الله تعالى غير مخلوق و هو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا مسموع بأذاننا غير حال فيها أي مع ذلك ليس حالا في المصاحف و لا في القلوب و الألسنة و الآذان ، لأن كلام الله ليس من جنس الحروف و الأصوات لأنها حادثه ، و كلام الله صفة أزلية قديمة منافية للسكوت الذي هو ترك التكلم مع القدرة عليه و الآفة التي هي عدم مطاوعة الآلات بل هو معنى قدم قائم بذات الله تعالى يلفظ و يسمع بالنظم الدال عليه و يحفظ بالنظم المخيل و يكتب بنقوش و أشكال موضوعة للحروف الدالة عليه ... " 26

و يقول أبو البقاء الكفوي معرفا القرآن في كتابه الكليات بأن القرآن هو : " وهو كتاب الله المنزل على محمد ، و نقله أهل الأصول إلى القدر المشترك بين الكل و الجزء ثم نقله أهل الكلام إلى مدلول المقروء ، و هو الكلام الأزلي القائم بذاته المنافي للسكوت والآفة وقال بعضهم : القرآن لغة : اسم لكل مقروء إذا نكر و شرعا : اسم لهذا المنزل العربي إذا عرف باللام فعلى هذا يطلق على كل آية و لو قصرت وعرفا : اسم لهذا المنزل العربي المعجز ، فلا يطلق إلا على سورة أو آية مثلها وفي " التلويح " هو في العرف العام : اسم لهذا المجموع عند الأصولية ، وضع تارة للمجموع ، و تارة لما يعم الكل والبعض ،

25 محمد الشريف الجرجاني - كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، درط ، لبنان ، 1985 ، ص: 181 .

26 محمد علي التهانوي - كشاف اصطلاحات الفنون ، ج2 ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، لبنان ، 1996 ، ص: 1306 .

فيكون القرآن حقيقة فيهما باعتبار وضع واحد والقرآن شائع الاستعمال في اللفظ ، و كلام الله تعالى حقيقة في المعنى النفسي ، و مجاز في اللفظ الدال عليه²⁷ .

و يحمل عبد الكريم الخطيب القول في القرآن ، بأنه :²⁸

قال قتادة : القرآن معناه التأليف .. يقال : قرأ الرجل إذا جمع و ألف قولاً ، و بهذا فسر قتادة قوله تعالى : ﴿إنا علينا جمعه و قرآنه﴾ أي تأليفه ..

و قيل : القرآن .. مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا .. يقال : قرأ يقرأ ..

و قيل هو اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله تعالى ، فهو غير مهموز ، و به قرأ ابن كثير (قرآن) - من غير همز - و هو مروى عن الإمام الشافعي .

و قال قوم منهم الأشعري : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، و سمي به القرآن .. - من غير همز -

و قال الفراء هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ، و يشابه بعضها بعضاً ، و هي قرائن ، و هو غير مهموز .

و الذي نراه .. أن القرآن مصدر للفعل قرأ قراءة و قرآنا ، أي حرك لسانه بالكلام ..

من خلال استعراضنا المحدود لهذه التعريفات و التي تشكل في مجملها أرضية للمفهوم القرآني، تتضح لنا معالم إشكالية معينة ، لها علق مباشر بما في خصائص هذه المدونة التي وصفت بأنها عظيمة و بأنها فوق ما يستطيعه البشر ، و على أساس معطياته نتجت دراسات و تفاسير تعددت بتعدد الوجوهات و المشارب ، فالمدونة واحدة ، و الدراسات حولها لم تحص لحد الآن ، و قد " بدت الدراسات التفسيرية و التحليلية للقرآن وخطابه في يوم من الأيام كما لو أنها نضجت و احتقرت و أشبعت بحثاً ، فالمدونة التفسيرية للقرآن الكريم تشكل أكبر إنتاج علمي في تاريخ الإسلام ، وعلى الرغم من التنوع المنهجية المحدودة (لغوية و تراثية) فإن الباحثين في التفسير يجدون أنفسهم أمام هذا الكم الهائل

²⁷ أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي- الكليات، مؤسسة الرسالة، درط ، لبنان ، 1998 ، ص: 720 .

²⁸ عبد الكريم الخطيب - القرآن نظمه و جمعه و ترتيبه، دار الفكر العربي ، درط ، القاهرة ، 1972 ، ص: 01 .

من كتب التفسير عاجزين عن تقديم الجديد " 29 ، على حد قول الباحث عبد الرحمان الحاج ، و البغية الأساسية هي استقصاء الدلالة عن طريق الفهم ، و المعنى بطبيعة الحال ليس واحدا ، فهو سيل غزير من المغازي القابلة للقراءة و الأسرار الرائعة ، و "مع تراكم البحث في دلالة النص القرآني ، أخذ علماء الإسلام في تأسيس قواعد لتناول النص وقراءته/ تأويله. فقد كان علم أصول الفقه قد درس «الخطاب» كـ نص ، وجمال ، ومفردات . فتناول بذلك المستويات الثلاثة لبناء «الخطاب» القرآني ، وهو العلم الوحيد في العلوم الإسلامية الذي تجاوز الجملة لتتعمد الدراسة في النص القرآني بشكل منهجي ، بل إنه كان واعياً تماماً لمفهوم النص إلى الدرجة الكافية للتعامل معه . فالمهمة التي نذر أصول الفقه نفسه لها منذ البداية هي النص ، وليس تععيد اللغة ، التي تعتبر بالنسبة له مقدّمات ضرورية وعندما تقدم البحث فيه ، تكثف عن مناهج متعددة (اعتزالية، حنفية، شافعية،...) "30 ، فيظهر لنا أن المدونة القرآنية كان بسببها اختلاق لرؤيات قرآنية متباينة من قبل الإيديولوجيات التي اطمأنت لقواعد معينة سواء كانت دينية أو عقلية منطقية أو غيرها ، في التعامل مع النص ، و من ثمة الخطاب القرآني الشمولي .. و هذا الطرح الخلافي له أسسه التي نتحينها ، لتكون هذه الأسس هي القاعدة التصنيفية لدراسات القرآن ، و لكن هناك فرقا ما بين تناول العام و الدراسة المتخصصة و التفسير بمعناه الفقهي التقليدي و المعاصر ، فلا بأس في أن نحدد بعضاً من هذه المفاهيم ، و النمط الأكثر شيوعاً هو التفسير بالمعنى الفقهي ، و هو الذي ينبغي أن يحدد أولاً .

3- التفسير في اللغة و الاصطلاح :

يقول الفيروزآبادي " التفسيرُ التَّأْوِيلُ واحدٌ أو هو كَثْفٌ رَادٍ مَعْنَى شَكْلِهِ وَالتَّأْوِيلُ رَدُّ أَحَدِ الْمَعْنَى إِلَى مِثْلِهَا بِقِيَمِ الظَّاهِرِ . وَفُسْرَانٌ ، بِالضَّمِّ تَبَاصُّبٌ مَهَانَ " 31 ، فهو لا يفرق ما بين التفسير و التأويل بل يجعلهما شيئاً واحداً ، ثم يحيل المعنى لما هو موجود في ظاهر النص .

و الصاحب بن عباد يقول في هذا الشأن " الفسر : التفسير ، وهو يان ، وَتَفْصِيهِ الْكُتُبِ ، يُقَالُ : فَسَّرْتُ الْقُرْآنَ وَفَسَّرْتَهُ . وَمَا تَفَسَّرْتُ عَنْ هَذَا : أَي مَا سَأَلْتُ عَنْ تَفْسِيرِهِ ، وَهِيَ كَقَوْلِكَ : مَا اسْتَفْسَرْتَهُ " 32 ، وهو عنده البيان و التفصيل .

²⁹ عبد الرحمان الحاج- القرآن .. من تفسير النص إلى تحليل الخطاب ، <http://www.islamonline.net/servlet/Satellite> .

³⁰ عبد الرحمان الحاج- ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة ، <http://www.altasamoh.net/Article.asp> .

³¹ مجد الدين بن محمد الفيروزآبادي- القاموس المحيط ، ص: 1246 .

³² الصاحب بن عباد - المحيط في اللغة ، ج 2، مطبعة المعارف، ط01، بغداد، 1975 ، ص: 259 .

و في معجم اللسان لابن منظور مادة " (فسر) الفسر البيان فسر الشيء يفسره بالكسر وتفسره بالضم فسراً وفسره أبانه والتفسير مثله ابن الأعرابي التفسير والتأويل والمعنى واحد وقوله عز وجل وأحسن تفسيراً الفسر كلثف غطى والتفسير كلثف راد عن اللفظ شكل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر و استفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي والفسر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التفسر قال الجوهري وأظنه مولداً وقيل التفسر البول الذي سئل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل وهو اسم كالتثيرة وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته " 33 و جاء بمعنى البيان والتأويل والكشف .

و في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري نجد " الفرق بين التفسير والتأويل : أن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة ، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام ، وقيل التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام ، و قيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة . ومنه يقال تأويل المتشابه ، وتفسير الكلام أفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه ومنه أخذ تفسير الأمتعة بالماء ، والمفسر عند الفقهاء ما فهم معناه بنفسه والمحمل ما لا يفهم المراد به إلا بغيره ، والمحمل في اللغة ما يتناول الجملة ، وقيل المحمل ما يتناول جملة الأشياء أو ينبئ عن الشيء " 34 ، إذ نراه يفرق ما بين التفسير و التأويل ، فالتفسير يتناول البنية الإفرادية أو التركيبية في معناها الجزئي ، في حين أن التأويل هو القصد التام المستخرج من المجاز أو من حرفية الكلام .

و في تعريفات الجرجاني " التفسير في الأصل : هو الكشف والإظهار ، وفي الشرع : توضيح معنى الآية ، وشأنها ، وقصتها ، والسبب الذي نزلت فيه ، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة " 35 ، بحيث يربط مفهوم التفسير بأي القرآن ، و ذلك بإيضاح معنى الآية و وظيفتها و مناسبتها .

ونجده عند التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون أنه : " تفعيل من الفسر و هو البيان و الكشف ، و يقال هو مقلوب السفر . تقول أسفر الصبح إذا أضاء ، و قيل مأخوذ من التفسر ، و هي اسم لما يعرف بها الطبيب المريض . و عند النحاة يطلق على التمييز كما سيحيى . و عند أهل البيان هو من أنواع إطناب الزيادة ، و هو أن يكون في الكلام لبس و خفاء فيؤتى بما يزيله و يفسره.... و قال الراغب : التفسير أعم من التأويل و أكثر استعماله في الألفاظ و مفرداتها ، و أكثر استعمال التأويل في المعاني و الجمل . و كثيرا ما يستعمل في الكتب الإلهية . و التفسير يستعمل فيها و في غيرها

33 ابن منظور الإفريقي - لسان العرب ، مادة : ف . س . ر

34 أبو هلال العسكري - الفروق اللغوية ج 1 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط01 ، إيران ، 1412 هـ ، ص : 129 .

35 محمد الشريف الجرجاني - التعريفات ، ص : 65 .

. و قال غيره : التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها واحدا ، و التأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

و قال الماتريدي : التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا أو الشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح و إلا فتفسير بالرأي و هو المنهي . و التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع و الشهادة على الله .

و قال أبو طالب الثعلبي : التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق و الصيب بالمطر ، و التأويل تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من الأول ، و هو الرجوع بعاقبة الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد و التفسير إخبار عن دليل المراد

و قال أبو نصر القشيري : التفسير مقصور على الاتباع و السماع و الاستنباط في ما يتعلق بالتأويل ... و قال قوم منهم البغوي و الكواشي : التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها و بعدها يحتمله الآية غير مخالف للكتاب و السنة من طريق الاستنباط . و يطلق التفسير أيضا على علم من علوم المدونة و قد سبق في المقدمة " 36

و يقول فيه عبد الرؤوف بن المناوي " التفسير: لغة ، الكشف والإظهار. وشرعا توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهره، ذكره ابن الكمال . وقال الراغب: التفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها. وعرف بعضهم التفسير بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز. وقال ابن الجوزي: التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك اللفظ ظاهر. وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر " 37

و يعرفه الدكتور منصور كافي بأنه " علم يبحث عن فهم كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ، و استخراج أحكامه و حكمه و بيان مدلولات معانيه بقدر الطاقة البشرية باختصار أو توسع " 38 .

و يقول سلوادي حسن عبد الرحمان في تحديده للتفسير " فالتفسير تفصيل من الفسر ، و كلاهما في اللغة بمعنى الكشف و الإبانة ، و قد استعمل القرآن هذه المادة بمعنى البيان و الكشف في قوله تعالى ﴿و لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً﴾ أي بيانا و كشفا ، و على ذلك فإن ما نقل من تعريفات للتفسير عن علماء السلف تكاد تلتقي عند معنى الإبانة لكلام الله تعالى و العلم بأصول

36 محمد علي التهانوي - كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص: 492 و 493 .

37 عبد الرؤوف المناوي - التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب ، ط 1 ، دمط ، 1990، ص: 104 .

38 منصور كافي - مناهج المفسرين في العصر الحديث، دار العلوم للنشر ، درط ، الجزائر ، 2006، ص: 18 .

يعرف بها كيفية النطق بألفاظ القرآن ، و بيان مدلولاتها ، و أحكامها ، و معانيها ، و الأسباب النازلة فيها دون أن تحدد نمطا معينا أو شكلا محددًا يلتزمه المفسر في تفسيره " 39

و بعد هذه التعريفات العامة و الخاصة لمصطلح التفسير ، يتضح لنا أن التفسير قبل أن يكون خطابا ، يعتبر علما بالدرجة الأولى .. و هذا العلم له قواعد و أصول يتكأ و يستند عليها ، بالإمكان أن تسمى قواعد قراءة ، ثم اصطلحت و تتابع الأخذ بقواعدها .

و قد تطور علم التفسير أو خطاب التفسير على مراحل تاريخية معينة ، يمكن أن ندرجها على النحو الآتي :

" المرحلة الأولى : و هي المرحلة التي كان ينزل فيها الكتاب و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يتولى بنفسه تبيينه للناس . و كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عما كان يفوقهم فهمه من ألفاظه و معانيه و مقاصده . و لما انتقل إلى جوار ربه ، كانوا يتشاورون فيما بينهم في ذلك فيتفقون في فهم البعض منه و يختلفون في البعض الآخر ...

المرحلة الثانية : و تمثل هذه المرحلة عصر التابعين الذين جاؤوا بعد الصحابة و أخذ عن مشاهيرهم ما أثر عنهم و تلقوا عنه التفسير و وسعوا دائرته حسب مقتضيات عصرهم و تطلب الظروف الاجتماعية و السياسية الناشئة فيه عن الفتوحات الإسلامية و اتساع رقعة بلاد الإسلام ...

المرحلة الثالثة : و في ضوء هذه المرحلة صار التفسير علما قائما بذاته له أصوله و مناهجه . و لقد أطلت فيه مدارس متعددة ، فكان التفسير بالمأثور ، و التفسير بالمعقول ، و التفسير الذي أخذ المنحى البياني و اللغوي ، و التفسير الذي اعتنى بالقصص و الأخبار ، حتى صار كل من برع في فن من فنون المعرفة انطبع تفسيره بما برع فيه و برز على غيره من الفنون . " 40

و تفسير القرآن فيه بعض الاعتبارات التي ينبغي أن تستتبع جميعها بالتدرج تقريبا ، من مثل القرآن بالقرآن و تفسير القرآن بكلام النبي و تفسير القرآن بكلام الصحابة و تفسير القرآن بكلام التابعين :

أولا : تفسير القرآن بالقرآن :

إذ إن أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم : الاستدلال ببعض كلامه على بعض - حسب قواعد لغته التي يتكلم بها - وهذا يقتضي معرفة اللغة التي نزل بها القرآن ، ومعرفة أساليبها ، واستعمالاتها ، فالقرآن عربي ، والرسول الذي أنزل إليه عربي ، والقوم الذين خاطبهم أول مرة عرب ، فجرى الخطاب بالقرآن على معتادهم في لسانهم لفظا ومعنى .

و قد يحتاج المفسر أن يجمع الآيات في الموضوع الواحد ، ثم ينظر فيها مجتمعة ليعرف ما قد يكون بينها من علاقات ، من تخصيص عام ، وتقييد مطلق ، وتفصيل مجمل .

³⁹ حسن عبد الرحمن سلوادي - عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب ، درط ، الجزائر ، 1984 ، ص: 61 .

⁴⁰ عادل نويهض - معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ج1 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2 ، لبنان ، 1983 ، ص: ج د .

ثانيًا : تفسير القرآن بكلام النبي صلى الله عليه وسلم :

إن لم يتيسر فهم النص القرآني من القرآن نفسه طلبه المفسر من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنها البيان للقرآن ، قال تعالى : ﴿ نَزَّلْنَا مَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فالسنة تأتي مفسرة لبعض ما أجهل في القرآن ، نحو أصول الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، فبينت السنة أركان هذه العبادات وواجباتها ومستحباتها ومحظوراتها و مكروهاتها ، وهيئاتها ، وأوقاتها ، ومقاديرها ، وأنصبتها على نحو من التفصيل لم يأت في القرآن . وكذلك تأتي السنة بالمخصص لعموم القرآن ، والمقيد لمطلقه ، والمبين لمشكله ، ويستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه » .

ثالثًا : تفسير القرآن بكلام الصحابة :

فإن تعذر فهم النص القرآني من القرآن ومن السنة طلبه المفسر من أقوال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم أعلم بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال ، واختصوا به من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، ولا سيما علماءهم وكبرائهم .

رابعًا : تفسير القرآن بكلام التابعين :

تفسير القرآن بكلام التابعين ومن بعدهم من أهل العلم مع إضافة ما يناسب ذلك في المعتمدون ، فإن تعذر فهم النص القرآني من كلام الصحابة لجأ المفسر إلى كلام من بعدهم من التابعين ، فهم أقرب عهدا بنزول القرآن ، وأعرف من غيرهم بلغته وأساليبه ، وأكثر حفظا للسنن والآثار ، وهم أيضا من أهل القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية .

غير أن هناك دراسات أخرى لم تستتبع هذا المنحى .. و حاولت أن تسير برؤى مغايرة عما قد عهد لدى المفسرين و علماء القرآن ، و لكن ديدنها مجالات اهتمام الباحثين ، حيث اتخذ كل باحث مجال تخصصه ميدانا للتأصيل القرآني .. فهناك المتخصص في الطب و البيولوجيا الذي حاول أن يبحث في ثنايا القرآن عن نشوء الخلية و تطورها ، و هناك من يبحث في ميدان الاقتصاد ، إذ يعتبر القرآن في نظره مدونة خصبة لبحث توزيع و طرق التصرف بالمال و الزكاة ، و الباحث في علم الاجتماع و النفس يريد من القرآن حلولاً لقضايا السلوك في النفس الإنسانية و علاقتها بالمجتمع ، و المتخصص في اللغة تهمه البنية الحملية و اللغوية التي يتشكل منها النص القرآني ، فيقارب برؤيته اللسانية المستويات الصوتية و النحوية و التركيبية و البلاغية و علاقة ذلك بالدلالة و الإبلاغ أي (تداولية الخطاب) ، إلى غير ذلك من المناحي التي تريد بالقرآن وجهة معينة خاصة أو عامة حسب الهدف التأصيلي .. و القرآن بطبيعة الحال لا يمكن أن نقول أنه خال من هذه الاحتمالات و غيرها ، نظرا لثبوت بعض القضايا في ثنايا القرآن الكريم .. و (نحن) باعتبارنا (نا) (ن)بحث في هذا المجال فإن المدونة القرآنية لا تعني بحث(نا) في

ذاتها ، و لكن ما يهم(نا) هو التفسير القرآني ، لذلك لا بأس في أن نطرح السؤال التالي : ماهي التصنيفات التي صنفت إليها الدراسات القرآنية ؟

4- الدراسات القرآنية :

إن المقياس الأهم الذي عليه الاعتماد في التصنيف في الدراسات السابقة هو مبحث علوم القرآن، إذ يعد هذا المبحث من المباحث المهمة التي درست القرآن و عددت التصنيفات فيه بتعدد التقسيمات و التفرعات و بتعدد الكليات و الجزئيات و " قد يتعجب المتلقي المعاصر من كثرة علوم القرآن و من تعدد أقسامها و فروعها ، و لعله محق في تعجبه، فهذا بعض ما وسم الثقافة العربية في العصور المتأخرة خاصة (و هذا أبرز ما يأخذه عليها المعاصرون)، فقد كان كل ' باحث ' حريصا على أن يضع يده على ظاهرة لم ينتبه لها سابقوه ، أو أن يضيف قسما أو علما أو فنا بلاغيا ينشئه إنشاء أو يشتقه من إرث سابق، يقسم به الكل إلى أجزاء و الأصل إلى فروع أقل و هكذا ... لقد كان هذا ، لا شك ، ضربا من البحث المضني " 41 ، و هذا دليل على أن القرآن يحتل أكثر من قراءة علمية ، و علومه في زيادة مستمرة دائما بفعل حملة لهذه الأوجه المتعددة و كذلك " تعتبر الدراسة في علوم القرآن منهجا متكاملا لا تقتصر على الحفظ و الأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف ، أي نوع كتابته ، ما كان موصولا أو مفصولا ، و ما رسم فيه المد أو كان يمد بدون وجود حرف المد ، و قد يكون حرفا صغيرا أو نحو ذلك " 42 ، و التفسير القرآني يعد جزءا مهما من علوم القرآن بل هو أهمها ، لأنه يمتح و يستند إلى تلك العلوم إذا كان الاحتياج ضروريا في مواقف و سياقات معينة ، و المباحث و العلوم القرآنية كثيرة فهي تعد العماد الأساس لدارس القرآن ، و يمكننا أن ندرجها كالآتي اعتمادا على ما أورده الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن :

" النوع الأول معرفة أسباب النزول وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف ...
النوع الثاني معرفة المناسبات بين الآيات ... النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي و هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ... النوع الرابع في جمع الوجوه والنظائر ...
النوع الخامس علم المتشابه ... النوع السادس قال علم المبهمات ... النوع السابع في أسرار الفواتح والصور ... النوع الثامن في خواتم السور ... النوع التاسع معرفة المكى و المدني ...
النوع العاشر معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل ... النوع الحادي عشر معرفة على كم لغة نزل ... النوع الثاني عشر في كيفية إنزاله ... النوع الثالث عشر في بيان جمعه و من حفظه من الصحابة رضي الله عنهم ... النوع الرابع عشر تقسيمه بحسب سوره فيه و ترتيب السور والآيات ...

41 محمد عبد الباسط عيد - النص و الخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب ، ط 1 ، القاهرة ، 2009، ص: 18 .

42 محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج1 ، دار الحديث ، درط ، القاهرة ، 2006، ص: 13 .

الخامس عشر معرفة أسمائه واشتقاقاتها ... النوع السادس عشر معرفة ما وقع من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب ... النوع السابع عشر ما فيه من غير لغة العرب ... النوع الثامن عشر معرفة غريبه وهو معرفة المدلول ... النوع التاسع عشر معرفة التصريف وهو ما يلحق الكلمة ببنيتهما وقد وينقسم قسمين أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني وينحصر في التصغير والتكبير والمصدر والاسمي الزمان والمكان واسم الفاعل واسم المفعول والمقصود والممدود والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها ... النوع العشرون معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو ... النوع الحادي والعشرون كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع ... النوع الثاني والعشرون اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر وذلك متواتر وآحاد ...

النوع الثالث والعشرون معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ وهو فن جليل و به تعرف جلاله المعاني وجزالتها ... النوع الرابع والعشرون معرفة الوقف والابتداء ... النوع الخامس والعشرون مرسوم الخط ... النوع السادس والعشرون فضائله ... النوع السابع والعشرون خواصه ... الثامن والعشرون هل في القرآن شيء أفضل من شيء ... النوع التاسع والعشرون في آداب تلاوته و كیفيتها ... النوع الثلاثون في أنه هل يجوز في التصانيف و الرسائل والخطب ... النوع الحادي والثلاثون معرفة الأمثال الكائنة فيه ... 43 .

و يمكن أن نعتمد على نص مهم جدا للشنقيطي على لسان الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي من كتابه المنتخب في اختصار ما يدخل في نطاق علوم القرآن، فضلا على ما قد سلف من القول، إذ يقول في مستوى بنيته أولا: "فاعتني قوم" بضبط لغته، وتحرير كل ما فيه، ومعرفة مخارج حروفه وعلاها، وعمل كل ما تولد له، وسوره وأجزائه وأنصافه وأورد ما فيه، وعلم مد سجته إلى غير ذلك من حصر الكليات المشابهة والآيات المتلزمة لها. من غير تعرض لحمايته، ولا تدبرها ما وقع فيه. فسموا القراء .

واعتني النحاة بالمهيب منه والحنفي من الأسماء والأفعال، والحروف العاملة وغيرها. وأوسع للكلام في الأسماء وتوابعها، وضرب الأفعال، والألزام والمعتدي، ورسوم خط الكلمات، وهم يعيد ما يقع به؛ حتى إن بعضهم أعجمه شكله ويضخمهم أعجمه كل كلمة 44 .

⁴³ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - البرهان في علوم القرآن، ج 2، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، سوريا، 1957، ص: من 22 إلى 486 .

⁴⁴ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان، ج 3، ص: 227 و 228 .

إذ نراه يركز هنا على مستوى البنية في تفرعاتها من التحليل أو التركيب، مراعيًا البنية الصرفية أولاً ثم البنية النحوية ، و ينتقل بعدها إلى الدلالة من حيث اللفظ أو التركيب، و ذلك في القول التالي:

" وَأَعْتَقَى الْمَ فَسُونَ بِالْفَاظِهِ ، فَجَلُّوا مِنْهُ لُفْظًا لِمَلْ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَلِفْظًا لِمَلْ عَلَى مَعْنَى مَعْنَيْنِ ، وَلِفْظًا لِمَلْ عَلَى أَكْثَرٍ ؛ فَأَجَّوْا الْأَوَّلَ : عَلَى حُكْمِهِ ، وَأَوْضَحُوا الْحَقِيقِيَّ مِنْهُ ، وَخَاضُوا إِلَى تَوْجِيحِ أَحَدِ حُتِّ حَالَاتٍ فِي الْمَعْنَيْنِ أَوْ الْمَطْنِيِّ ، وَأَعْمَلُ كُلُّ مَنْهُمْ فِكْرَهُ ، وَقَالَ بِمَا اقْتَضَاهُ نَظَرُهُ .

وَالْمُلَاحَظَةُ وَلا يُؤْنَسُ لَهُ مِنْهُ مِنَ الْأَطْلَاقِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَالشَّوَاهِدُ الْأَصْلِيَّةُ وَالنَّظَرِيَّةُ عَلَى قَوْلِهِ : لَوْ كَانَ فِيهِمَا لَهْمَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [الأنبياء: 22] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ فَاسْتَبْتَبْتُ مِنْهُ أَطْلَاقًا عَلَى وَجْهِ مَا يَلْقَاهُ وَجُودٌ وَهُوَ قَائِمٌ وَقَدْ لَمَّهِ ، وَقُدِّرَتْ لَهُ وَعِلْمُهُ ، وَتَرَبَّيْهِ عَمَّا يَلَا يُقْبَلُ بِهِ ؛ وَتَمَّوْا هَذَا الْعِلْمَ بِ« أَصُولِ الدِّينِ »

وَدَامَلَتْ طَائِفَةٌ مَطْنِيَّ حَطَابِهِ ؛ فَرَأَتْ مِنْهَا مَا تَقْتَضِي الْعُرُومَ ، وَمِنْهَا مَا تَقْتَضِي الْخُصُوصَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِفَاسْتَبْتَبْتُ طَوْماً مِنْهُ أَحْكَامَ اللَّغَةِ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَازِ ، وَتَكَلَّمُوا فِي التَّخْصِيصِ وَالْإِضْمَارِ ، وَالنَّصِّ وَالظَّاهِرِ ، وَالْحُجْلِ وَالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالنَّسْخِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَقْيَسَةِ ، وَأَسْتَبْتَبْتُ صَحَابَ الْحَالِ وَالْأَسْتَبْتَبْتُ قَرَأَ ؛ وَتَمَّوْا هَذَا الْفَنَّ « أَصُولِ الْفَقْهِ » .

وَأَحْكَمَتْ طَائِفَةٌ صَحِيحَ النَّظَرِ ، وَصَادَقَ الْفِكْرَ فَيَمُتُّ بِهِ مِنَ الْحَالِ وَالْحَرَامِ ، وَسَاءَ رِ الْأَحْكَامِ ، فَاسْتَبْتَبْتُ أَصُولَهُ وَفُوعَهُ ، وَبَسَطُوا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ بِسَطَا حَمْدًا ؛ وَتَمَّوْا بِ« لِمِ الْفُوعِ » وَبِ« الْفَقْهِ أَيُّضًا » 45 .

بعدها ينتقل مستوى الاهتمام إلى الجانب السياقي و القصصي، فيذكر أن في القرآن جانباً حكيمياً مركزاً بقوة في ثنايا القرآن، في قصصه و أمثاله و تاريخه، بما يستفاد منه فقهيًا أو حياتياً فيقول:

" وَتَلَمَّحَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُ مِنْ قِصَصِ الْقَوْنِ السَّابِقَةِ ، وَالْأَنْهَاءِ الْيَمِينَةِ ، وَنَقَلُوا أَحْبَابَهُمْ ، وَوَدَّوْا أَنْتَاهُ قَرَأَهُمْ . حَتَّى ذَكَرُوا لِلْمَلْدُنِيِّ ، وَأَوَّلَ الْأَشْيَاءِ ؛ وَتَمَّوْا لِمَكَ بِ« التَّارِيخِ وَالْقِصَصِ » .

وَتَدَبَّرَهُ آخُونَ لِحَمْدِهِ مِنْ الْحُكْمِ وَالْأَمْتَالِ ، وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي قَلِقَتْ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، وَتَكَادُ تَدُنُّكَ الْجَبَابِلُ بِالْفَاسْتَبْتَبْتُ طَوْماً مِنْهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّبْشِيرِ ، وَذَكَرَ الْحَيَاتِ وَالْمَعَادِ ، وَالنَّشْرِ وَالْحَشْرِ ، وَالْحَسَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصُولًا مِنَ الْمَوَاعِظِ ، وَأُصُولًا مِنَ الزُّوْجَرِ . فَسَمُّوا بِذَلِكَ الْخُلَاطِبِ مَاءَ وَالْمَوَاعِظِ » .

وَاسْتَبْتَبْتُ طَوْماً مِنْهُ مِنْ أَصُولِ التَّجْمِيرِ ؛ مِثْلَ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ : مِنَ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ ، فِي مَنَاهِي صَاحِبِي السَّجَنِ ، فِي رُؤْيَاةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالتَّجْمِيرِ سَاجِدَاتٍ ، وَمَوْجِدَاتٍ « الرُّؤْيَا » ؛ وَاسْتَبْتَبْتُ طَوْماً تَفْسِيرَ كُلِّ رُؤْيَا مِنْ الْكِتَابِ ، فِي عَرَفِهِمْ إِخْرَاجًا مِنْهُ ، فَحِينَ السَّنَةِ الَّتِي هِيَ شَارِحَةُ الْكِتَابِ ، فِي

عَمَرَ فَحَنَ الْحِكْمَ وَالْأَمثالَ . ثُمَّ نَظَّوْا إِلَى اصْطِلَاحِ الْعَوَامِّ فَيُخَاطَبُ بِأَتَمِّهِمْ ، وَعَرَّفَ عَادَتَهُمُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ
الْقُرْآنُ قَوْلَهُ : وَأَهْرَاعُهُ فِي [الأعراف: 199] .

وَأَحْطَقُومٌ "مِمَّا فِي آيَاتِ الْحَوَارِثِ مِنْ ذِكْرِ السَّهَابِ بِأَهْمَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ «عِلْمُ الْفَرَائِضِ» ، وَاسْتَبَطُوا
مِنْهَا مِنْ ذِكْرِ النِّصْفِ وَالثُّلُثِ ، وَالرُّبْعِ وَالسُّلْسِ وَالثُّنَيْنِ «حِسَابُ الْفَرَائِضِ» ، وَمَسَائِلُ الْعَوْلِ ؛
وَاسْتَحْوَجُوا مِنْهُ أَحْكَامَ الصَّالِحِينَ .

وَنَظَّرُوا إِلَى مَا يَلَايَ آيَاتِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْحِكْمِ الْهَوِيَّةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ
وَالنُّجُومِ وَالسُّجُومِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَاسْتَحْوَجُوا «لِمُحَوِّقَاتِ»⁴⁶ .

و الإفادة منه ليست في هذه الجوانب المذكورة فقط، و لكن الإفادة قد تكون أدبية أو صوفية
روحية أو حتى طبية أو علمية أو فلسفية أو رياضية، فيقول في هذا الإطار:

"وَنَظَرَ الْكُتَّابُ وَالشُّعْرَاءُ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ جِوَالَةِ اللَّفْظِ بِمَبْعِ النَّظْمِ ، وَحُسْنِ السِّيَاقِ وَالْمَبَاهِجِ ، وَ
الْمَقَاطِعِ وَ الْحِجَالِصِ وَالتَّلْوِينِ فِي الْخِطَابِ بِوَالِإِظْنِ ابْوَالِإِيْجَازِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَبْعِ طَوَا مِنْهُ «لِمُ
الْمَعَانِي وَالْيَاقِينِ» .

وَنَظَّرَ بِبَارِئِ آيَاتِ الْإِشَارَاتِ وَأَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَلَاحَ لَهُمْ مِنْ أَلْفَاظِهِ مَعَانٍ وَفَائِدَاتُ ، جَطَّوْا لَهَا
أَعْلَامًا اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا ، مِثْلُ غِنَاءِ وَالبَقَاءِ ، وَالْحُضُورِ وَالْحُضُورِ الْهَوِيَّةِ ، وَالْأَنْسِ وَالْوَجْهِةِ ، وَالنَّبْضِ
وَالْبَسْطِ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ .

هذه الفنون التي أخذتها الأمة الإسلامية منه .

وَقَدْ احْتَجَى عَلَى لُومِ آخَرٍ مِنْ لُومِ الْأَوَائِلِ ، مِثْلُ : الطَّبِّ ، وَالْجَلَلِ وَالْهَيْبَةِ ، وَالْهَلَسَةِ وَالْجَبْرِ ،
وَالْقَابِلَةِ وَالنَّجْمَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

أَمَّا الطَّبُّ : فَحَدَارُهُ عَلَى حِفْظِ ظَمَامِ الصِّحَّةِ ، وَاسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ بِهَذَا كَيْفَ كُنُونِ بَاعْتِمَالِ الْمَرَجِّ تَبَعًا
لِلْمَكِينِ الْمَلْمُتِ ضَادَّةً ، وَقَدْ جَمَعَ لَكَ فِي آيَاتِ تَوَاحُلِهِ هِيَ قَوْلُهُ : وَكَانَ يَنْذِرُكَ قَوَامًا [الفرقان: 67] .
وَعَرَفَ لِمَا فِيهِ بِمَبْعِ يَنْدِ ظَمَامِ الصِّحَّةِ بِمَبْعِ لَالِهِ ، وَحُوثِ الشِّقَاءِ بِمَبْعِ لَالِهِ فِي قَوْلِهِ : شَرَابٌ
مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ [النحل: 69] .

ثُمَّ زَادَ عَلَى طَبِّ الْأَجْسَادِ بِطَبِّ الْقُلُوبِ ، وَشِفَاءِ الصُّلُورِ .

وَأَمَّا الْهَيْبَةُ : فَفِي تَضَاعُفِ سُورَةِ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِيهَا مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا
بَشَّرَ فِي الْعَالَمِ لُؤْيِ وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الْخَلُوقَاتِ مِنْهُ .

وَأَمَّا الْهَيْبَةُ : فَفِي قَوْلِهِ : انْطَلَقُوا إِلَى ظِلِّ نِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لِأَظْلَمِ لَيْلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ
[المرسلات: 30 ، 31] ، فَيَلْقَى قِيَامَةَ هَيْبَتِهِ ، وَهُوَ أَنَّ الشَّكْلَ الْمَطْلُوعَ لَا ظِلَّ لَهُ .

⁴⁶ المرجع نفسه، ص: 228 و 229 .

وَأَمَّا الْجَلَلُ : فَقَدْ حَوَّطَهُ مَاتَهُ مِنَ الْبَاهِينَ وَالْقَدَمَاتِ تَوَالَّتْ مَاتِجِ ، وَالْقَوْلِ بِالْحُجْبِ ، وَالْمُطَاطِةِ ،
وَعَبْرَ ذَلِكُ شَيْئًا كَبِيرًا ، وَمِنْ مَاطَرَةٍ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى فِي لَيْلِكَ عَظِيمٍ .
وَأَمَّا الْجَبْرُ وَالْقَابِلَةُ : فَقَلَقَ بَيْلٌ : إِنَّ أَوَائِلَ السُّورِ ذُكِرَ عَوْدًا وَأَعْوَامًا وَأَيَّامًا لِتَوَارِيخِ أُمَمٍ سَالِفَةٍ ، وَإِنَّ فِيهَا
تَوَارِيخَ قَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَارِيخَ الدُّنْيَا ، وَمَا ضَمِيَ وَمَلَّبَقِي ، ضُؤِبًا بِأَخْضِهَا فِي بَحْضٍ⁴⁷
و بطبيعة الحال فإن هذه العلوم القرآنية يمكنها أن تلج إلى تقاسيم و تفاصيل القرآن الكريم ، و ذلك
بتناولها لقضايا سياقات القرآن و ما يحيط به ، و كذلك لنسقه و بنيته .. و كل من هذه القضايا نوع
من علوم القرآن ، و لكن تصنيف الدراسات القرآنية قد يخضع لاعتبارات أخرى ، و ما التفسير إلا
صنف شائع من الدراسات القرآنية - و إن كان هو نفسه أخذ تصانيف متعددة - و ربما يعتبر جزءا
من علوم القرآن و ربما يستعين بعلوم القرآن ، فالملاحظ يرى أن هناك تكاملا و اشتمالا بينهما ، و من
الدراسات القرآنية نجد علم و خطاب التفسير .

5- خطاب التفسير :

يعد التفسير من أهم الخطابات التي ولجت عالم المعنى و المقاصد التي تخص القرآن الكريم ، و قد
كانت فيه مراحل مهمة في تاريخه " فمحاولات التفسير الأولى متوجهة إلى النص نفسه حتى تضيف إلى
تحقيقه المادي الذي جعله واحدا ماديا (جمع المصحف و إعجامة و ضبط قراءاته) تحقيقه المعنوي لجعله
واحدا معنويا (محاولة إدراك نسقه و فهم التناقضات الظاهرية في النص) كان لابد من فهم التناقض
الظاهري بين الآيات و القراءات فكانت أهم الكتابات تدور حول الحلول الأسلوبية و المنطقية و
التاريخية لفهم التناقضات الظاهرية (مثل الجواز في القرآن أو غريب القرآن الخ ..) و لما بدأ التفسير
الشامل المستند إلى تحقيق الوجدتين المادية و المعنوية لنص القرآن كان أول المناهج أيسرها أعني منهج
التفسير بالأثر و الإسرائيلييات (الطبري مثلا) تم نقد ذلك لجعل التفسير بالأثر يعتمد على الأثر المنقود و
هو ما يفيد بأن أول خطى النقد العلمي للخبر بدأت منذ تلك اللحظة (ابن عطية و القرطبي) ثم ولاه
التفسير بعلوم اللغة بعد أن اكتملت نظرية النقد الأدبي و الإعجاز (الزمخشري مثلا) تلاه نقد التوظيف
العقدي لهذا المنهج و بيان دور عقائد المفسر في التفسير و هو ما يمكن أن يعد أول مراحل النقد
الإيديولوجي (شرف الدين الطيبي مثلا) ثم تلا ذلك التفسير الفلسفي الذي لم يكن شاملا و لا عاما
لكنه ينقسم إلى ضربين التفسير الفلسفي الباطني (بعض محاولات إخوان الصفا) و التفسير الفلسفي
المشائي (بعض محاولات ابن سينا) و تلا ذلك نقد التفسير الفلسفي لبيان الفرق بين علم الكلام العقلي
و الميتافيزيقا لكون الأول يحتاج إلى علم الكلام التاريخي مادة لاستعمال العقل أي أن له مضمونا معينا

⁴⁷ السابق، ص: 229 إلى 230 .

أو معطى عليه أن يتعامل معه تعامل العلوم التجريبية مع المعطى الحسي و ليس مجرد فرضيات كما هو شأن الإلهيات الفلسفية (الغزالي مثلا) ثم تلا ذلك التفسير الصوفي (ابن عربي مثلا) ثم تلاه نقد التفسير الصوفي و الفلسفي و اللساني و الأثري (ابن تيمية خاصة) "48 و التفسير فيه أنواع منها :

1- التفسير العقدي :

ينظر هذا النوع من دراسات التفسير إلى القرآن باعتباره مصدرا للعقيدة الإسلامية ، إذ أن كل ما يتعلق بالعقيدة لا بد و أن يكون مصدره الأساسي هذا الخطاب المقدس (القرآن) .. و التفسيرات العقدية تحاول أن تؤسس من خلال القرآن ثوابتا أقرتها النصوص القرآنية في مسائل العقيدة ، و بإمكاننا أن نقول أن أغلب أو أن معظم التفاسير تناول هذا الجانب المهم و الركن العظيم من ما يعتقد الفرد المسلم ، و قد يتسم جل التفسير بهذه السمة ، و " يظهر هذا المنهج واضحا في تفسيره صلى الله عليه و سلم للآيات التي تنص على رؤية المؤمنين لربهم عز و جل يوم القيامة . ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ مَّوَدَّ ذُنُوبَهُمْ وَإِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . يروي ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه و أزواجه و خدمه ... و أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة عشية ...

كذلك يؤكد رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الرؤية عند تفسير قوله تعالى : ﴿لَا تَلْمِزِ الْأَعْمَىٰ عَمَلَهُمْ سَبِيحًا مِّنْ دُونِهِمْ لِيَأْذَنُوا لِلَّذِينَ لَا يَدْرُونَ الْبُرْهَانَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث يفسر النبي صلى الله عليه و سلم (و زيادة) برؤية الله تعالى يوم القيامة ... "49 ، و من التفاسير التي اهتمت بهذا الجانب تفسير ابن كثير و تفسير الشنقيطي .. و غيره كثير .

2- التفسير الوعظي :

هذا النوع من التفسير يبحث على قيم مهمة جدا في الإسلام ، و من هذه القيم الترغيب بدار الآخرة و الزهد ، و تقديم الأعمال الصالحة التي تدخل إلى الجنة و " يزخر التفسير النبوي للقرآن الكريم بثروة وفيرة من أقواله صلى الله عليه و سلم التي تدعو إلى الزهد في الحياة الدنيا و التخويف من عقاب الله عز و جل ، و ما إلى ذلك من مواعظه و إرشاداته .

⁴⁸ أبو يعرب المرزوقي - النخب العربية و عطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية، الدار المتوسطة للنشر ، ط 01 ، تونس ، 2007، ص: 48،49 .

⁴⁹ منصور كافي - مناهج المفسرين، ص : 59 .

نقرأ ذلك واضحا عند تفسيره صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَأْكُمُ التَّكَاثُرَ﴾
حيث قرأها صلى الله عليه و سلم ، ثم قال : ((يقول ابن آدم : مالي مالي ، و هل لك من
مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أكلت فأفريت ، أو لبست فأبليت)) .

كذلك روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إذا رأيت الله عز و جل يعطي العبد
من الدنيا على معاصيه ما يجب فإنه استدراج ، ثم تلا قول الله عز و جل : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا
ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ مَغْزَةً فَنَلَا أُهُم
مَبْلُوسُونَ ﴾ " 50

3- التفسير الفقهي: يهتم ببيان أمور الدين و توضيح أحكامها ، فالمعنى اللغوي للفقهاء هو الفهم و
التدبر ، و لذلك أطلق مصطلح الفقه على ما يدخل في إبانة و تيسير الكليات العامة للدين
لينالها الفهم من قبل العامة من الناس ، و لذلك تجد المفسرون يهتمون بهذا المبحث و يولونه
عناية كبيرة بعد العقيدة ، لأن الفقه يوفر للمسلم الطرق الصحيحة التي يتعبد بها تجاه ربه .. و
هذه الطرق عبارة عن أفعال معينة من مثل طريقة الصلاة و الزكاة و الحج و غيرها ، و كذلك
ما يدخل في باب المعاملات بين أفراد المجتمع و معرفة المقادير في الحقوق و الواجبات و هكذا
، و تفاسير هذا الصنف كثيرة جدا ، إذ تكاد كل التفاسير تصب في هذا المنحى ، خصوصا
عندما يتوسع مفهوم الفقه إلى مجالات الحياة بكافة متطلباتها ، و قد " تضمن التفسير النبوي
للقرآن الكريم بعض الجوانب الفقهية ، نرى ذلك واضحا عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ عِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ... ﴾ حيث يروي سالم أن
عبد الله بن عمر طلق امرأته و هي حائض فذكر لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتغيظ فيه (أي منه)
ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها
طاهرا قبل أن يمسه فتلك العدة كما أمر الله عز و جل .

هكذا يوضح لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في تفسير هذه الآية أنه يجب على الزوج
- إذا أراد أن يطلق زوجته - أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه ، و هذا هو ما يعرف بالطلاق

50 المرجع نفسه، ص: 60.

السنن عند الفقهاء أي الطلاق الذي يوافق السنة... " 51 ، و يعتبر تفسير ابن كثير و الشاطبي و تفسير الجلالين من التفاسير الفقهية و غيرها كثير أيضا .

4- التفسير التاريخي : يهتم هذا النوع من التفسير بتاريخ الأحداث سواء ما تعلق منها بالقصص القرآنية ، أو بالوقائع التي ينجر عنها بعض الأحكام الشرعية ، أو بأحداث السيرة النبوية ، و أحوال العرب و عاداتهم ، و ما قد حصل في الأمم القديمة و غيرها ، " و يظهر لنا هذا التفسير واضحا عند تفسيره صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى ﴿ تَبَّتْ لِمَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ حيث يتضح لنا من تفسيره لهذه الآية موقف قريش من دعوته ، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه أنه لما نزلت : ﴿ وَأَنْزَلْنَاهُ نَارَ الْآقْرِبِينَ ﴾ ، خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا إليه ، فقال : رأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جرنا عليك كذبا ، قال فإني نذير لكم بين عذاب شديد . قال أبو لهب : تبا لك : ما جمعنا إلا لهذا ثم قام فنزلت : ﴿ تَبَّتْ لِمَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

كذلك تظهر الناحية التاريخية واضحة عند تفسيره صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى : ﴿ قَاتِلِ أَصْحَابَ الْأُخُودِ ﴾ حيث يوضح لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم قصة هذا الأخدود ، و ذلك فيما يرويه صهيب - رضي الله عنه - عن النبي .. " 52

5- التفسير الموضوعي : يتناول هذا النوع تفسير بعض المواضيع بعينها ، بشرح الألفاظ و التراكيب التي دلت على ذلك الموضوع أو على ذلك المعنى ، و قد " تضمن التفسير النبوي ذلك النوع من التفسير ، نرى ذلك واضحا في جمعه صلى الله عليه و سلم للآيات التي تتصل بماء أهل النار ، و فسر بعضها ببعض ، و ذلك على التالي : عن أمامة عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله عز و جل : ﴿ وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَلْبِدَةٍ جَرَّةٍ ﴾ ، قال : يقرب إليه فيكرهه ، فإذا أدنى شوى وجهه و وقع فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره ، يقول الله عز و جل : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا قَطَطًا مَاءُهُمْ ﴾ ... " 53 .

51 السابق، ص : 60 ، 61 .

52 المرجع نفسه، ص : 61 ، 62 .

53 السابق، ص : 62 .

6- التفسير السياقي : السياق عامل مهم جدا في تحديد المعاني و المقاصد العامة ، لأنه ينظر في معاني عدد من الآيات التي اشتغلت على نفس القضية أو الموضوع ، و هو ما يعرف ببيان القرآن بالقرآن ، و تفسير أضواء البيان للإمام الشنقيطي أوضح مثال على ذلك ، و يعتبر السياق آلية مهمة جدا من آليات تحليل الخطابات ، فلا يقع الفهم الكلي بدون سياق معين ، و قد ألزم الإمام الشنقيطي نفسه بأمرين و ذلك في تأليف كتابه :

" أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير و أجملها

تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله - جل و علا - من الله ...

و ثانيهما : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب ... " 54

7- التفسير اللغوي و البلاغي :

يعد هذا النوع من التفسير متوسع على نطاق أكبر بالمقارنة مع التفاسير الأخرى ، و ذلك يرجع إلى أن المفسر أحوج ما يكون إلى معرفة اللغة و علوم النحو و ضروب البلاغة و العلوم التي تعالج الدلالة مثل التضاد و المشترك .. الخ ، فحتى و إن اضطلع تفسير المفسر بطابع فقهي أو عقدي أو غير ذلك ، فتراه يلجأ دائما إلى بيان الوجهة اللغوية أولا و هذا في غالب الأحيان ، و ربما إن استعصت عليه مسألة من مسائل القرآن ذهب إلى تفسيرها لغويا عن طريق الوصف و التحليل في البنية اللغوية أو اللسانية و هكذا .

و تفاسير هذا الصنف موجودة بكثرة ، و نرى أن الكتب التي عاجلت مسألة الألفاظ كثيرة من مثل كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون و مفحومات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي و غريب القرآن للأصفهاني و غريب القرآن لابن قتيبة و مفردات القرآن لابن السمين الحلبي و كلمات القرآن لحسنين محمد مخلوف و معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم و المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم لأحمد مختار عمر ، و غير هذه الكتب كثير ، ثم أن من التفاسير التي عاجلت قضية إعراب القرآن من مثل إعراب القرآن للزجاج ، و هناك التي تناولت ما للقرآن الكريم من مجاز -هذا من الناحية البلاغية- مثل كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة و التي تناولت قضية النظم في القرآن مثل دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، و تفسير الكشاف للزخشري ، و هناك التفسير الذي

⁵⁴ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان، ص : 35 .

مازج ما بين قضايا اللغة و النحو و البلاغة مثل تفسير التحرير و التنوير للعلامة الطاهر بن عاشور ،
و غيرها كثير مما لا يسع المجال المتاح أن نحصره في صفحة أو صفحتين .

6- التأسيس العلمي من خلال القرآن الكريم :

هذا النوع من الدراسات القرآنية يحاول أن يستكنه البعد العلمي للمنجزات الحديثة و المعاصرة من خلال السبق الذي بشرت به آيات القرآن ، من مثل خلق الإنسان و نموه و النبات و الأرض و عناصر تكوينها ، يقول متولي الشعراوي من منطلق المادة والروح و الهوى و الموضوع " نحن نتجاوز علم الأرض ولكننا أحيانا نتجاوز موضوع العلم..موضع التجربة والمعمل..وذلك عندما أقول مثلا الروح قبل المادة..أو المادة قبل الروح..فهذا بحث في عنصري تكوين الإنسان الذي لم نشهد خلقه..ولا نستطيع أن نجري عليه تجربة..أن هذا يدخل في علم الله..فهو الذي خلق..وهو الذي يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق..ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾..إذا فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشري إلى نتيجة..لماذا ؟ لأننا لم نحضر التجربة..ولم نرها بالعين..ولا نستطيع أن نجربها أو نقوم بها..ولكن بالأذن سمعنا عن الله..وهذا أمر غيب عنا..وما دام الأمر غيب عنا..فإن الله الذي خلقني هو الذي يحدثني..كيف خلقت..أما أنا فإنني لا أعرف كيف خلقت..ومن هنا فإنني لا يمكن أن أتحدث علميا عن العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان..وأيهما جاء أولا..وإذا صمم أحد على أن يبحث في هذا..يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه عن جهل يضره..لأنه لن يستطيع أن يدل على ما يقول علميا..و بالتجربة أنا أستطيع أن أمسك المادة و أدخلها المعمل..ولكني لا أستطيع أن أمسك بالروح و أدخلها إلى المعمل..و العلم يجب أن يتم على مادة صماء..يمكن أن تدخل في المعمل الأصم..و تعطي حقائق صماء..أليست هذه هي الحقيقة..والدليل على ذلك أن المعسكرات المتصارعة لا تختلف في مذاهب العلم..ولكنها تختلف في مذاهب الهوى والنظريات..لا توجد هناك كهرباء أمريكية..و كهرباء روسية..و لا توجد كيمياء ألمانية.. و لا كيمياء إنجليزية..كل علم الكيمياء في أي دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التي لا هوى لها..وبهذا تكون النتيجة واحدة..سواء كان المعمل إنجليزي أو أمريكي أو سوفيتيا، أو أي معمل من معامل الدنيا..ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات " 55 ، هذا القول للشعراوي على ما فيه من الحماس و التساؤل مدرج ههنا حتى تتضح الرؤية حول بعض القضايا التي حتى و إن وصل العلم المعاصر لبعضها ، فإن بعضها الآخر يبقى سرا لا يعلمه إلا الله تعالى مثل الروح و النفس و قد وردت في القرآن على أنها أمر من الله (أمر ربي) .. و هذا غيظ من فيض ، إذ أن الباحث عن التأسيس العلمي في ثنايا الذكر الكريم ليجد فيه شيئا عجبا " و سوف تشهد القرون المقبلة

⁵⁵ متولي الشعراوي - معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 1978 ، ص: 27 ، 28 .

من إعجاز القرآن آفاقاً جديدة لأن الشواهد دلت على أنه كلما تقدم العلم وتعمق الإنسان في بحوره يجد مع كل ظاهرة علمية كانت في طي الخفاء أن لها أصولاً في القرآن سابقة عليها ، وسوف يبقى هذا السبق سمة ملازمة للقرآن ومستوعبة لكل ما سوف تأتي به العلوم على مدى الأزمان ، وفي هذا ما يؤكد ويحقق قول الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّهِمْ إِنَّا فِي الْأَفَاقِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَيِّتَ مَبِينَ لَهُمَّ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ " 56 ، و مجالات البحث العلمية التي فحصت المتن القرآني كثيرة جداً ، فمنها علم الاجتماع و السياسة و الإدارة و الاقتصاد ، و البيولوجيا (علم الأحياء) و الطبيعة و الطب ، و الرياضيات و الفيزياء ، و الفلك إلى غير ذلك من العلوم الوضعية أو علوم الآلة التي من واجب الإنسان أن يبحث فيها .

7- دراسات الإعجاز القرآني :

و أيضاً هناك نمط آخر من الدراسات القرآنية و هو البحوث التي عنيت بظواهر و ثوابت الإعجاز الذي ثبت وروده في القرآن الكريم ، " و في حديث طويل للرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن اتبع الهدى من غيره أضله الله فهو جبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيف به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشعب منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة التكرار، و لا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا) من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم) " 57 ، إذ نلمح من هذا القول الصادق للرسول الكريم أنه المحطة الرئيسية و البرهان الصحيح لإثبات الإعجاز في القرآن الكريم ، و عناصر الإعجاز في القرآن كثيرة جداً ، و يبدو أن أكثرها لفتاً للنظر اللغة التي نزل بها القرآن و هي اللغة العربية إذ " كان الوليد بن المغيرة أشد المؤمنين بأن ما يتلوه محمد من القرآن حق لا ريب فيه ، وكان يقول لقومه عن القرآن: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وكان ينصح قومه أن يتروكوا محمداً وشأنه لأنه توسم مجسه المرهف أن دعوة محمد ستكون لها شأن و أي شأن " 58 ، و يمكن أن نلخص وجوه الإعجاز بقول محمد محمود شاكر في مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي فيما يلي : 59

الأول : أن قليل القرآن و كثيره في شأن الإعجاز سواء .

56 محمد إسماعيل إبراهيم - القرآن و إعجازه العلمي، دار الفكر العربي ، درط ، بيروت ، دتظ، ص: 8 ، 9 .

57 السابق، ص : 13 ، 14 .

58 المرجع نفسه، ص : 19 .

59 مالك بن نبي - الظاهرة القرآنية، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط9 ، دمشق ، 2009، ص: 30 ، 31 .

الثاني : أن الإعجاز كائن في رصف القرآن و بيانه و نظمه ، و مباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم و بيان في لغة العرب ، ثم في سائر لغات البشر ، ثم بيان الثقليين جميعا ، إنسهم و جنهم متظاهرين .

الثالث : أن الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر ، و الذي هو ليس من كلامهم .

الرابع : أن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان بمثله ، أو بعشر سور مثله مفتريات ، هو هذا الضرب من البيان الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر .

الخامس : أن هذا التحدي لم يقصد به الإتيان بمثله مطابقا لمعانيه ، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه و اختلاقه ، من كل معنى أو غرض ، مما يعتلج في نفوس البشر .

السادس : أن هذا التحدي للثقلين جميعا إنسهم و جنهم متظاهرين ، تحد مستمر قائم إلى يوم الدين .

السابع : أن ما في القرآن من مكنون الغيب ، و من دقائق التشريع و من عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز ، و إن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلا على أنه من عند الله تعالى ، و لكنه لا يدل على أن نظمه و بيانه مباين لنظم كلام البشر و بيانهم ، و أنه بهذه المباينة كلام رب العالمين ، لا كلام بشر مثلهم .

8- الدراسات الفكرية و التأملية :

يهتم هذا الجانب المهم من الدراسات القضايا التي يناقشها الفكر بواسطة التدبر و العقل ، إذ أن القرآن يشجع و يحث الإنسان على الفهم الجيد لأي القرآن ، و لا يتم ذلك إلا بواسطة التفكير في العلاقات ما بين وحدات البنية القرآنية بمختلف مستوياتها ، و عباس محمود العقاد أحد المفكرين الذين يرون أن التفكير في القرآن هو في الحقيقة فريضة إسلامية يقول : " و من أعلى خصائص العقل الإنساني (الرشد) و هو مقابل لتمام التكوين في العاقل الرشيد ، و وظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم ، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف و عليها مزيد من النضج و التمام و التمييز بميزة الرشد حيث لا نقص و لا اختلال ، و قد يؤتى الحكيم من نقص في الإدراك و قد يؤتى العقل الوازع من نقص في الحكمة ، و لكن العقل الرشيد ينجو به الرشد من هذا و ذلك ..

و فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها و مدلولاتها . فهو يخاطب العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم و العقل الرشيد، و لا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب

الأديان .. "60 ، و هناك دراسات عاجلت بعض القضايا المهمة من مثل قضية النبوة و ارتباطها بقضية أخرى هي قضية الملك ، و هذا ما نجد له تسويغا و طرحا وجيها لدى الدكتور إبراهيم شعيب في كتابه : ثنائية النبوة و الملك في قصة سيدنا سليمان ، و ذلك عبر سلسلته المسماة التنظير القرآني للوجود الإنساني ، يقول في معرض الحديث : " و قد أبان الله تعالى أنه ترتب على هذا الانحياز لفكرة (الخلد و الملك الذي لا يبلى) إهباط الكل إلى عالم الأرض ، و تقرر استقرار البشر في الأرض ، فيها حياتهم و فيها مماتهم و منها يخرجون يوم البعث ، هذه حقيقة وجودية قالها الله الخالق ، و مهما حاول العقل البشري أن يعيش خارج هذا الكوكب الذي جعله الله استقرارا للوجود البشري فلن ينال ذلك ، مهما تحدى بوسائله التكنولوجية فلن ينال الحياة إلا في هذا الكوكب الأرضي الذي خصصه الله للبشر ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَهَبْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عُلُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (24) قَالَ فَمِ مَتَّحِينَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ "61 ، إذ أن المطروح هنا هو التأمل في الكيفية التي انتقل فيها الإنسان - منذ خلقه الأول - من الجنة إلى العالم الأرضي ، و مناط الأمر إدراك الأنظار العجيبة في العلاقات ما بين البنية و البنية ، و ما بين الدلالة و الدلالة ، و ما بين السياق و السياق ، على نحو تأملي و فكري .

و لعل المفكر الألمعي الذي نراه استقصى ما في القرآن من ظواهر بصورة هي أقرب إلى الفكر و الفلسفة مالك بن نبي في كل كتاباته على العموم ، و لكن في كتابه المكتوب بالفرنسية: الظاهرة القرآنية ، الذي ترجم إلى العربية من قبل عبد الصبور شاهين ، يمكن أن نلاحظ من خلاله أنه قد ناقش الخطاب القرآني بأبعاد استقصائية ، " فإن منهج مالك في تأليفه دال أوضح الدلالة على أنه إنما عني بإثبات صحة دليل النبوة ، و بصدق دليل الوحي ، و أن القرآن تنزيل من عند الله ، و أنه كلام الله لا كلام بشر ، و ليس هذا هو إعجاز القرآن كما أسلفت ، بل هو أقرب إلى أن يكون بابا من علم التوحيد ، استطاع مالك من أن يبلغ فيه غايات بعيدة "62 بحسب ما يقول محمد محمود شاكر في تقديمه لهذا الكتاب ، و يقول مالك بن نبي : " إن ارتيادنا القرآن و تأملنا له مع اختلاف مقاصدنا و مع تعلقنا مقدما بمزاعم المثقفين المحدثين ، يبهرنا بنظام أفكاره الغريب ، و مادتها العجيبة ، على أن اهتمامنا قد تزايد منذ بعيد بازدياد سياحتنا في هذا العالم الذي يمتاز بنظامه و هندسته و طبيعته الخاصة ، و هو في هذه المعاني جميعا يشبه دوائر المعارف العلمية أو الكتب التعليمية المعدة لتطبيق خاص .. و نحن هنا نجد أنفسنا ملزمين (باعتراف) هو اعتراف مثقف أقبل على القرآن بطوية فطرية ، كيما يكتشف فيه (كومة) من المعلومات المحددة، كأنه يطلع

60 عباس محمود العقاد - التفكير فريضة إسلامية، مكتبة رحاب ، درط ، الجزائر ، دقت، ص: 6 ، 7 .

61 إبراهيم شعيب - ثنائية النبوة و الملك في قصة سيدنا سليمان، مطبعة بن سالم ، ط1 ، الأغواط الجزائر ، 2009، ص: 11 .

62 مالك بن نبي - الظاهرة القرآنية : 26 .

على أحد المجلدات الفنية "63 ، فمن هذا المنطلق " يتمثل الركن الأول في الجهاز المعرفي الأسلوبى الذي يقارب من خلاله مالك بن نبي قضية الإعجاز القرآني في متلقي القرآن الكريم عامة ، و بالخصوص المسلم في العصر الحديث و المسلم ذي الصلات العميقة بالثقافة الغربية بالأخص ، و تتأسس معاينة بن نبي لهذا المتلقي المسلم بالخصوص من خلال رصد بنيته الذهنية و مكوناتها الثقافية مع تشغيل أدواته المعرفية المنهجية في التنقيب عن العلل التاريخية الفاعلة في هذه البنية " 64 و هناك كتاب آخر للمفكر الإسلامى محمد أبو القاسم حاج حمد ، و قد حاول أن يخوض فيه فكريا عبر تقاسيم القرآن ، و ذلك من خلال كتابه : العالمية الإسلامية الثانية ، ففي تأليفه هذا الكتاب يقول الكاتب: " الكتاب كله معاناة كبيرة في سبيل إعادة الرباط المفهومي بين جدليتين مختلفتين: جدلية (الغيب) حيث يبلغ الخلق حدا أقصى من التمايز ، وحدا مثاليا في القدرة ، فيتجاوز قدرات (التعليم)، و جدلية (الطبيعة) حيث نبلغ أقصى في (التحديد) باتجاه (التعميم) . وفي سديم الفارق الكبير ما بين (الخلق التمايز) المشبع بروح المطلق وقوته ، و (التحديد الوضعي) التابع من ضرورات الفهم البشرى يخلق هذا الكتاب ويجاور ويستخلص ويستنتج ، محاولا تأطير العلاقة ما بين المطلق والنسبي، ما بين الكلي والجزئي. ما بين الله وإنسانه في الطبيعة حيث يعيش هذا الإنسان -في عصرنا- جدلية بكل زخمها. فكيف يأتي الحوار بين عالم (الغيب) وعالم (الشهادة) " 65 ، بحسب قراءة و عرض ونقد : عبد اللطيف زكي أبو هاشم في موقع دنيا الرأي الإلكتروني ، و قد اقتضت منهجية كتاب (العالمية الإسلامية الثانية) أن يبحث عن الدلالات المستترة للحركة التاريخية من منظور قرآني متجسدة في الإنسان العربى ماضيا وحاضرا ومستقبلا... دلالات تنيط بالإنسان العربى دورا كبيرا ضمن مقومات عالمية جديدة تتجاوز كل التصورات بما فيها تصور الإنسان العربى عن نفسه، حتى وهو في قمة تحلفه ونكوصه وسلبيته. ولذلك حاول المؤلف أن يتجاوز الفهم التقليدي الجزأ للقرآن- كما يقول- وأن يقرأ القرآن الكريم في وحدته المنهجية الكلية ، متوسلا إلى ذلك بأدوات معرفية حديثة مستفأة مما حققته العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية... وبعض ما يبني عليها من فلسفات، ومن منجزات نوعية، ووعي منهجي و تأطير معرفي، وعمق في تحليل الصيرورة التاريخية للحضارة العالمية الراهنة، ولا يفوته أن ينتقد ما تعيشه من تحديات وأزمات وإخفاقات، كهروبها نحو البراغماتية المطلقة وتبريرها الفلسفي للصراع وما نتج عنه من نتائج وخيمة عالميا على الصعيد الفلسفي والنفسي والعملية " 66 ، بحسب قراءة مسعود صحراوي في موقع الملتقى الإلكتروني .

63 السابق، ص : 282 .

64 الأخضر جمعي - قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبى عند العرب، موفم ، درط ، الجزائر ، 2002، ص: 106 .

65 عبد اللطيف أبو هاشم زكي - قراءة في كتاب العالمية الإسلامية الثانية، <http://pulpit.alwatanvoice.com/content-41208.html> ،

66 مسعود صحراوي - كيف يفهم صاحب العالمية الثانية لغة القرآن ، <http://www.almultaka.net/showmaqal> ،

هذا و يمكن اعتبار أعمال نصر حامد أبو زيد أيضا محاولة لتجديد الاتجاه العقلي في التفسير القرآني مؤصلا للفكر الاعتزالي في التراث العربي ففي خاتمة كتابه نقرأ: "و أياً كان تقويمنا لجهود المعتزلة، فالذي لا شك فيه أنهم حاولوا مخلصين رفع التناقض بين العقل و الشرع من جانب، و بين النصوص المتعارضة ظاهرياً في القرآن من جانب آخر. و كانت جهودهم في مجالات المعرفة و اللغة و المجاز- لخدمة هذه المهمة- إنجازاً له آثاره العديدة على هذه المجالات"⁶⁷.

هذه بالإجمال بعض الرؤى و التوجهات الكثيرة بمشاربها و تشابكها و تعقداتها ، و التي حاولت أن تصنف مدونة القرآن الكريم ، و المجال المتاح لا يكاد يستوفي شرطاً واحداً من أحد التصنيفات ، و إنما أتية(نا) ببعض هذه التصنيفات و أشدد على القول بأنها بعض التصنيفات فقط و ليست كل التصنيفات ، مجرد النمذجة لما وصل إليه الدرس القرآني من تصنيفات في الحد التقريبي و النسبي ، محاولة م(نا) لقراءة هذا الانبثاق و التكوثر مجرد التقرب من حواف هذا الخطاب المقدس ، و تناول(نا) لم يكن في القرآن في ذاته و إنما في الخطاب الذي دار حول الخطاب القرآني ، فماذا لو كان مدار الأمر في القرآن نفسه ؟

إن هذا التعدد الكلامي حول الكلام الإلهي ، هو دليل على صحة من يقول : إن القرآن حمال أوجه ، و على هذا الأساس ، و من منطلق كهذا لابد من قراءة تصنيفية لإيضاح الأبعاد الخصائية لما تم التوصل إليه من خلال هذه الجولة في تصنيف الدراسات القرآنية .

4- ملاحظات في الدراسات القرآنية :

- الملاحظة الأولى تبدى في كثرة الدراسات القرآنية و تشعبها و ذلك يرجع إلى :
 - طبيعة و خصائص القرآن الذي هو ليس بكلام بشر .
 - و يرجع كذلك إلى أن القرآن قد تناول أغلب المناحي و الحاجات البشرية .
- و بالإمكان إجمال الدراسات القرآنية على نحو نسبي في :
 - التفسير .
 - التأصيل العلمي من خلال القرآن .
 - دراسات إثبات الإعجاز القرآني .
 - الدراسات الفكرية و التأملية في القرآن الكريم .
- الملاحظة الأخرى هي غلبة دراسات التفسير على باقي الدراسات ، ثم اتسام التفسير بالطابع العلمي ، حتى بات يسمى علم التفسير ، و ذلك يرجع إلى :

⁶⁷ نصر حامد أبو زيد- الاتجاه العقلي في التفسير، المركز الثقافي العربي، ط 06، المغرب، 2007، ص: 246 .

- أن القرآن مصدر من مصادر العقيدة و الفقه و التشريع .
- حاجة الناس إلى فهم دينهم من خلال القرآن .
- أن للتفسير رغم اتفاهه في مدونة واحدة إلا أنه متعدد الرؤى في بعض طروحاته ، بحسب المفسرين و اتجاهاتهم .

و هكذا نجد أن المدونة الغالبة في الدراسات القرآنية هي التفسير أو علم التفسير أو دعنا نقول خطاب التفسير ، فهل يمكن أن نعتبر التفسير نوعاً من أنواع الخطابات ؟

التفسير القرآني يعتبر خطاباً بالدرجة الأولى ، لتوفره على العناصر الخطابية من مثل باث و الذي هو المفسر ، و رسالة خطابية معينة و تختلف كل رسالة تفسيرية عن غيرها ، و متلق لهذه الرسالة الخطابية ، ثم توفر السياق و الظرف المعين ، و وجود سنن أسلوبية متعارف عليه ، و الأكثر من هذا هو قابلية هذه المدونة التفسيرية للتصنيف العام ، إذا اعتبره خطاباً من هذه الوجهة .

إذا لابد أن نحدد المفاهيم الخاصة بالخطاب ، و الخصائص التي يتميز بها ، و كذلك أن نحاول الولوج إلى الإجراءات التي تندرج فيما يسمى تحليل الخطاب ، و محاولة الإشارة إلى إطارها العام و الخاص ، و ذلك حتى يتسنى معرفة الإجراء الأهم الذي تشترك فيه كل الخطابات .

الفصل الثاني

(مفاهيم الخطاب - الأصول، الحدود، الآليات -)

- توطئة

- مفهوم الخطاب

- الخطاب و النص

- تعدد الخطابات

- العناصر النظرية للخطاب

- الخطاب و تحليل الخطاب

- بعض آليات تحليل الخطاب

- الخطاب و آلية السياق

1- توطئة :

يعتبر الحديث عن الخطاب أو الخطابات من الأحاديث المهمة ، لأن تناول مفاهيمه يساعد على بناء التصور الأمثل لطبيعة التواصل البشري و محاصرة الكم الأوفى من خصائصه و قوانينه التي هي دأب كل باحث في هذا العصر ، و من هذا المنظور تتوجه كل الأبحاث إلى محاولة الإلمام بما توفر من مدونات خطابية ، حتى أصبح الخطاب خطابات ، و صار بالإمكان أن نسمي كل ما يدخل في إطار التواصل البشري نوعا من أنواع الخطابات ، سواء كان ذلك أصواتا ملفوظة أو إشارات أو كتابات أو رسوما أو صورا ، و يمكننا فضلا عن ذلك ، أن نعتبر السيناريوهات الفيلمية نوعا من أنواع الخطابات ، إذاً هناك نوع من الهروب من إمكانية التحديد عند أي محاولة للتصنيف ، نظرا لتناسل الأنواع في الخطابات ، كما أننا نلاحظ أن هذا الاختلاف في وجوه التناول للمرامي التصنيفية مرده أيضا لاختلاف وجهات نظر النقاد و الباحثين و منطري تحليل الخطاب ، غير أن أي مقارنة إجرائية من قبل المحللين تحدث آليات معينة تتشاكل في بعض ، و تتباين في البعض الآخر ، بحسب متطلبات المدونة الخطابية ، و للولوج إلى الأبعاد التي هي من حدود الخطاب ، لا بد أولا أن نمر عبر مفهوم الخطاب حتى نتضح لنا الصورة أكثر.

2- مفهوم الخطاب :

- في اللغة :

يقول الجوهري في معجمه الصحاح " خطب : الخَطْبُ : سبب الأمر ، نقول : ما خطبك . و خطبت على المنبر خطبةً بالضم . و خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا . و خطبت المرأة خطبةً بالكسر ، و اختطبت أيضا فيهما . و الخطيب : الخاطب ، و الخطيبي : الخطبة "68 .

و يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط " الخطب الشأن ، و الأمر صَغُرُ أو عَظُمُ ، ج: خطوب . و خطب المرأة خطباً و خطبة و خطيبي ، بكسرهما ، و اختطبتها ، و هي خطبه و خطبته و خطيباه و خطيبته ، و هو خطبها ، بكسرها ، و يضم الثاني ، ج : أخطاب

68 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري- الصحاح، ص : 327 .

... و فصل الخطاب : الحكم بالبينة ، أو اليمين ، أو الفقه في القضاء ، أو النطق بأما بعد
69"

و ورد لفظ الخطاب في المصباح المنير للفيومي بما معناه : " (خاطبه) مخاطبة و خطابا و هو
الكلام بين متكلم و سامع و منه اشتقاق الخطبة بضم الخاء و كسرهما باختلاف معنيين فيقال
في الموعظة خطب القوم و عليهم من باب قتل خطبة بالضم و هي فعلة بمعنى مفعولة نحو
نسخة بمعنى منسوخة و غرفة من ماء بمعنى مغروفة و جمعها نُخَبٌ مثل : غرفة و غرف فهو
خطيب و الجمع الخطباء و هو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم . " 70
- الخطاب في التراث العربي و اليوناني :

تنوع مفهوم الخطاب في التراث العربي تنوعا واضحا ، ففي التعبيرات العربية القديمة نراه
يحمل مدلول الرسالة ، فيقال : هذا خطاب فلان لفلان ، و مرة أخرى عبر به عن الخطبة التي
يلقيها الخطيب ، " و يرتبط الخطاب بالخطابة في النصوص التراثية ، فالخطابة في ميدان النشر
بمنزلة القصيد في ميدان الوزن ، فهي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة الشعرية ، و من ثم
فإن الجاحظ إذا تكلم في بعض النصوص عن الخطابة و السياق ، فهو يقصد البلاغة ، و لم
يذكروا بالخطابة و لا بهذا الجنس من البلاغة ، و ليس هذا معناه أنه لا يفرق بينهما ، ولكنه
يتصور العلاقة بينهما على هذا الشكل ليس أكثر ... و لو أردنا التعبير عن هذه العلاقة ،
لكان الشكل الآتي ، هو الكاشف عن العلاقة التي تجعل البلاغة جنسا ، و الخطابة نوعا :

(كل الخطابة = البلاغة) أما (كل بلاغة ≠ الخطابة) " 71 ، و قد دلت أيضا على قوة
الإدراك .. إلخ " إذ ورد في القرآن الكريم ، بصيغ متعددة ، منها : صيغة الفعل في قوله تعالى :
﴿و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [سورة الفرقان آية 25] ، و المصدر في قوله تعالى :
﴿رب السموات و الأرض لا يملكون منه خطابا﴾ [سورة النبأ آية 78] ، و في قوله تعالى عن
داود عليه السلام : ﴿و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب﴾ فقد عد الرازي صفة
فصل الخطاب ، من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداود ، معتبرا إياها من علامات حصول

69 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - القاموس المحيط، ص : 478 .

70 أحمد بن محمد بن علي الفيومي - المصباح المنير ، تح : يحيى مراد ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، مصر ، 2008 ، ص : 106 .

71 عبد القادر شرشار - تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الأديب ، درط ، وهران ، 2006 ، ص : 11 .

قدرة الإدراك و الشعور ... لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، و يحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء " 72 .

أما تصورها عند اليونان فهي شيء آخر " إذ يرتبط الحديث عن الخطاب بالخطابة التي فصلها أرسطو طاليس عن الشعر ، و قد قال عن مكوناتها : أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث : إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات و الثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ ، و الثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول . و نستخلص من مقولة أرسطو عناصر الخطابة الآتية :

- عنصر الإقناع أو البراهين .
- الأسلوب أو التنظيم أو البرهان .
- ترتيب أجزاء القول . " 73

الخطاب في الاصطلاح :

المصطلح في عرف البحث العلمي هو ما تم الإجماع على حقيقته ، بحيث يكون مفهومه جامعا مانعا ، و في الحقيقة لا يحصل هذا المفهوم إلا بتظافر عدد من التعريفات من مناحٍ عديدة ، إذ أن التعريفات تشكل أرضية لمفهوم، و مادام أن الأمر يتعلق بمفهوم الخطاب فإن مفهومه تأرجح " بين النسخ عن الغرب، و اتخاذ مفاهيمهم أساسا للحكم على النص العربي، و بين الانطلاق من المفهوم الغربي و صياغة مفاهيم جديدة تتساق و النص العربي المدروس . و في الحالتين يصار إلى استبعاد الأساس العربي الذي رسم حدودا لمفهوم الخطاب لا تبعد في جوهرها عن المفهوم الغربي الحديث له "74 ، لذلك "يجب أن نفهم الخطاب في مدلوله الأوسع، باعتباره كل تلفظ يفترض متكلماً و سامعاً، و عند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة معينة"75 ، و لا بأس في أن نحاول طرح عدد من التعريفات الاصطلاحية على النحو التالي :

⁷² عبد الهادي بن ظافر الشهري - إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 01 ، لبنان ، 2004 ، ص: 34 ، 35 .

⁷³ عبد القادر شرشار - تحليل الخطاب الأدبي، ص : 11 .

⁷⁴ مهى محمود إبراهيم العتوم- تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004، ص: 20 .

⁷⁵ Emile Benveniste- Problèmes de linguistique générale, T1, Edi Gallimard, Paris, 1966, P:240-241.

يَعُدُّ بعض الباحثين كلام دي سوسير عن الكلام كلاما يقصد في معناه الخطاب ، مثل ما نجد في حديث رابح بوحوش : " تعود نشأة الخطاب الأولى إلى (فرديناند دي سوسير) صاحب كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) ... الكلام : هو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي و إرادة ، و يتصف بالاختيار الحر ، و حرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي .. " 76

و يقول سعيد يقطين : " لتحديد الخطاب و تحليله التحديد و التحليل المقبولين علينا أن نحدد الاتجاه الذي ننتمي إليه و المجال الذي نشتغل فيه وفق أسئلة ابستمولوجية محددة . نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة : لماذا هذا التعريف ؟ ماهي الأدوات و الإجراءات المناسبة ؟؟ إلى ماذا نبغي الوصول ؟ و كيف؟؟ ... " 77 .

هذه النتيجة الاستفهامية التي مؤداها توحي التعريف و التحديد ، توصل الباحث إليها من خلال طرحه لعديد التوجهات التي حاولت أن تلامس الخطاب مفهوما ، بتناوله الطرح اللساني الذي يتبناه زيلغ هاريس ، و الذي ذكر الباحث أنه أول من حاول وضع تحديد عام للخطاب بانطلاقه من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب ، فيقول هاريس في تعريفه للخطاب بأنه " ملفوظ طويل ، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر ، بواسطة المنهجية التوزيعية و بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض " 78 ، ثم يعاين سعيد يقطين فعل التلفظ عند إميل بنفنست الذي يعرف الخطاب " باعتباره الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات و عمليات اشتغاله في التواصل " 79 ، بعدها يتكلم يقطين عن توجه فرانسوا راستيه و ضرورة قيام علم خاص بالخطابات ، و يتناول بعد ذلك مفهوم الخطاب عند مانغينو maingueneau الذي يضيف مقام التواصل إلى خاصية الإنتاج و الدلالة ، و جون كارون ، و موشر j.moeshler ، و ستابس . stubbs .

و نجد باحثا آخر و هو فرحان بدري الحربي يجمع مقولات مهمة قيلت في الخطاب محاولا استيفاء وجوه التطور الحاصل في المفهوم شأنه في ذلك شأن سعيد يقطين ، يقول :

76 رابح بوحوش - الأسلوبيات و تحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار ، درط ، عنابة ، 2006 ، ص: 71 .

77 سعيد يقطين - تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط 04 ، المغرب ، 2005 ، ص: 26 .

78 المرجع نفسه، ص : 17 .

79 المرجع نفسه، ص: 19 .

" - الخطاب مصطلح مرادف للكلام parole ، بحسب رأي (سوسير) اللساني البنيوي ، و هناك خطاب أدبي بحسب رأي (موريس) .

- الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباحث (المتكلم) ، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة ، بحسب رأي (هاريس) .

- هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية بحسب (بنفنست) .

- مفهوم الخطاب يقابل مفهوم الملفوظ ، في المدرسة الفرنسية ، إذ أنهم يرون أن النظر إلى النص بوصفه بناء لغوي يجعل منه ملفوظا أما البحث في ظروف إنتاجه و شروطه فإنه يجعل منه خطابا .

- و هو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة ، في استعمال اللغة ، بحسب رأي (تودوروف) .

فهو : أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو و مستمع و عند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة كما يقول (بنفنست) "80

في حين نجد أن عبد الهادي بن ظافر الشهري يعنيه من الخطاب الاصطلاح اللغوي ، و يتبنى في ذلك وجهة نظر كل من (ديبورا شيفرن) و (جيفري ليتش) يقول : " حدُّ الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا "81

و تعطي خلود العموش للخطاب تعريفاً تواصلياً ، تقول : " نجد أن الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالاً يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب "82
بينما في مفهوم أحمد المتوكل " يعد خطابا كل ملفوظ / مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات "83 .

يمكن استقصاء ثلاثة أمور من هذا التعريف :84

80 فرحان بدري الحربي- الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 01 ، لبنان ، 2000 ، ص: 39 ، 40 .

81 عبد الهادي بن ظافر الشهري - إستراتيجيات الخطاب، ص : 39 .

82 خلود العموش - الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث ، ط 01 ، الأردن ، 2008 ، ص: 24 .

83 أحمد المتوكل - الخطاب و خصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط01، المغرب، 2010 ، ص: 24 .

84 السابق، ص : 24 .

أولاً، تحييد الثنائية التقابلية جملة/ خطاب حيث أصبح الخطاب شاملاً للجملة،

ثانياً، اعتماد التواصلية معياراً للخطابية،

ثالثاً، إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطاباً نص كامل أو جملة أو مركب...

و مما سقناه يتضح أن الخطاب مفهوم أوسع و أشمل من الجملة ، و إنما يتحدد معناه المفهومي بناء على التلفظ أو العلاقة بين طرفين : مخاطب و مخاطب ، " فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي و شمولي ، لا يتوقف على البعد اللساني وحده ، و لا على البعد الاجتماعي و التاريخي الذي يعتبر النص انعكاساً لحركة الدلالة في التاريخ ، كما لا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدد ، و لكنه يمازج بين هذه الأبعاد نظراً و تطبيقاً "85 .

غير أن أبي البقاء الكفوي في كلياته يعطي مفهوماً يأخذ في حسابانه ما يزيد عن اللغة المنطوقة أو المكتوبة إلى الإشارات ، يقول : " الخطاب : اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه احتراز " باللفظ " عن الحركات و الإشارات المفهومة بالمواضعة و " بالتواضع عليه " عن الألفاظ المهملة ، و " بالمقصود به الإفهام " عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطاباً ، وبقوله : " لمن هو متهيئ لفهمه " عن الكلام لمن لا يفهم كالتائم والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس ، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام "86 .

و من هذا المنطلق، "فإن الخطاب يأخذ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى كالتالي:

- بالنسبة إلى الجملة: يعتبر الخطاب وحدة فوق جمالية.
- بالنسبة إلى الملفوظ: يشكل الخطاب وحدة تواصلية مجموعة بظروف إنتاج معينة و تشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهة بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثاً عن الخطاب.

85 محمد عبد الباسط عيد - النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص : 17 .

86 أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي- الكليات، ص : 419 .

- بالنسبة إلى النص: يعتبر النص خطاباً إذا نظرنا إليه مجموعاً مع سياق إنتاجه.
- بالنسبة إلى التلفظ: يعد التلفظ حاملاً نوعياً لسياق الخطاب، و على هذا فهو ضروري في اعتبار الملفوظ خطاباً⁸⁷.

لا نحاول هنا أن نكون مفهومًا شمولياً للخطاب بالتوليف بين ما سبق إيراده ، لأن هذه المحاولة على وجهتها ، تصد السبيل أمام مفاهيم أخرى ربما لم يتسع المجال لذكرها أو أن هناك مفاهيم ربما لم نطلع عليها أو لم تصل إلينا ، فترك الباب مفتوحاً لمجموع الآراء - من باب التحرز - أفضل من حصر منهجي آن ، غير أن مفهوم الخطاب يطرح انشغالا آخر عندما نأتي إلى مفهوم النص ، فما هي العلاقة التي تربط بينهما ؟ و هل الخطاب هو النص ؟ و ما حدود تلاقيهما ؟ و ما الفرق بينهما إن اختلفا ؟

3- الخطاب و النص :

نال النقاش حول قضية الخطاب و النص نصيباً كبيراً في الدراسات المعاصرة ، لأنها بالفعل إشكالية اصطلاحية في امتداد كل مفهوم من حيث المعنى ، و على الرغم من المحاولات العديدة التي خاضها بعض الباحثين في إيجاد تخرّيج علمي لهذه القضية ، و على وجهه بعض هذه الآراء من الناحية المنطقية ، إلا أن ذلك لم يحل الإشكال بصفة نهائية ، و هذا راجع إلى اتسام المصطلحين بالطابع الجدلي بالدرجة الأولى ، ثم اشتراكهما في كثير من الخواص ، و راجع كذلك إلى الاستعمالات من قبل بعض الباحثين الذين لا يميزون بينهما أو أن التفريق ما بين هاذين المفهومين لا يعنيهما في فترة من الفترات ، و لكن سنحاول أن نورد بعض الآراء التي تناولت محاولة التمييز ما بين الخطاب و النص .

و بما أننا حاولنا أن ننظر إلى الخطاب لغة و اصطلاحاً في البند السابق ، فلا بأس في أن نذهب مباشرة إلى مدلول النص على جهة المفهوم ، و قبل ذلك ، لا بد أولاً أن نستدرج المعنى من الناحية المعجمية ، يقول الفيروزآبادي في مادة (ن.ص.ص) : " نصّ الحديث إليه : رفعه ، و - ناقتة : استخراج أقصى ما عندها من السير ، و - الشيء : حركه ، و منه : فلان ينص أنفه غضباً ، و هو نصاص الأنف ، و - المتاع : جعل بعضه فوق بعض ... و نصص غريمه و ناصه : استقصى عليه و ناقتشه⁸⁸ .

⁸⁷ محمود طلحة- تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، ط 01، الأردن، 2011، ص: 18 .

⁸⁸ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - القاموس المحيط، ص: 1615 ، 1616 .

و يقول الفيومي فيها " نصص : (نصصت) الحديث نصا من باب قتل رفعتة إلى من أحدثه . و نص النساء العروس نصا رفعتها على المنصة و هي الكرسي الذي تقف عليه في جلأئها .. " 89 .
و في الأصل الغربي أي اللاتيني ، فمعنى كلمة (نص) " في اللغات الأوربية ، فإننا نجد كلمتي :
texte, text مشتقتين من (textus) بمعنى النسج (tissu) المشتقة بدورها من texere
بمعنى نسج . " 90 .

و معنى النص في التراث العربي يقصد به الرفع و الإظهار ، و بحسب ما ينقله لنا شرشار عبد
القادر فإن " معنى النص بقي محصورا في الدلالة على الكتاب و السنة ، بالإضافة إلى دلالات أخرى ،
ك: نص الشيء رفعه و أظهره ، و إن كان حديثا أسنده إلى قائله ، و نص الناقة استحشها بشدة ، و
الشيء حركه " 91 .

النص اصطلاحا :

يحدده محمد الشاوش على اعتبارات ثلاثة - المنطلق فيها - الإجراءات النحوي ، فيقول :⁹²

- النص باعتباره مصدرا يمكن أن يدل أصلا على الحدث غير مقترن بزمان و هو مؤهل نظرياً لأن ينتقل للدلالة على معنى الاسم شأنه في ذلك شأن سائر المصادر ،
- النص عند النحاة القدامى لفظ دال على معنى الحدث لا يفارقه ، و من أدلة ذلك عدم عثورنا على استعمالات عمدوا فيها إلى جمع النص على نصوص ، باعتبار أن الجمع أفضل رائر للاستدلال على مفارقة المفردة لقسم المصادر و انتقالها إلى قسم الأسماء ،
- النص عندنا اليوم : لفظ تمحض للاسمية و يدل على معنى الاسم لا يكاد يفارقه ، و لك أن تستدل على ذلك بعد استعماله مصدراً قائماً على الإضافة اللفظية و عاملاً في مفعول ، كما في القول التالي : (نصّ الأستاذ على الأخطاء) يجعل كلمة نصّ رأس مركب شبه إسنادي قائم على عمل المصدر في المفعول .

⁸⁹ أحمد بن محمد بن علي الفيومي - المصباح المنير، ص: 369 .

⁹⁰ عبد القادر شرشار - تحليل الخطاب الأدبي، ص : 19 .

⁹¹ المرجع نفسه، ص: 19 .

⁹² محمد الشاوش - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، كلية الآداب منوبة، ط 01، تونس، 2001، ص: 186 .

و بالتالي فإننا نعتقد أن استعمالات النحاة لعبارة (النص) كتلك التي وردت فيما نقلناه من أقوالهم لا يمكن أن تتركب مطية للاستدلال على استعمال هذه المفردة بالمعنى الذي أصبحنا نستعملها به اليوم .

و مما اصطُلِحَ عليه لدى الأصوليين مصطلح النص ، و قسموه إلى ما لا يقبل التأويل و هو النص ، و إلى ما يقبل التأويل و هو الظاهر و " يفرق الغزالي بين مفهوم النص باعتبار دلالة قطعية لا تحتمل التأويل و الظاهر هو التأويل . و هكذا يبين أن الخطاب القرآني يتكون من صيغتين هما : النص و الظاهر . و يقول لتوضيح المفهوم الثاني (كما ورد عند الشافعي) : و تسمية الظاهر نصا منطبق على اللغة ، لا مانع في الشرع منه ، إذ معنى النص قريب من الظهور . و لكي يوضح الغزالي الفرق بين النص و الظاهر ، كما يؤولهما عند الشافعي ، فإنه يوضحهما بمفهومين بلاغيين حيث يقول : قال الأستاذ أبو إسحاق : الظاهر هو المجاز ، و النص هو الحقيقة ... يمكن أن نعتبر عرض أبي حامد الغزالي لمفهوم النص في كتابه المنحول مقدمة ليعرض مفهومه الخاص للنص في كتابه المستصفي ، حيث يعرفه بقوله : النص اسم مشترك يطلق في تعارف العلماء على ثلاثة أوجه :

- الأول : ما أطلقه الشافعي رحمه الله ، فإنه سمي الظاهر نصا و هو منطبق على اللغة

..

- الثاني : و هو الأشهر ، ما لا يتطرق إليه احتمال لا عن قرب و لا عن بعد ..

- الثالث : التعبير بالنص عما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل " 93

هذا و لكي يزيد علماء الأصول في تفصيل المصطلح ، فقد وزعوه على محورين : " محور الوضوح و يتكون من أربعة مفاهيم و محور الغموض و يتألف هو أيضا من أربعة مفاهيم :

و مفاهيم محور الوضوح هي : الظاهر / النص / المفسر / المحكم .

أما مفاهيم محور الغموض فهي : الخفي / المشكل / الجمل / المتشابه . " 94

أما الغريبون من المنظرين فلهم وجهات متباينة في تعريف النص ، و هم في ذلك ثلاثة أقسام :

93 حسين خيري - نظرية النص، ص : 138 ، 139 .

94 السابق، ص : 145 .

" - يذهب جماعة منهم إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته ، يمثلهم (تودوروف) فالنص في رأيه نظام تضميني نستطيع التمييز بين مكوناته على ثلاثة أوجه : ملفوظي ، و نحوي ، و دلالي و هو يوازي النظام اللغوي و يتداخل معه .

- و قسم ثان يعرفه من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي ، و يمثله (رولان بارت) الذي وجد عند (جوليا كريستيفا) تعريفا جامعا أو أصوليا ، فالنص : آلة نقل لساني و إنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصل أي المعلومات المباشرة ، في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة أو متزامنة و مختلفة ، فالنص بهذا المعنى فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب و القارئ ، و قبل ذلك قدم مفهوما للنص وسمه بأنه تقليدي و شائع و مؤسسي ، فهو نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف و المنسقة بشكل ثابت ، أهم مهماته أنه يضمن بقاء الشيء المكتوب ، و هو مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم (القانون و الدين و الأدب و العلم)

- وأخيرا يذهب قسم ثالث إلى ربطه بفعل الكتابة يمثله : (بول ريكور) و هو منظور إيصالي فالنص هو كل خطاب تثبته الكتابة ، إذ هو أداء لساني و إنجاز لغوي يقوم به فرد معين " 95 .

و يعرفه عبد المالك مرتاض في أن " الأصل في مدلول الوضع اللغوي للنص هو الرفع و الإظهار و بلوغ الغاية في الشيء . و لم نعثر على نصوص شعرية أو نثرية موثوقة تفيد المعنى المتداول على عهدنا هذا إلا ما كان أورده ابن منظور من أن الفقهاء كانوا يقولون (نص القرآن و نص السنة ، أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام) . " 96

و يتناول محمد مفتاح النص من حيث خصائصه اللسانية إذ يقول : " أهم ضابط للنص هو الانسجام و هو يضم عدة عناصر . و في هذا المفهوم خلاف و يمكن أن نتكلم عن مفهوم الاتساق و مفهوم التنضيد . فمفهوم التنضيد هو المرحلة الأولى أي العلاقة بين الجمل : و او العطف ، فاء السببية إلى غير ذلك : ارتباط الكلام ببعضه ببعض و تراصه .

⁹⁵ فرحان بدري الحربي - الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 38 .

⁹⁶ حسين مخري - نظرية النص، ص: 45 .

و نقصد بمفهوم الاتساق العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم بخصوص أو علاقة تضمن . و مفهوم الانسجام هو أعم ، انسجام النص مع العالم الواقعي . إذ إن كل نص هو متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة . " 97 .

و تعرفه خلود العموش بقولها : " أن النص هو كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية و نهاية ، و يتسم بالتماسك و الترابط ، و يتسق مع سياق ثقافي عام أُدرج فيه ، و ينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ و الواقع من خلال اللغة ، و بين بداية النص و خاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي ، و هذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفته التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص و متلقيه " 98 .

الفرق ما بين النص و الخطاب :

نبدأ بمن يسوون ما بين النص و الخطاب ، أي أنه لا يوجد فرق بين النص و الخطاب في رأيهم إلا في لفظ المصطلح ، و من هؤلاء محمد عابد الجابري يقول : " النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب ... الخطاب باعتباره مقول الكاتب - ... - هو بناء الأفكار (..) يحمل وجهة نظر ... فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء " 99

أما غريماس و كورتاس فلهما وجهة نظر مختلفة ف : " النص يرتبط بالكتابي (التشكيلي) و الخطاب بالشفوي (الصوتي) ، إذ يقولان : بوصفه ملفوظا فإن النص يتعارض مع الخطاب و ذلك تبعا لمضمون التعبير - غرافيكي (تشكيلي) أو صوتي - المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني . و حسب بعض علماء اللسانيات (ر . ر . ياكبسون) فإن التعبير الشفوي و بالتالي الخطاب هو الحدث الأول للكتابة التي تصبح مجرد مشتق و ترجمة للتحلي الشفوي " 100 .

بينما يذهب فان دايك إلى علاقة سببية في أن الآلية النظرية للخطاب هي النص ، بينما الخطاب منتوج شفوي ناشئ من فاعلية النص ، " فإنه يميز تمييزا دقيقا بين النص و الخطاب ، إذ أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية و نتيجتها الملموسة ، أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا

97 السابق، ص: 48 .

98 خلود العموش - الخطاب القرآني، ص: 22 .

99 محمد عابد الجابري- تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة ، ط 01 ، بيروت ، 1985، ص: 60 .

100 حسين خمري- نظرية النص، ص: 59 ، 60 .

الخطاب. و بتعبير آخر ، فإن الخطاب ملفوظ (أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية ...
بينما النص هو الشيء المجرد و الافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية " 101 .

و هناك من الباحثين من يقول بالعلاقة الاحتوائية ما بين النص والخطاب ، و من هؤلاء الباحثين
تمام حسان الذي يقول " أن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط
من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق . و إذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي
للمعلومات المنقولة و المنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو
جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما " 102 .

و تذهب خلود العموش تقريباً إلى نفس هذا التوجه ، عندما تقول : " و ليس كل خطاب نصا و
إن كان كل نص بالضرورة خطابا ، فالكلام المتصل خطاب ، و لكنه لا يكون نصا إلا اكتمل ببداية و
نهاية و عبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم " 103 .

و يقول فرحان بدري الحربي : " إن الخطاب يبنى على موضوع ، و هذا الموضوع لابد أن يكون
مفهوما و إلا بطل أن يكون خطابا ، إذا فهناك بنية متعاقبة تشمل الخطاب القائم على الموضوع هذه
البنية تؤدي إلى الفهم و هو ما يؤلف حوارا .

و الحوارية في مفهومها الضيق ، أحد أشكال تكوين الخطاب و هي تمثل حياة النصوص و علاقاتها
في داخل الخطاب ، و هي تختلف عن العلاقات الألسنية التي توجد بين العناصر داخل نظام
اللغة أو في الكلام المنطوق معزولا " 104 .

و لكن الاتفاق الحاصل ما بين الآراء في الغالب ، هو أن الخطاب يكون دائما في مستوٍ أوسع من
النص ، ربما لأن النص كانت إجراءاته نصية محايدة تفصي الخارج (السياق الخارجي) ، و الخطاب
إجراءاته تداولية يعتبر السياق من أهم إجراءاته ، و نقصد هنا بالسياق : السياق الخارجي ، و ليس
السياق اللغوي ، ذلك لأن السياق سياقات .

101 المرجع نفسه، ص: 60 .

102 روبرت دي بوجراند- النص و الخطاب و الإجراءات (مقدمة المترجم : تمام حسان) ، عالم الكتب ، ط 02 ، القاهرة ، 2007 ، ص: 06 .

103 خلود العموش - الخطاب القرآني ، ص : 24 .

104 فرحان بدري الحربي- الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص : 44 .

4 - تعدد الخطابات :

يعدُّ الخطاب منفلت من إمكان التحديد ، و هذه الخاصية جعلته متعددًا و متنوعًا ، إذ الخطاب خطابات في جميع الأعراف النقدية و لذلك " نجدنا أمام تنوع و تعدد الخطابات الشفوية التي تمتد من المحاطبة اليومية إلى الخطبة الأكثر صنعة و زخرفة . و إلى جانب الخطابات الشفوية نجد أيضا كتلة من الخطابات المكتوبة التي تعيد إنتاج الخطابات الشفوية و تستعير أدوارها و مراميها من المراسلات إلى المذكرات و المسرح و الكتابات التربوية .. "105 ، و ربما هذا التنوع مدعاة لنشوء هذا الكم الكبير من الخطابات النقدية حول مدونة الخطاب مهما كان نوعه .

و يتناول الشهري هذا التعدد الخطابي بأسلوب الإستراتيجيات إذ يقول : " يتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب ، في ما يسمى بإستراتيجية الخطاب و هذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له ، بصفة مستمرة و شعورية . و من هنا ، يتحتم على المرسل ، أن يختار الإستراتيجية المناسبة ، التي تستطيع أن تعبر عن قصده ... و تتدخل عناصر السياق الاجتماعية في تحديد استعمال اللغة ، و في انتشار بعض الإستراتيجيات على حساب انحسار البعض الآخر "106 .

أما من حيث أنواع الخطابات ، فلا يمكن بأي حال ، أن نحصر الخطابات في أنماط مخصوصة و مقاييس واضحة ، وهذا راجع كما قد ذكرنا إلى أن هناك ما لا نهاية من الخطابات ، و لكن البعض ، و حاجة في سياق تناولهم الأكاديمي ، حاولوا أن يحددوا نوع الخطاب ، مثل تناول منذر عياشي على لسان فرحان بدري الحربي يقول : " و هكذا يمكن تحديد نوع الخطاب ، فهناك نوعان من الخطاب الأول إيصالي ، و الآخر إبداعي ، مدار الدرس في الأول يقوم حول سؤالين ، ماذا يقول الخطاب ؟ من ذا الذي يقول ؟ ، أما الآخر فإن الدرس يدور فيه حول سؤال واحد هو كيف يقول الخطاب ما يقول ؟ "107 .

و هناك من يميز بين خطاب يكون في خانة النقد ، و خطاب آخر يكون في خانة الأدب ، و مثال ذلك تزفيتان تودوروف إذ الخطاب عنده نوعان : " خطاب نقدي و خطاب أدبي . أما الخطاب

105 سعيد يقطين- تحليل الخطاب الروائي، ص : 19 .

106 عبد الهادي بن ظافر الشهري- إستراتيجيات الخطاب، ص : 56 .

107 فرحان بدري الحربي- الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص : 44 .

النقدي فهو الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمجز لا يستطيع أن يتحدث إلا خطابا مثقوبا ، و هي مرحلة يظهر فيها تحويل الأنا إلى علاقة ، حيث ما يبقى له سوى أن يصمت عبر نوع من الدرجة الصفر للمتكلم ... أما الخطاب الأدبي و الشعري خصوصا ، فهو من منظور التواصلية خطاب يهدف إلى التعبير¹⁰⁸ .

غير أن هذه الرؤية ليست لازمة في التحديد ، لأنه بإمكاننا القول أيضا : خطاب قانوني و خطاب غير قانوني ، و خطاب سياسي و خطاب غير سياسي ، و خطاب تفسيري و خطاب غير تفسيري و لذلك ننوه بأن الخطاب باعتباره مدونة عامة لا يمكن تصنيفها ، لتعدد اللاتهامي ، و إنما يمكن عن طريق المحاولة ، أن نميز فيه جزئيا لحاجة الدرس ، باصطناع مقياس معين في ذلك .

و يمكن أن يكون رأي المتوكل رأيا ذا منطقية في هذا الشأن يقول : " يقترح التلميذ التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا منطلقا فيه من أحد المعايير التالية : الموضوع و الآلية و البنية .

- (1) تصنف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني، و خطاب علمي و خطاب أيديولوجي أو سياسي ...
- (2) و تصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى " الخطاب الفني " (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة و رواية و قصيدة شعر و غيرها .
- (3) أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردية و الخطاب الوصفي و الخطاب الحجاجي .

إن الأمر الذي يجب أن لا يغفل عن ذكره عندما يتصل الأمر بتعدد الخطابات، بأن تعدد أجناس الخطاب هو تعدد لانتهائي¹⁰⁹ ، و يرجع هذا إلى الظروف التواصلية المختلفة و كذا سياقاتها الاجتماعية و التاريخية، و إلى الآراء المختلفة حوله .

5 - العناصر النظرية للخطاب :

¹⁰⁸ رابح بوحوش - الأسلوبيات و تحليل الخطاب، ص : 88 .

¹⁰⁹ J.M.Adam- linguistique textuelle des genres de discours aux textes, Nathan, 1éd, Paris, 1999, P:93.

يبدو المنظور اللساني لعناصر الخطاب أول مقولة منطقية تلقفها الباحثون بمختلف توجهاتهم النحوية أو النصية أو الخطابية أو غير ذلك ، ذلك لأنها تبدو للوهلة الأولى مستوفية لأركان التواصل ، أو أنها قاعدة نموذجية لإضافات أخرى ، و على هذا درج الباحثون يقدمون النماذج محاولين الإلمام بما يدخل في نطاق الخطاب من عناصر نظرية ، و لا بأس في أن نورد الطرح اللساني على عواهنه أولاً ، ثم الطروحات الأخرى من الأصوليين و محلي الخطابات ثانياً .

يتبنى توفيق محمد شاهين الموقف اللساني إذ يقول : " و معنى ذلك : أن عملية الكلام تتم على هذا النحو :

أ - التفكير العقلي أولاً ، و نظراً لأن التشريح للمخ لم يكشف عن ديناميكية و ماهيته تماماً ، فإن الباحث اللغوي لا يقف طويلاً عند عملية التفكير و تفسيرها بالتفصيل ، أمام هذه العملية الفكرية و الأولية .

ب - إصدار الكلام من جهاز النطق (Production) .

ج - الموجات الصوتية الخارجة من فم المتكلم ، و الواسلة - عبر الهواء - إلى أذن السامع (Trasmission) .

د - العمليات العضوية التي تقوم بها أجزاء الأذن (Réception) بعد استقبالها للصوت .

هـ - ترجمة المخ للرسالة التي وصلته ، و التصرف على مقتضاها ، حينما يكون الكلام مفهوماً و مفيداً.

معنى هذا أنه لا بد من متكلم ، و مخاطب ، و أشياء تحول في الفكر و نريد التحدث عنها ، و رموز متفق عليها ، لها في الذهن صور و معان معينة¹¹⁰ .

و لعل أهم نظرية لسانية في هذا المجال ، هي ما جاء بها رومان ياكبسون " و مفادها أن عملية الاتصال تتطلب ستة عناصر أساسية : المرسل (Emitter) و المتلقي (Receptor) و قناة الاتصال (Communicative channel) و الرسالة (Message) ، و شفرة الاتصال (Code) ، و

¹¹⁰ توفيق محمد شاهين - علم اللغة العام، مكتبة وهبة ، ط 01 ، القاهرة ، 1980 ، ص: 70 .

المرجع (Referent) . و استخلص من كل هذا أن اللغة تقوم بستّ وظائف مختلفة : فإذا كان الاتصال يهدف إلى توضيح موقف المرسل نفسه إزاء الرسالة اللغوية فهذه وظيفة تعبيرية (Expressive function) . و إذا كان الهدف من الاتصال التأثير على المتلقي ، فهذه تُعرف بوظيفة النزوع (Conative function) أما إذا تعلق الأمر بالنظر في صلاحية القناة أو بنية المتلقي في إقامة الاتصال أو تقوية الصلات الاجتماعية ، و ذلك كعبارات التحية و الترحيب ، و المجاملة ، و تبادل المشاعر ، أو كقولنا - ألو - للإجابة على الهاتف ، و لفت انتباه المرسل ، فنكون بصدد وظيفة التنبيه أو وظيفة إقامة الاتصال (Phatic function) . و إذا كان الغرض من الرسالة تطوير شكلها بالذات ، فهذه تعد وظيفة إنشائية (Poetic function) . أما إذا كان الهدف من الرسالة توضيح شفرة الاتصال أو شرح بعض المفردات ، فهذه وظيفة واصفة للغة (Metalinguistic) . و أخيرا إذا كان الاتصال يستهدف المرجع بالذات ، فنكون بصدد الحديث عن الوظيفة المرجعية (Referential function) .¹¹¹

و نور الدين السد يحاول أن يوجز الوظائف السابقة على النحو التالي :

- 1 - المرسل و يؤدي وظيفة تعبيرية (أو انفعالية) .
- 2 - المتلقي و يؤكد على الوظيفة الإفهامية (أو المعرفية) .
- 3 - السياق و يبلور وظيفة مرجعية .
- 4 - العلاقة و تُوَظَر بعدا انتباهيا (أو لغويا) .
- 5 - نمطية و تولد وظيفة معجمية (أو ميتا لغوية) .
- 6 - الرسالة و تصوغ أبعادا شعرية¹¹² أو إنشائية عند أحمد مومن .

أما الأصوليون فالخطاب عندهم خطاب خاص هو القرآن الكريم و الحديث الشريف ، و هم يقسمون عناصره على محمل اللفظ ، " و إذا أردنا أن نصوغ فهم الأصوليين لطبيعة اللفظ صياغة نظرية يمكن أن نلخصها بالطريقة التالية :

¹¹¹ أحمد مومن - اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 03 ، الجزائر ، 2007 ، ص: 148 ، 149 .

¹¹² نور الدين السد - الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج 1 ، دار هومه ، ط 01 ، الجزائر ، 1997 ، ص: 225 .

اللفظ

مفهوم

(ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق)

مفهوم مخالفة

(المسكوت عنه مخالف لحكم المنطوق)¹¹³

منطوق

(ما دل عليه اللفظ في محل النطق)

مفهوم موافقة

(المسكوت عنه موافق لحكم المنطوق)

فالتحليل إلى عناصر من الناحية النظرية يختلف من توجه إلى آخر بحسب نوع الخطاب ، و كذلك " يتفاوت المتكلمون في أساليبهم و أدائهم اللغوي - البلاغي حتى يتفوق بعضهم و يتدنى بعضهم في الأداء و التعبير عن المعنى الواحد عن مستوى غيره "¹¹⁴ ، وهنا العناصر الخطائية تخضع أيضا لدور المتكلم و كفاءته ، إذ أن " تمثيل الكفاءة اللغوية لكل من : المتحدث السامع ، لا تتصور إلا إذا تم التعبير عن كفاءة المتحدث و كفاءة المستمع أيضا على نحو آخر ، أي نصف كفاءة كل من المتحدث و المستمع على المستويين، مستوى التركيب أو التآليف *Synthèse* و مستوى التحليل *Analyse* "¹¹⁵ ، و محلي الخطاب يتفوقون مع هذه المسألة و يضيفون أبعادا أخرى تحاول أن تستوفي عناصر الخطاب ، مثل محمد خطابي الذي يتبنى وجهتين ، وجهة هايمس و وجهة ليفيس ، و تناولهما على محمل السياق و بالإمكان إيرادهما على النحو التالي :

أ - المرسل : و هو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول .

ب - المتلقي : المتلقي و هو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول .

ج - الحضور : و هم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي .

د - الموضوع : و هو مدار الحدث الكلامي .

¹¹³ حسين مخري - نظرية النص، ص: 165 .

¹¹⁴ أحمد شامية - في اللغة، دار البلاغ للنشر و التوزيع ، ط 01 ، الجزائر ، 2002، ص: 111 .

¹¹⁵ سعيد حسن مجيزي - علم لغة النص، مؤسسة المختار ، ط 01 ، القاهرة ، 2004، ص: 214 ، 215 .

هـ - المقام : و هو زمان و مكان الحدث التواصلى ، و كذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات و الإيماءات و تعبيرات الوجه ...

و - القناة : كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامى : كلام ، كتابة ، إشارة ...

ز - النظام : اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوى المستعمل .

ح - شكل الرسالة : ما هو الشكل المقصود : دردشة ، جدال ، عظة ، خرافة ...

ط - المفتاح : و يتضمن التقويم : هل كانت الرسالة موعظة حسنة ، شرحا مثيرا للعواطف ...

ي - الغرض : أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلى ...

بالإضافة إلى تصنيف هايمس هناك محاولة أخرى قام بها ليفيس ، و لكن غرضه من تحديد خصائص السياق يختلف عن غرض هايمس ، و هو معرفة صدق أو كذب جملة ما ، فالغرض إذا منطقي . أما الخصائص في نظره فهي :

أ - العالم الممكن : بمعنى أخذ الوقائع التي قد تكون ، أو يمكن أن تكون ، أو هي مفترضة ، بعين الاعتبار .

ب - الزمن : اعتبار الجمل المزمنة و ظروف الزمان مثل : اليوم ، الأسبوع المقبل ...

ج - المكان : اعتبار جمل مثل : إنه هنا ...

د - المتكلم : اعتبار الجمل التي تتضمن إحالة إلى ضمير المتكلم (أنا ، نحن ..) .

هـ - الحضور : اعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر المخاطب ، أنت ، أنتم ...

و - الشيء المشار إليه : اعتبار الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا ، هؤلاء ..) .

ز - الخطاب السابق : اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر مثل : (هذا الأخير ، المشار إليه سابقا ..) .

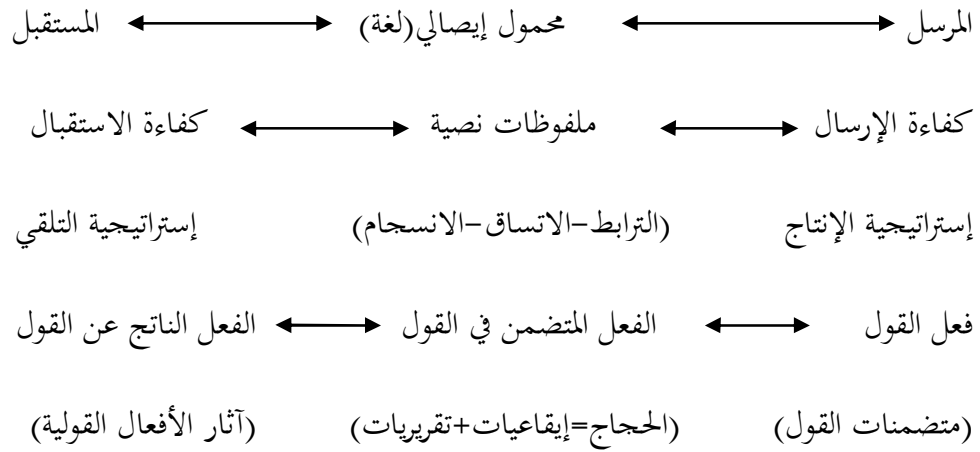
ح - التخصيص : سلسلة أشياء لا متناهية (مجموعات أشياء ، متتاليات أشياء ...) .¹¹⁶

و مما سبق يمكننا أن نستنتج ، على سبيل المحاولة ، خطاطة نوضح فيها أهم عناصر الخطاب ، و ذلك وفق دورة تخاطبية معينة :

ضمن الحضور (التداول في دورة التخاطب)

المقام : الموقف و الحال

و الزمان و المكان



6 - الخطاب و تحليل الخطاب :

إن وجود الخطاب ضمن المنظومة التواصلية ، يخضع لتشريح إنساني في فهم معانيه و مقاصده ، و الآليات التي حصل بها المفهوم و المقصود ، هي الآليات التي تدرج ضمن ما يسمى بتحليل الخطاب ، و بطبيعة الحال التحليل ليس نفسه دائما في جميع الخطابات ، بل الأكثر من ذلك ، التحليل ليس نفسه حتى في جنس الخطاب نفسه ، فمثلاً ، قصيدة شعرية معينة تفترض آلية التحليل السيميائي ، و قصيدة شعر أخرى تلزمننا بالتحليل الأسلوبي أو البنيوي .. الخ، لذلك فكما يقول ميخائيل باختين: "إن دراسة الخطاب في حد ذاته، بدون معرفة نحو أي شيء يتطلع خارجه، هي في مثل عبثية دراسة عذاب أخلاقي بعيدا عن الواقع الذي يوجد مثبتا عليه و الذي يحدده"¹¹⁷.

¹¹⁶ محمد خطابي - لسانيات النص، ص : 53 ، 54 .

¹¹⁷ ميخائيل باختين - الخطاب الروائي، ت: محمد برادة، دار الفكر للدراسات و النشر، ط 01، القاهرة، 1998، ص: 63 .

و يرصد أي تحليل للخطاب مجريات اللغة ل" أن تحليل الخطاب بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال. لذلك ، لا يمكن أن نحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيداً عن الأغراض و الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس . وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة ، فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله "118 .

إذاً يعتبر تحليل الخطاب كلاماً ناطقاً عن خطاب آخر " فهو فعل النطق ، أو فاعلية تقول ، و تصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله "119 ، و يمكننا أن نقول بأن تحليل الخطاب يعني تناول الظواهر التلفظية التالية :¹²⁰

- الأمارات Indices الدالة على المتكلم و كيفية انبجاسه في الخطاب .
- استكشاف هوية المخاطب .
- استكشاف موضوع الخطاب (قضايا المرجع Référent) .
- استكشاف مواقف المتكلم حيال خطابيه الشخصي .
- استكشاف الأمارات الدالة على المكان و الزمان ..

و من هذا المنطلق " نفهم مصطلح تحليل الخطاب بوصفه عنواناً شاملاً ، فهو منظومة متسقة من الإجراءات المنهجية ، يمكن إرجاع جذوره إلى ازدهار اتجاهين كبيرين هما الاتجاه اللغوي في تحليل النصوص إذ بدأ الاهتمام ببحث علاقات النص على مستوى داخلي يتجاوز الجملة الواحدة ، و قد مارسه النقاد اللغويون الأمريكيون في الدرجة الأولى ، و الاتجاه البنيوي الذي تمثل في تحليلات المدرسة الفلكلورية الروسية بعد (بروب) ... ذلك فضلاً عن استثمار إمكانيات التحليل السيميولوجي "121 ، إلى غيرها من المناهج النقدية المعاصرة .

¹¹⁸ ج. ب براون، ج يول - تحليل الخطاب، تر : محمد لطفي الزليطني و منير التريكي ، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص 01 .

¹¹⁹ رايح بوحوش - الأسلوبيات و تحليل الخطاب، ص : 85 .

¹²⁰ صلاح الدين زرال - الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف ، ط 01 ، الجزائر ، 2008، ص: 399 .

¹²¹ فرحان بدري الحربي - الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 48 .

كذلك يعتبر تحليل الخطاب " تكوين الفروض التي تتعلق بالمخاطب ، و المخاطب ، و روابط الخطاب ، و درجة اتصاله ، و تماسك الأبنية المكونة له ، كما يتطلب تجريداً للمعلومات المتصلة باختيار الألفاظ و التراكيب و المعلومات المكونة للخطاب ، و تحولات الزمن و الدلالات فيه "122

7 - بعض آليات تحليل الخطاب :

و بما أن الخطاب خطابات فالتحليل لتحليلات و الآليات آليات ، و سنرى في ما يلي من الحديث بعض التوجهات في التحليل التي ساهمت في إثراء آليات الدرس المعاصر في تحليل الخطاب ، و أولى التوجهات التوجه اللساني النصي .

آليات التحليل اللساني و الأسلوبي-البلاغي :

مرّ التحليل اللساني للخطاب ممثلاً بالجملة و النص ، بعدد المراحل و أول مرحلة وصفية هي الإجراءات النظرية التي جاءت بها اللسانيات البنيوية التي رائدها دي سوسير في مرحلتها الأولى ، و تعد ثنائياته منطلقاً لكثير من الباحثين الذين جاءوا من بعده من أمثال شارل بالي و رولان بارت ، غير أن هذا النمط من التحليل سرعان ما تطور خضوعاً لمتطلبات المدونة التي هي النص و الخطاب . و ظهرت في ذلك مدارس كثيرة ، و قد وضعت الدراسات اللسانية مصطلحات و وظائف نحوية بما يسمى النحو الوظيفي التي رائدها سيمون ديك " فهناك ما يسمى بالوظائف التداولية التي تسند إلى المكونات كالمبتدأ (thème) و الذيل (tail) ، و البؤرة (focus) ، و المحور (topic) ، و المنادى (vocative)

فالجملة العربية تنقسم حسب مقولة المحمول التركيبية إلى قسمين : جملة ذات محمول فعلي ، و جملة ذات محمول غير فعلي (أي جملة محمولها مركب وصفي ، أو مركب ظرفي) "123

و ظهر أيضاً ما يسمى نحوية النص أو أجرومية النص عند فاندايك t.a.van dijk ، و هذا التوجه ربط ما بين مفاهيم الجملة و مفاهيم النص ، و " لقد عني علم اللغة النصي في دراسته النحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة ، منها : علاقات التماسك النحوي النصي ، و أبنية التطابق و التقابل ، و التراكيب المحورية ، و التراكيب المجتزأة ، و حالات الحذف ، و الجمل المفسرة ، و التحويل

122 خلود العموش - الخطاب القرآني، ص: 24 .

123 أحمد شامية - في اللغة، ص: 105 ، 106 .

إلى الضمير ، و التنويعات التركيبية و توزيعاتها في نصوص فردية ، و غيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة ، و التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية¹²⁴ ، و فاندريك قدم تجربة تعتبر جيدة من منظور النقاد الذين يستعملون مفاهيمه لتأطير وجهات نظرهم في تحليلهم للخطاب ، " و قد وصفت محاولات فندايك بوجه عام بأنها محاولات متقدمة إلى حد بعيد في شرح عمليات الترابط (النحوي) بين المتواليات النصية ، و التماسك (الدلالي) بين الأبنية النصية الكبرى ، و دور القراءة و التأويل ... كما حدد هذا العلم - من الناحية الوظيفية - بأنه علم يُعنى بشرح كيفية قيام النص بوظائفه ، أي بتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء ، و إعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي¹²⁵ .

و ينطلق محمد الشاوش أيضاً من المنحى النحوي للنص ، و هو يطرح تساؤلات و جبهة ، فيقول: "هل للنص قواعد خاصة به ، تتميز عن قواعد الجملة ، أم هل إن قواعد النص هي قواعد الجملة موسعة ، أم هل توجد قواعد عامة تولد النص و الجملة على حد سواء ؟ و على هذا الأساس كان من غايات عملنا البحث عن :

- القواعد و الأصول الخاصة بالجملة و هي تلك التي تجري في مجالها دون أن تخرج عنه و التي ليس لها دور في بناء النص .
- القواعد التي ينفرد بها النص و التي ليس لها دور في بناء الجملة .
- القواعد المشتركة بين الجملة و النص .¹²⁶

و قد جاءت الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا ، و التي تنظر إلى النص " من زاوية توجهه المزدوج: نحو النظام الدلالي الذي أنتجه (اللغة و الكلام الخاص بمرحلة و مجتمع معين) و نحو الصيرورة الاجتماعية التي يشارك فيها بوصفه خطاباً [..] متضمناً قائله في ثنايا تركيبته¹²⁷ ، و بعد أن تكلمت عن التناسل باعتبارها آلية تجميع للنصوص و وصفت النص بأنه فسيفساء من الاستشهادات أو الشواهد، تصل إلى مصطلح التدليل *signifiante* ، و هو في نظرها انفجار للمعنى .

¹²⁴ سعيد حسن بحيري - علم لغة النص، ص : 119 .

¹²⁵ المرجع نفسه، ص : 185 .

¹²⁶ محمد الشاوش - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ج1، ص: 16 .

¹²⁷ Julia Kristeva- Sémiotiké recherches pour sémanalyse, A.J. Picard, 1981, : 12 , 13 .

و بالإضافة إلى ما يقع في دائرة الجانب النحوي النصي ، فإن هناك توجهها آخر في استثمار الإجراءات هو إجراءات التحليل البلاغي الأسلوبي " إذ تأتي مقولة (العدول) باعتبارها محورا رئيسيا في البحث البلاغي يؤكد المستوى الإخباري و الإبداعي في الأداء اللغوي ، و هو بهذا يمثل قيمة تعبيرية أو منبها أسلوبيا في مباحث التعريف و التنكير ، و الحذف و الذكر ، و التقسيم و التأخير ، و الإيجاز و الإطناب ، و الالتفات ، و الفصل و الوصل ، و الحروف ، و خاصة حروف المعاني .

كما يمثل التكرار النمطي منبها أسلوبيا آخر في مباحث البديع كالطباق و التعديد ، و تنسيق الصفات ، و السجع و الالتزام و الترصيع إلى آخر هذه الألوان التي اهتمت بالناحية الصوتية ، بجانب ألوان أخرى كان الاهتمام فيها مركزا على الدلالة و صلتها بهذه الطبيعة التكرارية "128 .

هذا و لمحمد العمري نظرة متجددة للبلاغة الجديدة على ما يدعو ، إذ يقول : " فللبلاغة العربية، إذاً ، مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين : مسار البديع يغذيه الشعر ، و مسار البيان تغذيه الخطابة . و نظرا للتداخل الكبير بين الشعر و الخطابة في التراث العربي ، فقد ظل المساران متداخلين... إن اعتبار الوسائل الإقناعية المنطقية جوهرًا للبلاغة في سياق الحديث عن الخطابة "129 ، ثم أن العمري يستعين بآراء حازم القرطاجني في كثير من المواضع باعتبار أن حازم صاحب نظرية في الشعر تقوم على التخييل مقام التشبيه في البلاغة القديمة ، و تقوم كذلك على التناسب ، يقول حازم: " و معرفة طرق التناسب في المسموعات و المفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك ، و هو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب من التناسب و الوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار ، و توجد طرقهم في جميع ذلك تتراعى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم و اجتناب ما ينافر "130 ، و يعتمد في التفريق ما بين الخطابة و الشعر يقول : " و مرد هذه التداخلات في نظره إلى كون الشعر و الخطابة يلتقيان في الغرض و المقصد ، و هو أعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتأثر بمقتضاه . و لكنه يؤكد ، مع ذلك

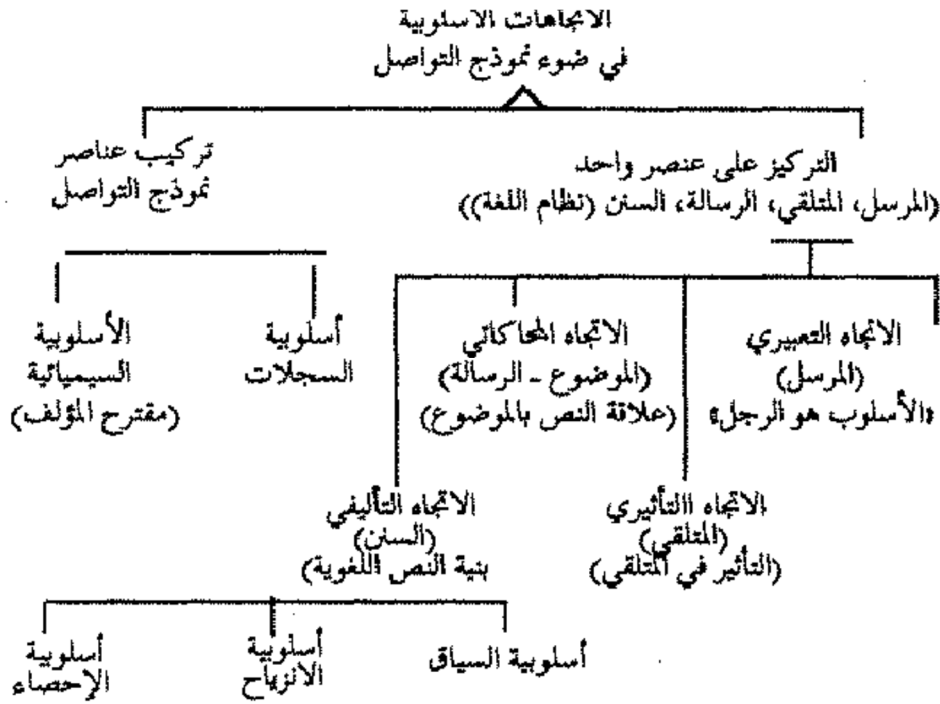
128 محمد عبد المطلب - البلاغة و الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط 01 ، القاهرة ، 1994، ص: 06 .

129 محمد العمري - البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، أفريقيا الشرق ، درط ، المغرب ، 2005، ص: 29 ، 55 .

130 حازم القرطاجني - منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، درط ، بيروت، 1986، ص: 266 ، 227 .

دور الغرابة في تحقيق الوظيفة الشعرية ، فمحاكاة الأحوال المستغربة تستهدف أحد الأمرين : إنحاض النفوس إلى الاستغراب أو الاعتبار فقط "131 .

هذا من ناحية التجديد ، و لكن هناك طروحات موازية أخذت علم الأسلوب من مصادره الغربية، عن طريق الترجمة للمفاهيم ، و يمكننا إيراد بعض التوجهات في الخطاطة التالية :¹³²



فالواضح أن الأسلوبية من خلال هذا المخطط قد تفرعت كثيرا ، بل أنها تمازجت عند بعض النقاد بمناهج أخرى كالسيميائيات ، مثل ما حدث عند هنريش بليث في كتابه البلاغة و الأسلوبية ، و يمكن أن نميز من خلال هذا بين عدة اتجاهات أسلوبية :¹³³

1- الأسلوبية اللسانية *la stylistique linguistique* : و يقف على رأسها شارل بالي... و هذا الاتجاه لا يهتم بالأدب وحده بل بالكلام عامة أي بالوسائل التي تتوفر عليها اللغة الإنسانية للتعبير عن الجانب العاطفي للمخاطب ...

¹³¹ محمد العمري - البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص: 57 ، 58 .

¹³² نور الدين السد - الأسلوبية و تحليل الخطاب ج1، ص: 25 .

¹³³ بكاي أختاري - تحليل الخطاب الشعري، وزارة الثقافة ، ط 01 ، الجزائر ، 2007 ، ص: 22 ، 23 .

- 2- الأسلوبية المثالية *la stylistique idéaliste* : و انبثقت عن أفكار فولمير و كروتشيه،
و الأسلوب عندهما تعبير عن الترابط الداخلي للذات الفردية ...
- 3- الأسلوبية البنوية *la stylistique structurale* : و قد مثلها كل من رومان ياكسون
الذي ركز على الوظيفة الشعرية للغة، و تودوروف الذي ركز على الطابع الأسلوبي للخطاب
اللغوي ...
- 4- الأسلوبية الإحصائية *la stylistique statistique* : وقد جعلت من الأسلوب
ظاهرة قابلة للقياس كميًا ...
- 5- و يمكن إضافة أسلوبية التلقي التي نظر لها جورج مولينييه ..

و لقد نحسب أن تحديد اتجاهات الأسلوبية إنما يخضع لمعايير محددة ، فبينما نجد أسلوبية أدبية في
مقابل أخرى أدبية ، نجد أسلوبية وصفية مقابل أسلوبية إنشائية ، أو نفسية و أخرى اجتماعية ، أو
تأصيلية و أخرى تعبيرية ، أو تقليدية و أخرى جديدة ، و هلم جراً .

2 - آليات التحليل الدلالي و السيميائي :

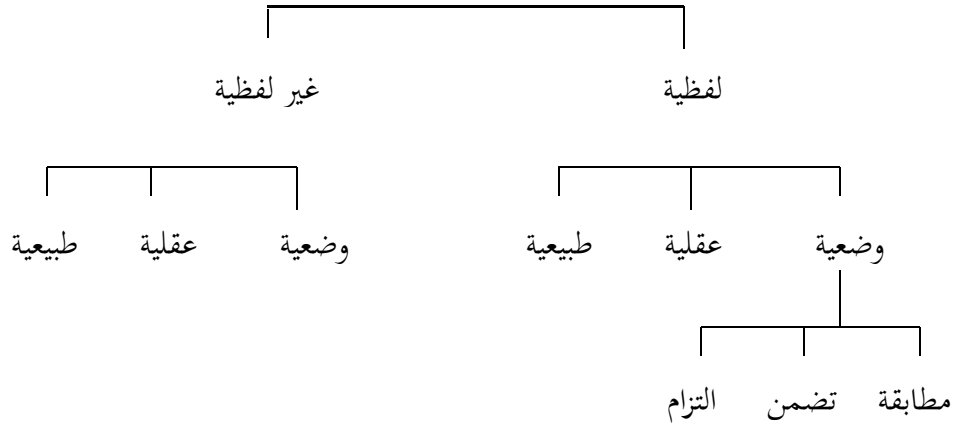
كلما زاد الخطاب في درجة إيراء المعاني ، كلما صار دالا أكثر ، يقول تودوروف : " يمكن أن
نلخص .. أنه يوجد قطبان اثنان داخل الوعي الإنساني للكلام : الخطاب الشفاف و الخطاب
الثخن (opaque) و سيكون الخطاب الشفاف هو الذي يترك الدلالة مرئية و لكنه هو ذاته غير
محسوس : فهو كلام لا يصلح إلا أن يفهم"¹³⁴ ، نفهم من خلال هذا أن تودوروف يقصد من أن
الخطاب في مرحلة الشفافية ذو معنى واحد ، أما في مرحلة الثخانة فهو كثيف بالدلالة ، و خطاب
من هذا القبيل يجوجنا إلى استعمال طرائق معينة في تحليله ، و لذلك نشأت علوم تهتم بهذا الجانب
من المعنى مثل: علم الدلالة و السيميولوجيا و السيميائيات ، و علماء تحليل الخطاب يميزون بين
الاتجاهات الثلاثة :

- علم الدلالة :

¹³⁴ عثمانى الميلود - شعرية تودوروف، عيون المقالات ، ط 01 ، الدار البيضاء ، 1990، ص: 22 .

علم الدلالة علم يهتم بالمعنى و تفريعاته ، أي أن موضوعه هو المعنى أو الدلالة ، " ولقد قسم العلماء الدلالات اعتمادا على معايير أخرى تركز على الإدراك لطبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي، وهو لا يخرج عن ثلاث : اعتبار العرف ، أو اعتبار الطبيعة أو اعتبار العقل ، وعلى ذلك فالدلالة إما عرفية أو طبيعية أو عقلية . وأخضع علماء الدلالة تصنيف الدلالات بناء على أداء السياق للمعنى ، فالكلام إما أن يساق ليدل على تمام معناه ، وإما أن يساق ليدل على معنى آخر خارج عن معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفا ، واستناداً إلى ذلك فالدلالات ثلاثة أصناف . دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام ، وهذه الدلالات الثلاثة تندرج ضمن دلالة عامة هي الدلالة الوضعية التي هي قسم من الأقسام الدلالة اللفظية ، وبناء على ذلك فأقسام الدلالة في العصر الحديث تنفرع إلى ستة أصناف يمكن تمثيلها في الترسيم التالية :

الدلالة



و يمكن تحديد مفاهيم هذه الأصناف الدلالية ، كما درج على تعريفها علماء الدلالة . فالدلالة اللفظية العرفية لا تنعقد إلا بتوفر ثلاثة أركان: اللفظ ، وهو نوع من الكيفيات المسموعة ، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه ... أما الدلالة العقلية وتسمى كذلك الدلالة المنطقية ، فهي التي يكون فيها العقل أمر إدراك طبيعة العلاقة التي تربط الدال بمدلوله، ويمثل لتعريفها عادة بدلالة الدخان على النار إذ يتم استحضار الدلالة الغائبة بحقيقة حاضرة والذي يربط بين الأمرين هو العقل ... أما الدلالة الثالثة فهي

الدلالة الطبيعية، التي يعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية يتم على أساسها الانتقال من الدال إلى المدلول . «135

و قد اهتم علم الدلالة بمجالات كثيرة من بينها اللفظ و المعنى و قضية الحقيقة و المجاز و التطور الدلالي و السياق ، أهم مجال لديها هو مبحث الحقول الدلالية ، و قد " تأسست نظرية الحقول الدلالية على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلّف بين مفردات لغة ما، بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحددة للصلة الدلالية ، أو الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغة معينة ، التي يجمعها لفظ عام ، لأنّ اللغة نظام ، وقيمة كلّ عنصر من عناصرها لا يتعلّق بهذا النظام بسبب طبيعته ، أو شكله الخاص ، بل يتحدّد بمكانه وعلاقته داخل هذا النظام ، ممّا يؤكّد التراصّ القائم بين الكلمات وما يجاورها من كلمات أخرى داخل الحقل الواحد ، أو في مجموعة من الحقول ، بحيث لو أفتحت كلمة في حقل متناسق أو أبعدت عنه أو غير موضعها ألى ذلك إلى اضطراب يؤثر في مجموع مفردات الحقل .

وأهم مبادئ نظرية الحقول الدلالية تتلخّص فيما يأتي :

1. إنّ الوحدة المعجمية تنتمي إلى حقل واحد معيّن .
 2. كل الوحدات تنتمي إلى حقول تخصّها .
 3. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة اللغوية .
 - 4 - مراعاة التركيب النحوي في دراسة مفردات الحقل . "136
- السيميولوجيا :

أصل هذا العلم فرنسي ، و لفظه في السياق الفرنسي (Sémiologie) مكون من جزأين سيميو: و معناها المعنى (العلامة) Semeion في الأصل اليوناني ، و لوجيا : و معناها العلم، و هو ما يحيل على "سمة مميزة Marque distinctive، أثر Trace، قرينة Indice، علامة منذرة Signe précurseur، دليل Preuve، علامة منقوشة أو مكتوبة Signe gravé ou écrit، بصمة

¹³⁵ منقور عبد الجليل - علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط ، دمشق، 2001، ص: 66 ، 68 .

¹³⁶ أحمد عزوز - أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط ، دمشق، 2002، ص: : 15 ، 16 .

Empreinte، تمثيل تشكيلي Figuration..¹³⁷ و العلم الذي تكلم عنه دي سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة ، يقول : " بالإمكان أن نتصور علماً يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية ، يشكل جزءاً من علم النفس الاجتماعي ، و على استنتاج علم النفس الاجتماعي نسميه : السيميولوجيا ، نحن قلنا أنه يتكون من العلامات ، ما القوانين التي تحكمه ؟ هو لم يوجد بعد، و بإمكاننا أن نقول أنه سيوجد ... و ما اللسانيات إلا جزء منه "138، إذاً دي سوسير تنبأ بهذا العلم و لم يعطنا تفاصيله ، و لكن الذين جاءوا من بعده من أمثال بريطو Prieto و مونان Mounin و مارتيني Martinet و بويسن Buissens أصحاب سيميولوجيا التواصل التي تبني على القصدية " و يعني ذلك أن تحديد معنى تعبير معين رهين بتعيين مقاصد المتكلمين و الكشف عنها . و بذلك تكون المقاصد ملمحاً مميزاً¹³⁹ ، و رولان بارت roland barthes صاحب سيميولوجيا الدلالة ، و اللغة في اعتبارهم " لا تستنفذ كل إمكانيات التواصل . نحن نتواصل ، توفرت القصدية أم لم تتوفر ، بكل الأشياء الطبيعية و الثقافية سواء كانت اعتباطية أم غير اعتباطية "140، و أمبرتو إيكو umberto eco و روسي لاندي rossi landi أصحاب سيميولوجيا الثقافة ، إذ أن " الثقافة عبارة عن إسناد وظيفة إلى الأشياء الطبيعية .. فالثقافة برامج و تعليمات تتحكم في سلوك الإنسان .. إن إدراك الإنسان للعالم إدراك تبرجه الثقافة بواسطة أنساقها الدالة اللفظية و غير اللفظية "141، و هناك أنماط كثيرة من السيميولوجيا ، و ما ذكرناه هو الشائع منها .

- السيميائيات :

تعتبر السيميائيات أمريكيةً ، في الأصول و المصدر ، و الذي نظر لها شارل ساندرس برس الفيلسوف ، و قد مر تنظيره لها بمراحل ثلاثة ، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الاستلهام من الكانطية ، و الثانية تعتبر مرحلة منطقية صرفة و عوض فيه برس المنطق الأرسطي بمنطق العلاقات ، و المرحلة الثالثة مرحلة سيميوطيقية أو سيميائية و فيها طور مراتب العلامة ، محددًا هذه الصيغ:¹⁴²

¹³⁷ Julia Kristeva- La Révolution du Langage Poétique, Edition du Seuil, 1974, P: 22 .

¹³⁸ Ferdinand De saussure – cours de linguistique generale, ENAG, 3eme edit, alger, 2004, : 33 .

¹³⁹ مبارك حنون – في السيميائيات العربية، سليكي إخوان ، ط 01 ، المغرب ، 2001، ص: 15 .

¹⁴⁰ المرجع نفسه، ص : 16 .

¹⁴¹ المرجع نفسه، ص : 17 .

¹⁴² محمد الماكري – الشكل و الخطاب، المركز الثقافي العربي ، ط 01 ، المغرب ، 1991، ص: 43 .

- الأولانية : هي نمط الوجود الذي يقوم على واقع كون : موضوع / ذات (sujet) ..
إنها وجود الشيء أو الذات في ذاتها .
- الثانية : هي نمط الوجود الواقعي الفعلي المتجسد ..
- الثالثة : هي نمط الوجود المتوقع ..

و هي تناسب حسب ترتيبها الأبعاد الثلاثة للدليل أو العلامة :

1 - الممثل ، 2 - الموضوع ، 3 - المؤول .

و قد بسط شارل موريس الكثير من آراء برس كما طور بعض مفاهيمه النظرية ، ومن ذلك رؤيته للتصنيف الوارد في الثلاثية السالفة الذكر بالمعاني التالية (إيقون ، مؤشر ، رمز) " أصل هذا الاختزال ليس هو (برس) بل (شارل موريس) منبع كثير من التبسيطات ، المنتشرة بين السيميوطيقيين داخل وخارج الولايات المتحدة " 143 . وهذا ما يتجلى بوضوح تام في أعماله التي تدرجت في بعث طروحاته المتسمة بالجدية " تأسيس نظرية الدليل (1938) التمييز بين التركيب (دراسة قواعد توافقات الأدلة) والتداولية (دراسة قواعد استعمال الأدلة على اعتبار الدوافع) " 144 .

ومن هذا المنطلق فإن الأمر يقتضي أن ننظر إلى الأشياء المدلول عليها والمؤولات على اعتبار أنها "سيرورات سلوك فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به ، علما بأن وظيفة المحيط وأهميته عاملان حاسمان في إرضاء حاجاته ومن ثم فإن هناك تفاعلا بين هاذين العاملين " 145 ، و سيرورة الدليل أو ما يعرف بـ Sémiosis تحتوي في نظره على أربعة عناصر هي 146 :

- العنصر الذي يقوم مقام الدليل أو " الناقل " Porteur .
- العنصر الذي تتم إحالة الدليل عليه أو " المدلول عليه " .
- عنصر " الأثر " Effet الذي يحصل لدى المرسل إليه والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول .

¹⁴³ السابق، ص : 40 .

¹⁴⁴ Elia Sarfati -Georges - Précis De Pragmatique, Nathan , 02 , France, 2002, p: 12 .

¹⁴⁵ الجليلي دلاش - مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر : محمد بيجان، ديوان المطبوعات الجامعية ، درط ، الجزائر ، 1992، ص: 10 .

¹⁴⁶ المرجع نفسه، ص: 10 و 11 .

- المؤول Interprète .

وبطبيعة الحال لا يوجد هناك انتظام ما يسهم في تراتبية هذه العناصر عند كل سيرورة سيميائية ، فهي تتداخل بصورة لا يمكن الفصل بينها محدثة تعقيدا كبيرا وهذا بدوره يطرح ثلاث توجهات ، فالتوجه الأول يكمن في الدراسة التركيبية أي العلاقات التي تنتظم الأدلة فيها ، والثاني يتجسد في العلاقات القائمة بين الأدلة والأشياء التي تحيل عليها وهذا هو البعد الدلالي ، ثم عندما نكون في مرحلة شرح وتفسير تأثير استعمال تلك الأدلة نجد أنفسنا في خضم اللسانيات التداولية ، الذي يعتبر شارل موريس و برس من بين واضعي الأصول النظرية لها .

8- الخطاب و آلية السياق :

- آليات التحليل التداولي :

يعد الدرس التداولي ثريا جدا ، وذلك بما يقدمه لنا من إجراءات سواء على مستوى الاستعمال اللغوي الطبيعي ، أو على مستوى الخطاب الأدبي ، " وعليه ، فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة ، كالبنية اللغوية ، وقواعد التخاطب ، و الاستدلالات التداولية ، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين ، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال الخ "147 ، و هي تقوم على المقام الذي يحدثه الفعل الكلامي ، ويمكننا أن نفصل في تقسيمات الفعل "الكلامي الكامل " على هذا النحو :

أ - فعل القول (أو الفعل اللغوي) Acte Locutoire : ويراد به (إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة) ..

ب - الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ (إنه عمل ينجز بقول ما) وهذا الصنف من الأفعال هو المقصود من النظرية برمتها ..

147 مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ، ط 01 ، بيروت ، 2005، ص: 16 .

ج - الفعل الناتج عن القول Acte Perlocutoire : وأخيرا يرى (أوستين) أنه مع القيام بفعل القول ، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة) ، فقد يكون الفاعل (و هو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو (التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التشييط ..)¹⁴⁸ .

و بطبيعة الحال فإن تلك "الأفعال التلفظية تفترض ببساطة أن تتلفظ بمجموعة متتابعة من الكلمات، و هي تعد بالنسبة للأفعال الإنجازية و القضوية جوهرية، و لا بد أن تكون الكلمات المتلفظ بها داخل جمل، و داخل مواقف متعددة، و تحت ظروف عدة، مع مقاصد متعددة"¹⁴⁹

و قد قسم سيرل J.Searle الأفعال المتضمنة في القول بحسب إنجازيتها إلى :

1 - الإثباتيات (Assertives) : و هي التي تحمل إحدى قيمتي الصدق أو الكذب مثل :
أخبر، أكد، زعم، شرح ..

2 - التوجيهيات (Directives) : و هي الأفعال التي يكون الغرض منها أن يجعل المتكلم المخاطب يقوم بفعل ما مثل : طلب، أمر، ترحى، سأل ..

3 - الوعديات (Commissives) : و الغرض منها إلزام المتكلم بالقيام بعمل ما في المستقبل مثل : وعد، أقسم ..

4 - البوحيات (Expressives) : و هي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم مثل : شكر، هنا، اعتذر ..

5 - التصريحيات أو الإيقاعيات (déclaratives) : وهي التي مجرد القيام بها يحدث تغييرا في الخارج مثل : عين، و زوج ..¹⁵⁰

و من إجراءاتها الأخرى :

1 - متضمنات القول : الذي يحتوي على عنصرين ، - الافتراض المسبق (استنتاج فيما قد يرد من القول) ، و الأقوال المضمرة (الاختيارات القولية الممكنة في سياق معين) .

¹⁴⁸ المرجع نفسه، ص: 41 و 42 .

¹⁴⁹ John r.searle -les actes de langage, hermann, 01, France, 1972, p: 62 .

¹⁵⁰ ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، جامعة أم القرى ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1423 هـ، ص: 231 .

- 2 - القوة الإنجازية : وهي ناتجة عن الفعل المتضمن في القول ، فمثلا الآية الكريمة ﴿و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فإن القوة الإنجازية للأمر قد جاءت بصيغة الإخبار .
- 3 - اتجاهات المطابقة : اتجاهات المطابقة مفهوم أساسي في فهم الغرض المتضمن في القول و "لها أهميتها في موضعين ، على الأقل ، من نظرية سيرل ، الموضع الأول : في تحديد عدد الأغراض المتضمنة في القول ... الموضع الثاني : تقسيم القوى المتضمنة في القول على أساس صارم" ¹⁵¹ ، و يكون اتجاهها عبارة عن كل من الاتجاه من القول إلى العالم و الاتجاه من العالم إلى القول ، و أيهما المسؤول عن اتجاه المطابقة ، مع قراءة المحتويات القضية " و هناك فارق آخر يميز الإيقاعيات عن الوعدييات و الأمريات ، فالمحتويات القضية فيهما تمثل دائما المتكلم (في الوعدييات) و المخاطب (في الأمريات) . أما الإيقاعيات فقد تتمثل بالمتكلم كما في (زوجتك نفسي) أو بالمخاطب كما في (أنت حر) أو في غيرهما كما في (بعتك سيارتي) ¹⁵²
- 4 - الحجاج : أن يتوفر في الكلام عناصر معينة تجعله أكثر تأثيرا في المخاطب ، و الحجاج باعتباره إجراء يتمثل في تحقق ذلك التأثير أي حمل المخاطب على الاعتراف بمتضمنات القول و قد تقدمت نظرية الحجاج في اللغة بفضل أوصفالد ديكرو و ج . س أنسكومبر ، وتقوم على فرضية مفادها العلاقة بين الملفوظات الحجاجية ، والملفوظات غير الاستنتاجية ¹⁵³ .
- 5 - القصد : هذا المفهوم قد يفهم على ظاهرة بمعنى : المرام أو المبتغى أو المطلب ... الخ ، و إن كان يعني ما يعني من جانبه اللغوي ولو قليلا ، فإن له اصطلاحا في المدلول إذ أن علماء التواصل يعنون به " آلية من اثنتين تتم بها عملية الاتصال بين اثنتين (بين نص وقارئ مثلا) وتعني إدراك الباث أو المتلقي الرسالة إدراكا نظريا ¹⁵⁴
- 6 - السياق : يعتبر السياق من الإجراءات الكبرى التي تعتمد عليها الإستراتيجيات التداولية ، لأن التداول المراعي لحثيات السياق هو التناول الأقرب إلى الصواب ، لذلك هناك دراسات كثيرة تهتم بهذا الجانب الإجرائي من الاهتمام بالسياق اللغوي ، و السياق المقامي ، و غير هذا مما يطرحه السياق من مفاهيم .

¹⁵¹ طالب سيد هاشم الطبطبائي - نظرية الأفعال الكلامية ، مطبوعات جامعة الكويت، درط ، الكويت، 1994، ص: 120 ، 121 .

¹⁵² المرجع نفسه، ص: 134 .

153 SARFATI Georges Elia - élément D'analyse Du Discours , Nathan VUEF , SNE , paris , 2001, 32 .

¹⁵⁴ أمبرتو إيكو - القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط 01 ، المغرب ، 1996 ، ص: 314 .

هذه على العموم بعض آليات تحليل الخطاب ، تطرقنا إليها من خلال عديد المناهج ، التي اهتمت بالخطاب باعتباره مدونة ، و نحن في إدراجنا لهذه الآليات ، لا نقصد من وراء ذلك حصر كل المناهج، و إنما قصدنا كان على سبيل محاولة للنمذجة في بعض آليات تحليل الخطاب ، و إن تناولنا طبقات مختلفة من التحليل ، و نروم من خلال كل ذلك الوصول إلى الآلية الكبرى التي تدخل في جميع أنواع تحليل الخطابات ، و هي آلية السياق .

و بما أن الآليات النظرية للخطاب تعيننا في سياقها ، فإننا سنخصص الفصل الثالث لتحدث عن السياق ، معرجين على عدد من المسائل ، منها ما يتصل بالتحديد المفهومي لآلية السياق عند العلماء بمختلف توجهاتهم ، و منها ما يتعلق بأنواع و أنماط السياق ، و أبعاد أخرى يثيرها النقاش حول ظاهرة السياق باعتبارات متعددة، هذا كله في الفصل الموالي .

الفصل الثالث

(مفاهيم ، آليات ، ياق -المكونات و الأنواع و الوظائف -)

يليه تعريف ، بالشنقيطي

- توطئة
- مفهوم السياق
- مكونات السياق
- السياق و المناسبة
- السياق اللغوي و غير اللغوي
- أنواع السياقات
- دور السياق و وظائفه
- آليات سياق التفسير
- الإمام الشنقيطي، و كتابه أضواء البيان

يعد السياق من العوامل الأساسية التي تحدد مقاصد الخطاب ، ذلك أن كل المعاني و المقاصد لا بد لها من سياق معين ترد فيه ، و قد تكلم العلماء قديماً عن السياق في مناح معينة ، و لعل أهمها علم أصول الفقه ، و ربطوه ربطاً بمقاصد الشريعة (حفظ الدين و النفس و العقل و المال و العرض) ، و كل مجال من هذه المجالات يعتبر مقصداً حدده السياق المتعارف عليه ، و ضمن كل مجال عدد لا متناه من قضايا الفقه ، لا يفتى في أحدها إلا بسياق الحال . لذلك فالسياق في هذا الشأن أو غيره من الشؤون من الأهمية بمكان ، أن صار الركن الذي لا يستغنى عنه ، " فليس المعنى المقصود المحصل في خطاب من الخطابات هو بالضرورة المعنى الذي يعثر عليه في القاموس ... أما استعمال اللفظ بمعنى آخر غير معناه الوضعي (الموضوع له في أصل اللغة أو المعاني) فهو ما يسميه العلماء العرب بالاتساع أو سعة الكلام . و هو تجوز يبيحه الاستعمال للغة لعلاقة قائمة بين المعنى الأصلي و المعنى المتوسع فيه "155 ، و تلك العلاقة لا يتصيداها إلا فهمنا للسياق .

و المجالات التي يكون السياق حاضراً فيها كثيرة جداً ، فضلاً على ما ذكر ، نجد الأدب مجالاً خصباً لظواهر السياق ، كذلك الخطابات الخاصة مثل الخطابات السياسية و ما يدخل في إطارها ، و نجد أن الخطاب الإلهي و أغلب الخطابات الإنسانية تعتمد على السياق ، ذلك لأن الإنسان يمتلك خاصية إدراك العلاقات بين ماهو مقصود و بين ماهو غير مقصود لذاته ، و لكي نعرف الأهمية التي تختص بها آلية السياق لا بأس في تدرج في تحليلنا من أول عنصر و هو مفهوم السياق .

2 - مفهوم السياق :

للسياق معنيان الأول لغوي ، و الثاني اصطلاحى و لنبدأ بالمعنى اللغوي :

1- المعنى اللغوي للسياق :

يقول الجوهري في الصحاح : " سوق : الساق : ساق القدم ، و الجمع : سوقٌ مثل أسد و أسد□ ، و سيقان و أسقو .. و يقال : ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد ، أي : بعضهم على أثر بعض .. و ساق الشجرة : جذعها .. و ساق الماشية يسوقها سوقاً .. و استاقها فانسقت . و سقت إلى

155 عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم ، درط ، الجزائر ، 2007 ، : 341 .

امرأتي صداقها .. و يقال أسقتك إبلا ، أي : أعطيتك إبلا تسوقها ، و السياق : نزع الروح ، يقال رأيت فلانا يسوق ، أي : ينزع عند الموت . و السويق معروف "156 .

و يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط : "الساق : ما بين الكعب و الركبة ، ج سوق و سيقان و أسوق ، همزت الواو لتحمل الضمة . ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم:42] : عن شدة . ﴿و التفت الساق بالساق﴾ [القيامة:29] : آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة .. و السياق ، ككتاب : المهز . و الأسوق : الطويل الساقين .. و تساوقت الإبل : تتابعت و تقاودت ، و - الغنم: تزاومت في السير"157 .

و يقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة : "السين و الواو و القاف أصل واحد ، و هو حدو الشيء .. و الساق للإنسان و غيره ، و الجمع سوق ، و إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"158 .

و يقول الفيومي في المصباح المنير : "س و ق : (سقت) الدابة أسوقها سوقا و المفعول مسوق على مفعول و ساق الصداق إلى امرأته حمله إليها .. و هو في السياق أي في النزع .. و تساوقت الإبل تتابعت قاله الأزهري و جماعة ، و الفقهاء يقولون تساوقت الخطبتان و يريدون المقارنة و المعية و هو ما إذا وقعتا معاً و لم تسبق إحداهما الأخرى"159 .

نرى من خلال ما مر بنا : أن "السياق في الحس اللغوي و في الدلالة اللغوية و بمجموع المعاني التي تدل عليها تقليباً هذه الكلمة ، يدل على انتظام متوال في الحركة لبلوغ غاية محددة .. فالنتابع فيما بين الأشياء هو التساوق ، و لا يكون متتابعاً إلا إذا كان له غاية لا بد من وصولها"160 .

2- المعنى الاصطلاحي :

المعنى الاصطلاحي لكلمة سياق ، صعب جدا في تحديده ، لأنه اصطلاح تكاد أغلب المجالات المعرفية تدعيه لنفسها ، و الحقيقة هي كذلك ، فأغلب العلوم تستعمل هذا المفهوم في مجالاتها المختلفة،

156 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح، ص: 573 .

157 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - القاموس المحيط، ص: 823 ، 824 .

158 أحمد ابن فارس - معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ، ط 02 ، لبنان ، 1998، ص: 498 .

159 أحمد بن محمد بن علي الفيومي - المصباح المنير، ص: 178 .

160 عبد الفتاح محمود المثني - نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر ، ط 01 ، الأردن ، 2007، ص: 14 .

و لا يكاد حقل معرفي يخلو منه ، و يرى عديد الباحثين أن السياق في إطار النظرية يرجع في أصوله إلى لغويي القرن التاسع عشر ، من أمثال الباحث فيجنر Wegner الذي يرى أن السياق " هو الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها و فهمها ، و أنه لا يتضمن عند الاتصال اللغوي الكلمات فقط ، بل الصلات و الظروف المحيطة و الحقائق السابقة " ¹⁶¹ ، و هناك من يرجع بأصول نظرية السياق إلى مباحث فلسفة اللغة العادية ، التي صاحبها النمساوي فيتنغشتاين Wittgenstein و " المادة الأساسية للفلسفة عند فيتنغشتاين هي اللغة .. و راح يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة .. " ¹⁶² و بالنظر إلى هذا و إلى ما ذكر كانت الصعوبة في القبض على الحد الجامع و المانع .. و مع هذا ستكون المحاولة ، بإيراد تعريفات من مختلف المشارب و الاتجاهات .

و لقد تفاوت العلماء العرب في تحديد مفهومه و اختلفوا بحسب موقع كل واحد من اهتمامه الخاص، و لهروب السياق من أن يحدد بألفاظ مخصوصة ، و ربما هذا ما أغنى الشبكة المفاهيمية للسياق بالكثير من التعريفات فقد " قال ابن دقيق العيد: أما السياق و القرائن ، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه . وقال السرخسي : القرينة التي تقترب باللفظ من المتكلم ، وتكون فرقا فيما بين النص والظاهر هي السياق ، بمعنى الغرض الذي سيق لأجلها الكلام ، وقال البناي (ت1198 هـ): "السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه" ¹⁶³ .

و يمكننا القول بأن مصطلح السياق في معناه يطلق على مفهومين ، و ذلك تفاديا مما يشهده معناه في ما قد حدث في أفهام البعض ، فهناك السياق اللغوي أو اللساني ، و هناك سياق آخر يختلف عن هذا السياق و هو سياق التلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقف ، " فالمفهوم الأول كان المفهوم الأكثر شيوعاً في البحث المعاصر .. و يتضح بهذا المفهوم ، أنه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب ، من وحدات صوتية و صرفية ، و معجمية ، و ما بينهما من ترتيب و علاقات تركيبية .. تجاوز الباحثون [هذا] التعريف النموذجي إلى التعريف الأرحب للسياق فأصبحت (تعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام (..) و تسمى هذه الظروف ، في بعض الأحيان،

161 محمود جاب الرب - علم اللغة نشأته و تطوره، دار المعارف ، ط 01 ، القاهرة ، 1985 ، ص: 148 .

162 مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، ص: 23 .

163 رجحانة اليندوزي - صلة أسباب النزول بعناصر السياق ودورها في الفهم والتطبيق ، منتدى الإيوان www.iwan7.com

بالسياق .. بيد أنه قد يلتبس ، عند هذا الحد ، مصطلح السياق بمصطلح المقام ، وهذا الالتباس ممتد بين زمنين و ثقافتين .. و هذا ما يبيده تمام حسان عند تحفظه على تحديد مفهوم المقام عند البلاغيين العرب . فهو يرى أن الفيصل في ذلك الاختلاف بين مفهومي المقام و السياق ، هو معرفة ما تنطوي عليه الثقافة .. بقوله : لقد فهم البلاغيون (المقام) أو (مقتضى الحال) فهماً سكونياً قالياً نمطياً مجرداً ثم قالوا لكل مقام مقال (..) فهذه المقامات نماذج مجردة ، و أطر عامة ، و أحوال ساكنة (..) و بهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني static فالذي أقصده بالمقام ليس إطاراً و لا قالباً ، و إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءاً منه ، كما يعتبر السامع و الكلام نفسه .. "164 .

و ينطلق المثنى عبد الفتاح محمود في تعريفه للسياق ، من نظرتة للسياق في إطار القرآن ، آخذاً في ذلك بالمعنى اللغوي الذي هو التابع ، فيقول : " تتابع المعاني و انتظامها في سلك الألفاظ القرآنية ، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود ، دون انقطاع أو انفصال "165 .

و يعرض ردة الله الطلحي السياق في بعض النقاط المحددة ، و ذلك بعد أن طاف بعدد من المفاهيم المختلفة في التراث العربي، يقول: 166
الأولى : أن السياق هو الغرض : أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام ، و هو واحد من المفاهيم التي عبر بلفظ السياق (السوق) عنها ، و كان استعمالها بهذا منضبطاً عند الأصوليين ..

الثانية : أن السياق هو الظروف و المواقف و الأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها ، و أوضح ما عبر عن هذا المفهوم لفظاً الحال و المقام .

الثالثة : أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، و يشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهاً استدلالياً .

164 عبد الهادي بن ظافر الشهري - إستراتيجيات الخطاب، ص: 40 ، 41 .

165 عبد الفتاح محمود المثنى - نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر ، ط 01 ، الأردن ، 2008، ص: 15 .

166 ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، ص: 50 .

و يعرفه جاسم محمد عبد العبود بأنه : " استعمال الكلمة في اللغة أو طريقة استعمالها ، أو الدور الذي تؤديه الكلمة أو هو مجموع ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى "167 .

و تعرفه خلود العموش بقولها : " أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية و الإبلاغية ، لدى كل من منتج الكلام و المتلقي ، و أنه ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية "168 .

و البداية الفعلية للاهتمام بالسياق ، كانت من قبل برونسلا مالينوفسكي Malinowsky العالم الأنثروبولوجي ، فهو يهتم بسياق الموقف و يرى أن اللغة أسلوب عمل و تعاملنا مليء بمبدأ مهم هو مبدأ التجامل ، فقد وجد مالينوفسكي نفسه أمام " كثير من العبارات و التعبيرات التي صعب عليه تفسيرها ترادفياً ، فحاول ربطها بالمواقف التي قيلت فيها .. و الذي يبدو أن كل لغات العالم هي أسلوب عمل حين يكون سياقها كذلك ، أما حين يختلف السياق ، فتختلف الوظيفة ، فهي توثيق فكر و تبليغ رسالة حين يكون سياقها فكرياً أو إبلاغياً .. إن هذه المبادئ التي بشر بها مالينوفسكي قادت إلى التعمق في السلوك اللغوي بإزاء أنماط السلوك الاجتماعي المختلفة ليضيف جانباً من السلوك اللغوي الاجتماعي أسماه (التجامل Phatic communion) "169 ، و ربما يقصد ما قد عرفناه في عرفنا الإسلامي و هو المداراة .

و يتبنى حسين خمري رأي محمد العمري في تعريفه للسياق ، يقول : " و لتعريف السياق نورد ما قاله محمد العمري في مجلة (دراسات سيميائية) إذ يقول : يتسع المقام ليشمل جميع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفويّاً كان أو مكتوباً . و كثيراً ما ارتبط المقام في البلاغة العربية بزيادة شرح و تحديد ذلك بالحديث عن أقدار السامعين و مقتضى أحوالهم ... ثم يفرق محمد العمري بين السياق و المقام قائلاً : لا بد من التمييز بين المقام و السياق و ذلك بخصر الثاني في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التركيب ، سياق كلمة أو وحدة صوتية مثلاً . و قريب من السياق ما سيسميه بعض

167 جاسم محمد عبد العبود - مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، لبنان ، 2007 ، : 133 .

168 خلود العموش - الخطاب القرآني، ص: 26 .

169 ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، ص: 183 إلى 186 .

البلاغيين المقام لداخلي في الأدب و هو العلاقة بين الشخصيات في العمل السردى و المسرحى، تمييزاً له عن المقام الخارجى المرتبط بمن يستهلك ذلك الإنتاج¹⁷⁰

و لعل اللساني البريطاني فيرث هو أول من اهتم بالسياق باعتباره نظرية متكاملة و كان قد استفاد من آراء مالينوفسكي ، " و تقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق . و أحدثت بذلك تغيراً جوهرياً في النظر إلى المعنى.. و قد استخدم السياق في هذه النظرية بمفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي ، و الصبري ، و النحوي ، و المعجمي ، و لا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة¹⁷¹ ، و قد أفادت هذه النظرية بشمول تناولها الذي لا يقصي أي طرف في دورة الخطاب ، فموضوع " النظرية الفيثرية إذاً هو السلوك البشري في إطار سياق معين . و لكن الموقف تجاه المعطيات السلوكية هنا ، جاء مخالفاً لما ورد في النظريات الأخرى ، التي نظرت إلى اللغة على أنه نشاط إنساني، فالنظريات اللغوية التي تبنت فكرة اللغة على أنها سلوك كالبنوية السلوكية البلومفيلدية ، تبنت كذلك ثنائية دي سوسير بين المتصور و المدلول مقابل الصورة الصوتية و الدال ، و فسرتها في إطار السلوك : أي المثير و الاستجابة للمثير ، أو السياق ، أو المعنى مقابل الصوت ، و يمكن تحري النمط اللغوي من العلاقات القائمة بين هذين المظهرين للمعطيات . أما فيرث فيرى أن النمط يستخلص من المعطيات السلوكية الكلامية في سياق ما ، و لكن العلاقة بين السلوك و السياق ليست كما ذهب إلى ذلك دي سوسير . و قد أطلق فيرث على السلوك الكلامي اسم : المعطيات الصوتية (Phonic data) . و هي عبارة عن متصل كلامي غير مقطع ، و السياق الواسع هو الثقافة ، و السياقات الثانوية هي سياقات الموقف¹⁷² .

و يرى هاليداي M.Halliday أن السياق : " هو النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر ، و هو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية¹⁷³ .

و يقول روبرت دي بوجراد : " ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه Situation of occurrence تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات Stratégies و التوقعات Expectations و

¹⁷⁰ حسين مخري - نظرية النص، ص: 184 .

¹⁷¹ يونس علي محمد محمد - مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، دار الكتاب الجديد ، ط 01 ، ليبيا ، 2004، ص: 27 ، 28 .

¹⁷² أحمد مومن - اللسانيات النشأة و التطور، ص: 180 ، 181 .

¹⁷³ يوسف نور عوض - علم النص و نظرية الترجمة، دار الثقة للنشر و التوزيع ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1410 هـ، ص: 29 .

المعارف Knowledge ، و هذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف Context . أما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البنية Co-text¹⁷⁴ ، إذ أنه يفرق ما بين مصطلحين Context و يتضمن ما هو موجود في الخارج من دلالات ، و أيضاً يتضمن ما يخص إنتاج النصوص و استقبالها ، و Co-text و يتضمن الجوانب الداخلية من مكونات نحوية قواعدية و صوتية و صرفية .

و من جهة أخرى هناك نظرة لسانية معاصرة للسياق ، انطلقت من وحي اللسانيات التداولية ، و التي موضوعها الاستعمال اللغوي في الطبقات المقامية المختلفة ، و أبرز إجراء معبر عن السياق هو الفعل الكلامي بأقسامه الثلاثة ، و من المسؤول عن اتجاهات المطابقة في الفعل المتضمن في القول ، و ما دور القوة الإنجازية المنجزة عن هذا في سياق الحجاج ، و قد أوضحنا هذا في الفصل السابق ، غير أن الإستراتيجية التداولية تعتبر طريقة جيدة لما هو منجز كلامياً ، و هذا المنجز ينبغي أن يكون ذا طابع إيقاعي بمعنى أن يحقق فعلاً حال التلفظ به مثل ألفاظ العقود و الوعد ، غير أن هذا التوجه مازال يبحث له عن تجريب لتحقيق الكفاية اللازمة له ، و ذلك في نصوص البوحيات و الخبرية المكتوبة .

و عليه فآلية السياق هو تناول إجرائي يخص ثلاثة مستويات ، المستوى النصي اللغوي ، و المستوى الذي يدخل في نطاق العلاج الدلالي أو السيميائي بتعبير أصح ، و المستوى غير اللغوي الذي يدخل في باب الاستعمالات أو بما يسمى التداولي الذي من مهامه التناولات الثقافية و العرفية بين أطراف الخطاب ، و من منظوره هذا يستعين بآليات مختلفة ، آليات البنية و آليات الدلالة و آليات التداول ، و موضوعه يكمن في البحث عن المعنى أولاً ، و في البحث عن المقاصد ثانياً .

3 - مكونات السياق :

للسياق مكونات عديدة و عناصر مختلفة ، تدخل أثناء تفاعله في دورة خطافية معينة ، و هذه المكونات و العناصر تختلف بحسب الأداءات و بحسب الأفراد و بحسب الزمان و المكان .

و نجد عناصر السياق عند هاليداي تتمثل في الآتي :¹⁷⁵

1 - موضوع الحدث الأساسي .

174 روبرت دي بوجراند - النص و الخطاب و الإجراء، ص: 91 .

175 ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، ص: 569 ، 570 .

2 - الوسيلة اللغوية نطقاً أو كتابة .

3 - نوع النص من حيث كونه سردياً ... (النوع الأدبي مثلاً ..) .

4 - أسلوب النص (نوع الكلام نحويًا) الأمر - الاستفهام - الرجاء - ، و (نوع الكلام اجتماعيًا) من حيث الرسمية و عدمها .

5 - المتكلم .

6 - المخاطب (السامع) .

7 - المشاركون في الحدث اللغوي من حيث المستوى الاجتماعي و الثقافي ، و علاقة كل منهم بالمتكلم أو السامع ، أو بالحدث في إجماله .

8 - الغاية التي يساق لها النص (الغرض) كالإخبار ، و الوصف ، و الطلب بعمومه .. الخ

9 - الأشياء المحيطة بالحدث (المكان و الزمان) .

و نجد ابن تيمية يراعي في نظريته إلى عناصر السياق القرآن في ذلك، و يمكن أن ندرج عناصره على النحو التالي: ¹⁷⁶

1 - المتكلم بالقرآن .

2 - المنزل عليه .

3 - المخاطب عليه .

4 - سياق الكلام ...

5 - معرفة المكّي و المدني .

6 - معرفة أسباب النزول .

و يذكر جاسم محمد عبد العبود بعض المكونات من مثل :

¹⁷⁶ المرجع نفسه، ص : 580 (بتصرف) .

القرينة .. (هي ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي في الجملة) ..

النظم .. (تأليف الكلمات و الجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل و قيل الألفاظ المرتبة المسوقة المعتبرة و دلالاتها على ما يقتضيه العقل) ..

و النص .. (عبارة عما يثبت بمعنى النص لغة لا اجتهدا) .. (ما لا يتحمل إلا معنى واحدا ، و قيل ما لا يتحمل التأويل) ..

الخطاب .. (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل الكلام الموجه نحو الغير للإفهام) ..

المقتضى أو الاقتضاء .. (هو جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق) ..¹⁷⁷
و يرى الشهري أن السياق يتكون من : " المرسل و المرسل إليه ، و ما بينهما من علاقة ، بالإضافة إلى مكان التلفظ و زمانه ، و ما فيه من شخوص و أشياء ، و ما يحيط بهما من عوامل حياتية : اجتماعية، أو سياسية ، أو ثقافية ، و أثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى "¹⁷⁸ .

و يتوصل الطلحي - في رأيه - إلى عناصر السياق الرئيسية ، و يعتبر أنها تتمثل في :¹⁷⁹

1 - المتكلم .

2 - المخاطب .

3 - الكلام (النص) .

4 - معضدات الكلام .

5 - الزمان و المكان .

و المقاربة التداولية تنظر إلى عناصر السياق نظرة التحقق الفعلي للقول ، " فقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي Speech act نواةً مركزية في الكثير من الأعمال التداولية . و فحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري . و فضلاً عن ذلك ، يعد نشاطاً مليلاً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية

¹⁷⁷ جاسم محمد عبد العبود - مصطلحات الدلالة العربية، ص: 151 إلى 158 (بتصرف) .

¹⁷⁸ عبد الهادي بن ظافر الشهري - إستراتيجيات الخطاب، ص: 45 .

¹⁷⁹ ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، ص: 598 .

Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب و الأمر و الوعد و الوعيد .. الخ) ، و غايات تأثيرية Actes Perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي¹⁸⁰

و هي جملة العناصر التي عادة ما تكون معتبرة عند بناء النص أو فهمه ، و كما قلنا سابقا فإن العناصر ليست هي نفسها عند كل دورة خطابية معينة ، لذلك من الصعب جدا أن نورد العناصر المثالية للسياق لكل ما يجول من خطابات ، و ما أوردناه هو الشائع لدى محلي الخطابات .

4 - السياق و المناسبة :

هناك تداخل كبير ما بين مفهوم السياق و مفهوم المناسبة ، و هذا مرجعه إلى اشتراكهما في كثير من الخصائص التي تميز كل واحد منهما ، و لكن إن رجعنا إلى الامتداد المفهومي لكليهما وجدنا الفرق الذي يكمن ما بينهما .

يقول المثني محمود عبد الفتاح : " أما عن الفرق بين السياق و المناسبة .. فوظيفة المناسبات الكشف عن وجوه الربط بين الآيات و المقاطع التي لا يظهر - لأول وهلة - وجه ارتباطها بما قبلها و ما بعدها ، و لا يتم الربط إلا بعد معرفة المعاني التي احتوتها الآيات السابقة و اللاحقة ، و هذه وظيفة السياق ، و ذلك من خلال الكشف عن معانيه المتتابعة ، فإن الذي يشخص المعاني و يشكلها و يحدد بدايتها و نهايتها سياقها ، فالسياق خادم لعلم المناسبات ، و لا يتم استجلاء المناسبات إلا بعد معرفة سياق المقاطع القرآنية و حينئذ يتحدد الموضوع ، و عليه يكون إبراز المناسبة أمراً في غاية الوضوح و البيان ."¹⁸¹

ففي تعريف علم المناسبات نجد ما يواكب بعض عناصر السياق يقول الزركشي : " (جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوي بذلك الارتباط ، و يصير حاله حال (الأكيد) البناء المحكم، المتلائم الأجزاء)

أما موضوع هذا العلم فيشرحها البقاعي بقوله : (.. علم تعرف منه علل الترتيب ، و ثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه و ما أمامه من الارتباط و التعلق الذي هو كلحمة

¹⁸⁰ مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، ص: 40 .

¹⁸¹ عبد الفتاح محمود المثني - نظرية السياق القرآني، ص: 19 .

النسب ، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، و هو سر البلاغة ، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ..»¹⁸² .

هذا في مصطلح المناسبة في القرآن ، و لكن هناك سياقاً آخر للمناسبة في اللسانيات التداولية و يسمى المناسبة أو الملاءمة *Pertinence* و صاحبها غرايس ، و يعد هذا المبدأ شرطاً ضرورياً لتعديل الكفة بين ما يُقال و ما يُقصد و ما يُفهم أيضاً ، ذلك أن الملفوظ الخطابي لا بد و أنه لم يقصد المتكلم دون إضافة أو نقصان ، والمستمع كذلك له أن يأخذ من المستوى الحرفي و المضمرة للملفوظ بما يقع في حدود الفهم إذ أن " كل التفاعلات رهن بالتوافقات الدائمة والمتعددة التي تسمح للمشاركين أن يضمنوا وجود تحديد عام للموقف والذي يُفهم من قبلهم على مختلف الأوجه "183 ، فالملاءمة تأخذ في الاعتبار هذه الجوانب ، " فباستطاعة كل طرف إذاً أن يتوقع من الآخر أن يلتزم بجملة من المواضع أثناء كلامه . و تتصل هذه المواضع أو المبادئ بكمية الإسهامات في الحوار (أو مدى الإبلاغ فيها) و نوعيتها (أو مدى صدقها) و كقيمتها (أو مدى وضوحها) و مناسبتها"¹⁸⁴

فمن خلال ما مر يمكن أن نجمل الفروق في الآتي :

- 1 - أن المناسبة علم خاص في فرعين (التفسير و محادثة مثالية) ، بينما السياق موضوع عام .
- 2 - أن السياق أشمل من المناسبة ، بدليل أن المناسبة تختص بموضع محدد و علاقته بالقرآن و كذلك بخطاب مثالي مجرد يفترض أن يكون ، بينما السياق يشمل موضع الذي نزول الآية و يشمل كل الخطابات المجردة و الواقعية .
- 3 - أن علم المناسبة باعتباره علماً ، يختص بمدونة واحدة و هي السبب في ظهوره أي القرآن الكريم، و المناسبة إجراء تداولي مدونته خطاب مجرد ، بينما السياق يختص بعدد المدونات غيرها .
- 4 - أن المناسبة و الملاءمة وسيلة لخدمة السياق العام .

5 - السياق اللغوي و غير اللغوي :

¹⁸² ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق ، ص: 120 .

¹⁸³ Traverso Véronique - L'analyse Des Conversations, Nathan Sejer, SNE, paris, 2004,p: 72.

¹⁸⁴ ج.ب براون، ج بول- تحليل الخطاب، ص: 101 ، 102 .

يختلف السياق اللغوي عن غير اللغوي في كون الأول يحتفي بعلاقات البنية بغيرها من البنى التجاورية ، و يقيم المعنى الوظيفي نتيجة لهذه العلاقات ، و أبرز مظهر له يتجلى في بيان المعنى النحوي و اللساني ، و لا تعنيه النسبة الخارجية التي تؤديها العبارة ، أما الثاني فيتناول مؤديات المعنى في طبقات المقام ، فيكون من ضمن اعتباراته المتكلم و المخاطب و الجو المحيط بذلك ، مثل الأعراف و الثقافات و التقاليد التي تكون من ضمن الدورة التخاطبية " إذ أن السياق يأتي في نوعين : السياق اللغوي ، و السياق الحالي ، فالأول منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص ، فهو يزيل اللبس عن الكلمة ، بينما سياق الحال أو المقام يزيل اللبس عن الجمل و النصوص ، و السياق بهذا المفهوم يتعدى ما هو معروف من حيث إنه تتابع للأصوات و الألفاظ ليشمل فضلاً عن ذلك الجو البيئي و النفسي المحيط بكل من المتكلم و السامع¹⁸⁵ .. و هكذا ، غير أننا يمكن أن نفرق ما بينهما على النحو التالي :

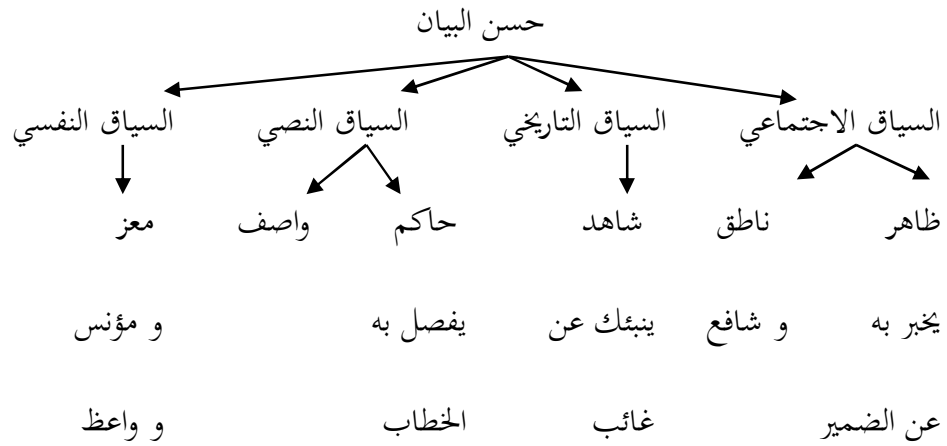
- 1 - السياق اللغوي سياق بنوي ، بينما السياق غير اللغوي سياق تداولي .
- 2 - السياق اللغوي يحتفي بالمعنى النحوي ، بينما السياق غير اللغوي يهتم بمقاصد المجاز .
- 3 - السياق اللغوي آلياته البنى و علاقات و وظائف و قيم البنى ، في حين أن السياق غير اللغوي آلياته بلاغية و دلالية و تداولية .
- 4 - السياق اللغوي من اهتمامات اللساني و النحوي و عالم اللغة ، و غير اللغوي من اهتمامات البلاغي و الفقيه الأصولي و محلل الخطابات في السياق العام .
- 5 - السياق اللغوي يزيل اللبس عن الكلمة بما يحيط بها ، أما السياق غير اللغوي أو الحالي فهو يزيل اللبس عن الجمل و النصوص و الخطابات .

6 - أنواع السياقات :

¹⁸⁵ خلود العموش - الخطاب القرآني، ص: 26 .

السياقات أنواع متعددة جدا ، و يمكننا على ضوء ما ذكرناه آنفاً ، أن نحدد السياقات على جهتين متباينتين ، جهة اللغة و الجهة التي تتجاوز اللغة ، فيكون هناك سياق لغوي و سياق غير لغوي، و لا بأس في أن نحدد الأنواع على النمط التالي :

ينقل لنا صلاح الدين زرال نظرة الجاحظ لأنواع السياقات التي يخرج بها حسن البيان ، في خطاطة توضح السياقات التي تكلم عنها الجاحظ :¹⁸⁶



و يرى الطلحي السياق رؤية من قبيل الأسلوبية ، فيقول :¹⁸⁷

يفرق الأسلوبيون كمياً بين نوعين من السياقات الأسلوبية :

أولهما : السياق الصغير (Micro context) : و يقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده ، و يعنى أسلوبياً بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات ، فيبرز بعضها بعضاً ، و يؤثر بعضها في بعض.

و الآخر : السياق الكبير (Macro context) : و يقصد به أحيانا ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ ، كالجملية أو الفقرة أو الخطاب جملة ، و قد يتخذ هذا المصطلح أسلوبياً دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ ، و هو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي و الاجتماعي.

¹⁸⁶ صلاح الدين زرال - الظاهرة الدلالية، ص: 437 .

¹⁸⁷ ردة الله بن ردة الطلحي - دلالة السياق، ص: 54 .

ثم ما يلبث حتى يضيف تقسيماً آخر عن طريق ترسيمة يوضح فيها أنواع السياقات و تداخلها و
علاقة كل سياق بالسياق الآخر :¹⁸⁸

الموقف/التاريخ/الأدب/المكان/الزمان/الجغرافيا ...

السياق الثقافي

سياق النص

السياق النحوي

السياق الصرفي

المعجمي

الصوتي

Verbal Context

و يحدد جاسم محمد عبد العبود أنواع السياقات على النحو الآتي :¹⁸⁹

أولاً : السياق اللغوي (Linguistic context) :

و يقصد بالسياق اللغوي الإطار الداخلي للغة أو البنية الداخلية للغة .. و يضم السياق اللغوي
أجزاء، و هي :

أ- السياق الصوتي : و هو الذي يدرس الصوت في سياقه .. الصوت يؤدي وظيفة مهمة في المنطوق
من حيث يتميز المنطوق عما يشبهه بما به من أصوات ، و قد يكون المنطوق متوقفاً على صوت واحد
من أصواته كالفرق بين نال و مال ..

¹⁸⁸ السابق، ص : 205 .

¹⁸⁹ جاسم محمد عبد العبود - مصطلحات الدلالة العربية، ص: 141 إلى 149 .

ب- السياق الصرفي : و هو السياق الذي يهتم بدراسة المفردات لا بوصفها صيغا و ألفاظا فقط و إنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة ..

ج- السياق النحوي : و هو السياق الذي يبحث في معاني التراكيب النحوية ..

د- السياق المعجمي : و يقصد به العلاقات البنيوية الأفقية التي تقوم في العبارة بين المفردات ..

ثانيا : السياق غير اللغوي (Context of situation)

و هو معرفة السياق و فهمه خارج النص عن طريق الظروف المتعلقة بالمقام أو سياق الموقف ..

أ - السياق الثقافي (Cultural context)

و هو تحديد المحيط الثقافي و الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة .. أي أن كل طبيعة ثقافية أو مجموعة لها كلمات خاصة بها أو حقل دلالي خاص بها ..

ب - السياق العاطفي (Emotional context)

و هو السياق الذي يحدد درجة القوة و الضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا.. و يرتبط هذا السياق بالحالة العاطفية أو النفسية ..

و يرى فيرث أن هناك أنواع من السياقات ، و هي موزعة بحسب التوزيع الهرمي ، مثلما هو

موضح في الآتي :¹⁹⁰

1 - سياق صوتي

2 - سياق معجمي

3 - سياق صرفي

4 - سياق تركيب

5 - سياق موقعي

¹⁹⁰ أحمد مومن - اللسانيات النشأة و التطور، ص: 181 .

6 - سياق ثقافي .

و يحدد الشهري أنواعا مختلفة من السياق ، و يتبنى نظرة بریت Parret في ذلك ، و يوردها على ما اختصرناه آتياً¹⁹¹ :

1 - السياق النصي :

.. قدم نحو النص و تحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة .. فأعادوا بناء تماسك النص بوصفه نظاما أكبر في النحو .

2 - السياق الوجودي :

.. و يتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه ، (عالم الأشياء ، حالاتها ، الأحداث) و التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية .

3 - السياق المقامي :

.. إن السياق المقامي يوفر ، جزئيا ، بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية . و المقامات ، بوصفها سياقاً .

4 - سياق الفعل :

.. تعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامي .. إذ تبين .. كل الجمل تقال ليكون لها قوة تسمى القوة الإنجازية ، و يلح أوستين Austin على دور العرف الاجتماعي ، أي التعاقدية ، لإنتاج اللغة .

5 - السياق النفسي :

إن اعتبار الخطاب فعلاً ، و أن الفعل اللغوي قصد مشروط ، يقود إلى دمج الحالات الذهنية و النفسية في نظرية تداولية اللغة ، لتصبح المقاصد و الرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل و التفاعل .

¹⁹¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري - إستراتيجيات الخطاب، ص: 42 إلى 44 .

و يرى ج.بول و ج.ب.براون في السياق أنواع ثلاثة ، سياق مادي ، و سياق نصي ، و سياق موسع، ففي السياق المادي و يسميه المقام ، يركز على محتواه الصوتي الدال و محور الحديث ، و في السياق النصي يركز على الإحالات ، و في السياق الموسع يركز على السياق الإشاري (الزمان و المكان و الضمائر ..) و غيره¹⁹² .

ويمكن أن نقسم السياق باعتبار القرآن الكريم إلى:

"أ-السياق الخاص أو سياق المقطع و هو يعني المعاني التي انتظمت في مجموعة من الآيات أو في الآية الواحدة إذا كانت طويلة .

ب-السياق العام أو سياق السورة و هو المعاني المنتظمة في السورة الواحدة في موضوع واحد أو موضوعات ربطت بينها المناسبة ."¹⁹³

7 - دور السياق و وظائفه :

تكمن فعالية السياق في إبانة المقصود من الخطاب ، بما فيه من أدوات ، لذلك تعتبر أدواره و وظائفه مهمة جداً لتحديد مجريات الخطاب ، و لتحقيق الدورة بصورة صحيحة بين المتخاطبين ، لأنه لولا السياق المحدد لاختل توازن التفاهم ، و ربما حدثت عواقب ليست بالسارة ، فمن هذا المنطلق كانت للسياق فوائد جمة و ميزات كبيرة باعتبار دوره و وظائفه . و يمكننا أن نوجز هذه الأدوار و الوظائف فيما يلي .

يقول صلاح الدين ززال أن وظائف السياق تكمن في الآتي:¹⁹⁴

أ - معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات ، و تصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها ...

ب - وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً .

ج - معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية ...

¹⁹² ج.ب.براون، ج بول - تحليل الخطاب، ص : 44 إلى 61 (بتصرف) .

¹⁹³ أحمد لافي فلاح المطيري- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007،ص: 18 .

¹⁹⁴ صلاح الدين ززال - الظاهرة الدلالية، ص : 381 ، 382 .

د - إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم و سائر المشتركين في الكلام .

هـ - وجوب تحديد بيئة الكلام ، لأن هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة و أخرى ..

و - يجب تحليل الكلام إلى عناصره و وحداته الداخلية المكونة له ، و الكشف عما بينهما من علاقات داخلية لكي نصل إلى المعنى .

بينما يحدد جاسم محمد عبد العبود دور السياق بارتباطه بتصنيف الأصوليين للنص ، و ذلك في مبحثه الثالث من كتابه مصطلحات الدلالة العربية المعنون ب: دور السياق في التدرج الدلالي من حيث الوضوح و الغموض ، فيقول : " و نرى أول بادرة في النص هو الوضوح ، إذ كانت دلالة النص واضحة، و سنجد هذا الوضوح و الغموض في الصيغ الخطائية التي ذكرها الفقهاء ، و هي (أربعة مقابل أربعة : الظاهر و النص و المفسر و المحكم و في مقابلها : الخفي و المشكل و المجمل و المتشابه .

و نجد هذه الأقسام الثمانية تدور كلها حول فهم المعنى من النص ، أي التدرج الدلالي من حيث الوضوح و الخفاء .

تدرج الوضوح الدلالي :

الظاهر × الخفي

النص × المشكل

المفسر × المجمل

المحكم × المتشابه .

و عن طريق المدرج الدلالي نعرض مصطلح الوضوح أولاً ، و ما بعده الغموض¹⁹⁵ .

و نرى المثني عبد الفتاح محمود ، كذلك يذكر فوائد السياق القرآني ، التي هي نابعة من سياق الدلالة ، فيذكر هذا في ما يلي¹⁹⁶ :

الفائدة الأولى : توجيه المتشابه اللفظي .

¹⁹⁵ جاسم محمد عبد العبود - مصطلحات الدلالة العربية، ص : 161 ، 162 .

¹⁹⁶ عبد الفتاح محمود المثني - نظرية السياق القرآني، ص : 163 ، 164 .

الفائدة الثانية : التنوع الدلالي .

الفائدة الثالثة : الترجيح الدلالي .

الفائدة الرابعة : تخصيص العام .

الفائدة الخامسة : دفع التكرار المعنوي .

الفائدة السادسة : نقد الروايات على ضوء السياق .

الفائدة السابعة : دفع الأوهام في هذا المقام .

ويمكن أن نوجز طبقاً لما قد مر بنا الوظائف العامة للسياق في ما يلي :

1 - السياق يفرز المعاني عن بعضها ، و يحدد بدقة المعنى المطلوب .

2 - و لا يحدد السياق المعنى فحسب ، بل يحدد المقاصد أيضاً من الخطابات .

3 - و نتيجة لأعراف اللغة التي يفرضها السياق ، فإنه تالياً يقوم الإنتاج أسلوبياً وفق مقومات المتعارف عليه . ليس هذا فقط ولكن أيضاً يخلق أنماطاً جديدة بمفهوم أصالة المبدع .

4 - السياق عامل مهم جداً في التعاملات الاجتماعية ، إذ أنه يخلق قواعد و مبادئ ما بين الناس بها يتعاملون في أحاديثهم اليومية .

5 - السياق يتجاوز هذا ، و يحدث أعرافاً ، ثم ما تلبث الأعراف أن تكون قوانيناً بعامل العادة و التكرار .

هذا كله في الأدوار التي يؤديها السياق ، و عرفنا ما له من أهمية بالغة ، و دور فعال عند الإنسان ليس في لغته فقط ، و إنما حتى في بعض ثوابته ، و عليه علينا أن نتساءل في حدود دراستنا ، ما هي الآليات الممكنة في السياق ، و التي من شأنها أن تحلل خطاب التفسير القرآني ؟ هل هي متنوعة عامة أم خاصة بناحية دون أخرى ؟

8 - آليات سياق التفسير

التفسير القرآني ليس ككل الخطابات الأخرى ، فهو يختلف عنها في كون معانيه و مقاصده مستوحاة من القرآن (الكلام الإلهي) ، أو هو محاولة لبيان ما يريد القرآن أن يقوله ، علما أن هذه المحاولة من قبل الإنسان ، و قد تكلف هذه المحاولة حضوراً لعناصر عديدة ، مثل الانضباط المنطقي ، معارف سابقة لعلوم اللغة و لعلوم القرآن و علم الحديث و الفقه ، و سلامة المفسر أي أن يكون سوياً ... هذه الشروط إن كانت مطلوبة للمنبري لتفسير القرآن فهي غير مطلوبة في الخطابات الأخرى غير الشرعية . لذلك كان من السهل على النقاد و الباحثين في تحليل الخطابات أن يحققوا آليات معينة لتلك المدونات الخطابية مثل الأدب و أجناسه و أنواعه .

و على هذا الأساس ، تبدو الصعوبة ، التي يعانها الباحث في بيان آليات تحليل خطاب التفسير ، و لذلك فإن أي محاولة ينبغي لها أن تكون جزئية ، أي أن تقصد معطًى واحداً من المعطيات ، لذلك اخترنا السياق تصنيفاً ، معضوداً بما يراه الشنقيطي في قضايا الإجمال و البيان من تفسيره أضواء البيان، إذ أن هناك قواعد يعتبرها الشنقيطي في تفسير القرآن و هي كالتالي :¹⁹⁷

القاعدة الأولى : لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه من كتاب أو سنة.

القاعدة الثانية : وجوب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص .

القاعدة الثالثة : إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها .

القاعدة الرابعة : صيغة الأمر المجردة عن القرائن تقتضي الوجوب ، و صيغة النهي كذلك تقتضي التحريم.

القاعدة الخامسة : إذا دار الكلام بين التأسيس و التأكيد فحملة على التأسيس أولى .

القاعدة السادسة : وجوب حمل النص على بقاء الترتيب إلا لدليل .

القاعدة السابعة : لا ينبغي حمل الآية على القلب بدون دليل ، لأنه خلاف ظاهر .

القاعدة الثامنة : إذا دار الكلام بين التقدير و عدمه حمل على عدم التقدير .

¹⁹⁷ أحمد سلامة أبو الفتوح - عقود المرجحان، دار الكيان ، ط 01 ، الرياض ، 2005 ، ص: من 135 إلى 178 .

القاعدة التاسعة : القول بالتأصيل مقدم على القول بالزيادة .

القاعدة العاشرة : إذا دار اللفظ بين الحقيقة الشرعية و العرفية اللغوية ، قدمت الحقيقة الشرعية ثم العرفية ثم اللغوية .

فضلاً عن ذلك، فإن التفسير ينبغي أن يعتمد القرينة في الترجيح و التضعيف ، ثم وجوب حمل كلام الله (تعالى) على ما فيه اتساق و ترابط بين معانيه السابق منها و اللاحق ، و على هذا الأساس يكون الطرح مضمناً في مناهج معينة مثل البنيوية و علم الدلالة و التداولية و هكذا، و ذلك حتى يسهل لنا مكنم التناول ، و المحاور هي كآآآي :

1 - آليات السياق البنيوية و الأسلوبية .

2 - آليات السياق الدلالية .

3 - آليات السياق التداولية و غير اللغوية .

و دائماً البداية تكون مما هو لغوي وصولاً إلى ما هو غير لغوي ، و نبدأ من أول محور .

1 - آليات السياق البنيوية و الأسلوبية :

● توطئة

● آليات السياق البنيوية :

1-السياق الإفرادي

- السياق الصوتي المفرد

- السياق الصرفي

- السياق المعجمي

2-السياق التركيبي

- السياق الصوتي المركب

- السياق النحوي و الوظيفي

3-السياق البلاغي و الأسلوبي .

4- سياق القراءات القرآنية.

● آليات السياق الدلالية :

- توطئة
- سياق الاشتراك
- سياق التضاد
- سياق المعرب
- سياق التقابل الدلالي
- سياق التضمن
- سياق اللزوم أو الاقتضاء
- السياق الإحالي
- سياق الإجمال
- سياق الترجيح
- تخصيص العموم
- سياق التناسب

● آليات السياق التداولية و غير اللغوية :

- توطئة
- سياق الافتراض
- سياق الإضمار
- سياق الفعل الكلامي
- سياق الحجاج
- سياق الاستشهاد بغير القرآن
- معرفة علوم القرآن (سياق الموقف)
- أسباب النزول
- معرفة المكّي و المدني
- السياق المذهبي

9 - الإمام الشنقيطي ، و كتابه أضواء البيان :

يعدّ الإمام الشنقيطي من الأئمة الكبار الذين برعوا في عديد العلوم اللغوية و البلاغية و الشرعية، حتى صار المعيار في زمانه ، يقول عادل نويهض في معجم المفسرين : " محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي : مفسر ، باحث ، من علماء شنقيط بموريتانيا ، ولد و تعلم بها . و حج سنة 1367 هـ (1948م) و استقر مدرساً في المدينة المنورة ، ثم في الرياض ، فالجامعة الإسلامية بالمدينة . و توفي بمكة . من كتبه (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) . 10 مجلدات ، طبع في دار (عالم الكتب) بيروت ، لبنان . "198 ، يقول فيه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم : " مات - رحمه الله تعالى - بعد أن أحيا علوماً درست ، و خلف تراثاً باقياً ، و ربّي أفواجاً متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي كليات و معاهد الإدارة العامة بالرياض ، و الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في أنحاء البلاد ابناً من أبنائه ، و في كل قطر إسلامي بعثة من البعثات الإسلامية لمنح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلا بعد أن ترك في كل مكتبة و في كل منزل (أضواء البيان) تبدد الظلام و تهدي السبيل .

فلا يبعد و لا يغالي من يقول : ما مات من خلف هذا التراث ، و أدى تلك الرسالة في حياته ، يبقى أثراً خالداً على مرّ الأجيال و القرون . "199

5- طلبه للعلم ، و شيوخه :

البداية في طلب العلم في عرف العلماء قديماً تكون دائماً بحفظ كتاب الله ، " فقد القرآن على يد خاله عبد الله و عمره عشر سنوات ، ثم رسم المصحف العثماني على يد ابن خاله محمد بن أحمد المختار ، و قرأ التجويد في مقرراً نافع برواية ورش و قالون ، و أخذ عنه سنداً بذلك إلى النبي صلى الله عليه و سلم و عمره ست عشرة سنة .

¹⁹⁸ عادل نويهض - معجم المفسرين، ج 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط 01 ، لبنان ، 1984 ، ص: 496 .

¹⁹⁹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان، ج1، ص: 07 . (من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم)

درس الأدب دراسة واسعة على زوجة خاله ، فأخذ عنها مبادئ النحو ، و دروس واسعة في أنساب العرب و أيامهم ، و السيرة النبوية و الغزوات .

و هكذا كانت دراسته الأولى في علوم القرآن و الآداب و السيرة و التاريخ في بيت أحواله ، أما بقية الفنون ، فقد درس مختصر خليل في الفقه المالكي على يد الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات ، ثم درس عليه النصف من ألفية ابن مالك ، ثم أخذ بقية الفنون على شيوخ متعددين منهم:

الشيخ أحمد الأخرم ، و الشيخ أحمد بن عمر ، و الفقيه محمد بن زيدان ، و أحمد بن مود ، و غيرهم من الشيوخ الحكيميين .

قال رحمه الله عن نفسه : و قد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون ، النحو ، و الصرف ، و الأصول ، و البلاغة ، و بعض التفسير و الحديث ، أما المنطق و آداب البحث و المناظرة فقد حصلناه بالمطالعة ...²⁰⁰ .

- تلاميذه :

و بعد أن تبوأ منزلة رفيعة في العلم و تعليمه ، تكوّن على يديه عدد كبير من شيوخ العلم و العلماء و الأئمة و هم أكثر ، و من أبرزهم²⁰¹ :

1 - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

2 - الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح .

3 - الشيخ عبد الله بن غديان .

4 - الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد .

5 - الشيخ صالح بن محمد اللحيدان .

6 - الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين .

²⁰⁰ أحمد سلامة أبو الفتوح - عقود المرجان، ص: 26 .

²⁰¹ المرجع نفسه، ص: 28 ، 29 .

7 - الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

8 - الشيخ صالح بن فوزان الفوزان .

9 - الشيخ إبراهيم آل الشيخ .

10 - الشيخ عطية محمد سالم .

11 - الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد .

12 - الشيخ محمد مختار بن محمد الأمين (ابن الشيخ)

13 - الشيخ عبد الله بن محمد الأمين (ابن الشيخ)

14 - الشيخ إحسان إلهي ظهير .

- مؤلفاته: 202

1 - (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز) : و موضوعها إبطال إجراء المجاز في آيات الأسماء و الصفات و إبقائها على الحقيقة . و قد زاد هذا المعنى فيما بعد في آداب البحث و المناظرة .

2 - (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) : أبان فيه مواضع ما يشبه التعارض في القرآن كله كما في قوله تعالى : ﴿و قفوههم إنهم مسؤولون﴾ [الصفات 24] ، مع قوله تعالى : ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس و لا جان﴾ [الرحمن 39] ، و أن السؤال متنوع و المواقف متعددة ..

3 - (مذكرة الأصول على روضة الناظر) : جمع في شرحها أصول الحنابلة و المالكية و بالتالي الشافعية . مقرررة على كلية الشريعة و الدعوة .

4 - (آداب البحث و المناظرة) : أوضح فيه آداب البحث من إيراد المسائل و بيان الدليل و نحو ذلك ..

5 - (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) : و هو مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه ..

²⁰² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج 1، ص: 27 ، 28 . (من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم)

و هناك العديد من المحاضرات ذات المواضيع المستقلة طبعت كلها و نفذت و هي :

- 1 - آيات الصفات : أوضح فيها تحقيق إثبات صفات الله .
- 2 - حكمة التشريع : عالج فيها العديد من حكمة التشريع في كثير من أحكامه .
- 3 - المثل العليا : بين فيها المثالية في العقيدة و التشريع و الأخلاق .
- 4 - المصالح المرسله : بين فيها ضابط استعمالها بين الإفراط و التفريط .
- 5 - حول شبهة الرقيق : رفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار .
- 6 - على ﴿اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي﴾ [المائدة3] ..
- الشنقيطي و الشعر :

برع الشنقيطي في قول الشعر ، " و مع هذه الشاعرية الرقاقة ، و المعاني العذاب الفياضة ، و الأسلوب السهل الجزل فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر مع وفرة حفظه إياه ، و له في ذلك أبيات يقول فيها :

أنقذت من داء الهوى بعلاج	شيب يزين مفارقي كالتاج
قد صدني حلم الأكاير عن لمى	شفة الفتاة الطفلة المغناج
ماء الشيبية زارع في صدرها	رمانتي روض كحق العاج
و كأنها قد أدرجت في برقع	يا ويلتاه بما شعاع سراج
و كأنما شمس الأصيل مذابة	تنساب فوق جبينها الوهاج
يعلو لموقع جنبها في خدرها	فوق الحشية ناعم الديباج
لم ييك عيني بين حي جيرة	شدوا المطيب أنسع الأحجاج
نادت بأنغام اللحن حداثهم	فتزيلوا و الليل أليل داجي

لا تصطبيني عاتق في دلها رقت فراقك في رفاق زجاج

مخضوبة منها بنان مديرها إذ لم تكن مقتولة بمزاج

طابت نفوس الشرب حيث أدارها رشاً رمى بلحاظ طرف ساجي

أو ذات عود أنطقت أوتارها بلحون قول للقلوب شواجي

فتخال زنات المثاني أحرفاً قد رددت في الحلق من مهتاج

و قد سألته رحمه الله ، عن تركه الشعر مع قدرته عليه و إجادته فيه فقال : لم أره من صفات الأفاضل و خشيت أن أشتهر به ، فتذكرت قول الشافعي فيما ينسب إليه :

و لولا الشعر بالعلماء يزري لكنك اليوم أشعر من لبيد

و لأن الشاعر يقول في كل مجال ، و الشعر أكذبه أعذبه فلم أكثر منه لذلك²⁰³

هذا بكل اختصار شيء من السيرة الذاتية للشنقيطي ، و عندما نقيمها نجدها عامرة بطلب العلم و العمل من إبلاغ ذلك العلم إلى الطلاب ، كما أنها حافلة بالتأليف ، و المؤلف الذي بلغ فيه الشأو البعيد هو تفسيره - موضوع بحثنا - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، و هو كتاب مهم جداً نظراً لما يقدمه من فوائد عديدة ، و لا بأس في أن نفرّد بطاقة قراءة قصيرة لهذا الكتاب .

- بطاقة موجزة في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :

● شكلياً :

الكتاب (المتوفر لدينا) يقع في عشر مجلدات ، قامت عليه دار الحديث بالقاهرة ، نشرته مكتبة العلوم و الحكم ، عدد صفحاته : 3896 صفحة ، من قطع : 24×17 سم ، و قد طبع سنة : 1426هـ-2006م ، و رقم إيداعه : 2005/21594 م .

يبتدئ الجزء الأول من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء .

و يبتدئ الجزء الثاني من أول سورة المائدة إلى آخر سورة يونس .

²⁰³ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج1، ص: 18 . (من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم)

و يتبدئ الجزء الثالث من أول سورة هود إلى آخر سورة الإسراء .
و يتبدئ الجزء الرابع من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الأنبياء .
و يتبدئ الجزء الخامس من أول سورة الحج إلى آخر سورة المؤمنون .
و يتبدئ الجزء السادس من أول سورة النور إلى آخر سورة الصافات .
و يتبدئ الجزء السابع من أول سورة ص إلى آخر سورة المجادلة .
و يتبدئ الجزء الثامن من أول سورة الحشر إلى آخر سورة المرسلات (و التتمة فيه و في ما يليه من الأجزاء ، من عمل تلميذه عطية محمد سالم)
و يتبدئ الجزء التاسع من أول سورة النبأ إلى آخر سورة الناس .
و الجزء العاشر و الأخير يخصصه الناشر أو تلميذه عطية محمد سالم لكتابين من كتب الشنقيطي و هما على التوالي : كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، و كتاب منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز .

● مضمونياً :

مبدئياً يعتبر كتاب أضواء البيان كتاب في تفسير القرآن ، و لكنه كذلك كتاب حافل بالجوانب اللغوية و النحوية و البلاغية المهمة التي ساعدت المفسر في كشف أوجه البيان ، مع أن تناوله أقرب ما يكون إلى التناول البيوي في الغالب ، و ما يجيل عليه هذا التناول من دلالة على الأحكام الفقهية ، و هو يصرح بهذا ، فيقول : " و اعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :

أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير و أجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله - جل و علا - من الله - جل و علا - ، و قد التزمنا أن لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية ، سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها ، أو آية أخرى غيرها ، و لا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة و ربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية ، و قراءة أبي جعفر و يعقوب و خلف ليست من الشاذ عندنا و لا عند المحققين من أهل القراءات .

و ثانيهما : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب ، فإننا نبين ما فيها من الأحكام ، و أدلتها من السنة ، و أقوال العلماء في ذلك ، و نرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين ، و لا لقول قائل معين ، لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول و مردود إلا كلامه صلى الله عليه و سلم ، و معلوم أن الحق حق و لو كان قائله حقيراً . ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي و قومها لما قالت كلاماً حقاً صدقها الله فيه ، و لم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته ، و ذلك في قولها فيما ذكر الله عنها : ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعزَّةَ أَهْلِهَا أَذلةً﴾ [النمل:34] .. «204

فيتضح الجانب المضموني في منهج الكاتب ، في قول الكاتب نفسه الذي أوضح منهجه الذي سيتبعه في تفسير القرآن ، و هو منهج علمي - بحسب رأيه هذا في بداية الكتاب - لأنه يبدأ بالجانب الوصفي وصولاً إلى النتائج .

²⁰⁴ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج1، ص: 35 .

الباب الثاني

الآليات السياقية في أضواء البيان

(تحديد المفاهيم النظرية)

الفصل الأول

(آليات السياق البنيوية و الأسلوبية)

- توطئة
- آليات السياق البنيوية :
 - 1-السياق الإفرادي
 - السياق الصوتي المفرد
 - السياق الصرفي
 - السياق المعجمي
 - 2-السياق التركيبي
 - السياق الصوتي المركب
 - السياق النحوي و الوظيفي
- السياق البلاغي
- السياق الأسلوبي
- سياق القراءات القرآنية

تناول النقاد و محللو الخطابات نصوصا و خطابات عديدة، و قد أبانت لهم المدونة وجهة معينة اطمأن لها البحث، من حيث الآليات المستعملة، أو من حيث الآليات التي تستخرج من التحليل، و وافق بعضها أنماطا من مناهج التحليل، و بعضها الآخر يشي في انتمائه التحليلي لمناهج عديدة، و هذا ما نجد في بعض النصوص الأدبية ، و نجد أيضا في الخطاب القرآني .

غير أن تناول الشنقيطي في تفسيره ، ينحو منحى تخصصيا فريدا، فهو يتناول القرآن و كأنه كلمة واحدة و بنية متلاحمة .. و هذا ما أكسب تحليله للنص القرآني طابعا يكاد يكون بنوييا ، و هو يوضح هذا في العنوان الفرعي لكتابه ب : في إيضاح القرآن بالقرآن ، أي أنه يفسر القرآن بالقرآن، ذلك أن " النص هو الذي يستحق الاهتمام، كما في السابق، و لا يزال النص كما في السابق فرضا، إمكانا للمستقبل، و هو في الوقت نفسه معيار تقاس بموجبه أعمال الماضي و الحاضر"²⁰⁵ ، و تعد اللغة هي المكنن الأولي لجميع القضايا فلقد "درسنا اللغة .. باعتبارها أداة و وسيلة، و حاولنا أن نصف بنيتها دون الإشارة الصريحة إلى الطريقة التي تستخدم بها هذه الأداة .. إذا أردنا أن نفهم جملة من الجمل علينا أن نعرف أمورا أخرى فضلاً عن تحليلها على جميع المستويات. إذ ينبغي أن نعرف معنى المورفيمات أو الكلمات التي تتألف منها الجملة، و ما تشير إليه هذه المورفيمات أو الكلمات في العالم الخارجي"²⁰⁶ ، و التحليل يجب أن يتوخى هذا في مقارنته للبنية، و لهذا فضلنا استعمال كلمة سياق على ما عداها ، لما تدل عليه كلمة سياق من معاني تقترب في الدلالة على مدلول البنية (السياق اللغوي)، ثم هناك استعمالات أخرى هدفها استقصاء المعنى دلاليا، و هذا ما أطلقنا عليه السياق الدلالي، و غيره مما لا علاقة له بهذا أو ذاك ، أطلقنا عليه تسمية السياق التداولي أو غير اللغوي .

غير أن هناك ملاحظة يجب أن نشير إليها، في أن هذه المحاولة البحثية ، تعد مجرد محاولة أخذت في اعتبارها المجال المتاح، و الذي لا يسمح لنا أن نظرد في إيراد جميع الآليات ، فذكرنا منها عينات في ما حصرناه من آليات، متبوعا بشواهدا المندرجة فيها، و هذا على سبيل التمثيل لا غير، و يرجع سبب

²⁰⁵ جون ستروك -البنوية و ما بعدها، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996، ص: 84 .

²⁰⁶ نعوم شومسكي - البنى النحوية، تر: يوثيل يوسف عزيز، منشورات عيون، ط 02، المغرب، 1987، ص: 138 .

هذا إلى موضوع و سعة المدونة التي تناولناها من جهة ، و من جهة أخرى إلى غزارة علم الرجل الذي أ لم بعلوم شتى.

و لذلك ففي الفصل الأول من الباب الثاني ، سنتناول آليات السياق البنيوية و الأسلوبية ، عن طريق محاولة الإجابة عن السؤال التالي : ما هي الآليات البنيوية و الأسلوبية و البلاغية و القرائية المحتمل وجودها في تفسير أضواء البيان ؟ و نذكر دائما بأن البحث مهمته الوقوف على (تحديد المفاهيم النظرية) من خلال الإجراءات الموجودة في هذا التفسير .

كما هو معلوم فإن أي نمط من السياق له مستويات متعددة ، و لا بد - حتى يسهل العمل من أن نجزئ السياقات إلى هذه المستويات ، و لنبدأ بآليات السياق البنيوية .

2- آليات السياق البنيوية :

إن القراءة البنيوية مهمة جدا لأنها تلج إلى حيثيات النص واصفة إياه في ظل معطيات لسانية تنبع من النص ذاته، و هو الإجراء العلمي المفيد في استقصاء المراد من النص، فقد "كانت الفلذات التي حفل بها التراث النقدي العربي، في مواجهته للإبداع تشكل صورة لما قرأته الشفوية العربية إسناداً إلى عاملي الاستحسان والاستهجان الفطريين، اللذين يواجهان المسموع فيفيضان إلى الحكم دون أن يسديا تعليلاً يبرره، ويوثق عقده، بل جاءت عفوية تصدر عن موافقة للطبع والعرف في شكل تعليق سريع، يطوي نصاً برمته في عبارة مقتضبة أو في شكل حركة فيزيولوجية تنتاب الجسد أو بعضه فتكون آية على هذا وذاك"²⁰⁷ ، و على النظر من ذلك نجد القراءة النسقية التي تحاول، علمياً، أن تستوف ما أغفل من ذلك . هذا و يمكن أن يتدرج السياق البنيوي من السياق الإفرادي الذي يتكون من المستويات الصوتية و الصرفية و المعجمية ، وصولاً إلى السياق التركيبي الذي نجد فيه المستويات الصوتية و النحوية و البلاغية .

²⁰⁷ حبيب مونسي - القراءة و الحدائث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط، سوريا، 2000، ص: 11 .

1) السياق الإفرادى :

فضلنا استعمال صيغة السياق الإفرادى، حتى ندلل به على أن مقصودنا بنية الكلمة و تمظهراتها المفاهيمية، سواء الصوتية أو الصرفية أو المعجمية أو غير ذلك مما له علق مباشر بالسياق الإفرادى، ومصنف تحته بالاندراج، هذا و لنقابل مصطلح الأفراد بالتركيب الذى يجيء بعده، و فيه :

• السياق الصوتى المفرد :

إن هناك جانب مهم يساهم فى تغير المعنى من جهة معينة كدلالة الإبدال (إبدال حرف بحرف آخر فى وحدة تركيبية) فمثلا فى كلمة يعلمون، فتارة هى يعلمون و تارة أخرى هى تعلمون بحسب قراءة القراء، إذ تبدل المعنى من جهة المخاطب إلى جهة الغائب صرفيا، و بطبيعة الحال هذا له دلالات كثيرة و النموذج التالى يوضح هذا:

- دلالة الإبدال : فى قوله تعالى ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: 89] .

الإبدال وقع فى فعل يعلمون بحسب قراءة القراء ما بين الياء و التاء ، و يقول الشنقيطى فى هذا: " قرأ هذا الحرف ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى : (فسوف يعلمون) بياء الغيبة ، وقرأ نافع وابن عامر (فسوف تعلمون) بتاء الخطاب . وهذه الآية الكريمة تضمنت ، ثلاثة أمور : الأول : أمره صلى الله عليه وسلم بالصفح عن الكفار . والثانى : أن يقول لهم سلام .

والثالث : تهديد الكفار ، بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب النار . وهذه الأمور الثلاثة جاءت موضحة فى غير هذا الموضع : كقوله تعالى فى الأول { وَإِنَّ السَّاعَةَ لِيَأْتُ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } [الحجر : 85] ، وقوله تعالى { وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ مَعَ أَذْهُمُ } [الأحزاب : 48] . والصفح الإعراض عن المؤاخذة بالذنب²⁰⁸ .

فالمعنى هنا تغير من صيغة معينة إلى صيغة أخرى بتبدل حرف واحد فى المفردة الواحدة الواقعة فى سياق تركيبى معين، هذا و للنبر دور فعال أيضا فى إحداث التغيير على بنية لفظية ما، و قد يتمظهر

²⁰⁸ محمد الأمين الشنقيطى - أضواء البيان ج7، ص: 190 .

النبر في اللغة العربية -على قلته فيها- على الشدة أو على عنصر الإدغام و دعنا نرى هذا في النماذج التالية :

- الشدة من عدمها : في قوله تعالى ﴿قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:417] . و لها معنيان بحسب قراءة القراء ، يقول الشنقيطي في هذا الصدد : " قرأ هذا الحرف عامة القراء «فَرَقْنَاهُ» بالتخفيف : أي بيناه و أوضحناه ، وفصلناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل . وقرأ بعض الصحابة { فرقناه } بالتشديد : أي أنزلناه مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة . ومن إطلاق فرق بمعنى بين وفصل قوله تعالى : { فَيَهَيَأُ نُفُوقُ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [الدخان:4] الآية .

وقد بين -جل وعلا- أنه بين هذا القرآن لنبيه ليقرأه على الناس على مُكْثٍ ، أي مهل وتؤدة وتثبت، وذلك يدل على أن القرآن لا ينبغي أن يقرأ إلا كذلك . وقد أمر تعالى بما يدل على ذلك في قوله : { وَرِثِلْ لِقُرْآنٍ تَرْتِيلًا } [المزمل:4] ويدل لذلك أيضاً قوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرُؤُونَهُ تَرْتِيلًا } [الفرقان:32]"²⁰⁹.

فالنبر هنا باعتباره خاصية صوتية مهمة، يساهم في بيان المعنى المقصود، و هناك لغات كثيرة تقوم على هذه الخاصية المهمة، من مثل اللغة الإنجليزية التي هي لغة منبورة في الأصل على عكس اللغة العربية التي هي لغة مقطعية، و قد "لاحظ رومان جاكبسون أن اللغة التي يلعب فيها النبر دورا تمييزا يكون عروضها مبني على النبر، واللغة التي يكون طول الحركات فيها وظيفيا يكون عروضها كميا أي مبني على طول و قصر المقاطع . و العربية لم تخرج على هذه القاعدة: إيقاع شعرها مستمد من إيقاع لغتها"²¹⁰، و العربية على ميزتها المقطعية إلا أن فيها ميزات تتعلق بالنبر من مثل الشدة من عدمها و الإدغام مما يساهم في تبديل المعنى من حال إلى حال آخر .

هذا و يتعلق السياق الصوتي بالإدغام كثيرا، و الشنقيطي يركز كثيرا على مراعاة عنصر الإدغام في بيان الآي و السور، و الإدغام " في الصرف و التجويد : هو الإدخال لعة، و اصطلاحا : إدخال حرف في حرف بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا، و الحرفان المدغمان أولهما ساكن و ثانيهما متحرك"²¹¹ ، و النماذج التالية توضح أهمية الإدغام :

²⁰⁹ السابق ج3، ص: 417 .

²¹⁰ مصطفى حركات- نظرية الوزن، دار الآفاق، درط، الجزائر، 2005، ص: 30 و 31 .

²¹¹ محمد سعيد إسبر و بلال جنيدى- الشامل في علوم اللغة العربية، دار العودة، درط، بيروت، 2004، ص: 70 و 71 .

— الإِدْغَامُ : في قوله تعالى ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:38].
يقول الشنقيطي : " وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : { لَكِنَّا } أَصْلُهُ «لَكِنَ أُنَا» فَحُفَّتْ هَمْزُهُ «أُنَا»
وَ أُدْغِمَتْ نُونُ «لَكِنَ» فِي نُونِ «أُنَا» بِعَدِّ حَذْفِ الْهَمْزَةِ ، وَقَالَ خُضْرَمِيُّ : نَقَلَتْ حِكْمَةُ الْهَمْزَةِ إِلَى نُونِ
«لَكِنَ» فَسَقَطَتْ الْهَمْزَةُ بِنَقْلِ حَرَكَتِهَا ، ثُمَّ أُدْغِمَتِ النُّونُ فِي النُّونِ ! وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُ
الشَّاعِرِ :

وَرَمَيْتَنِي بِالطَّرْفِ أَيِ أَنْتَ مُذْنِبٌ .. وَتَقَلَّ بَيْنِي لَكِنَّا يَاكَ لَمْ قُلِ
أَيِ لَكِنَ أُنَا يَاكَ لَمْ قُلِ ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي } ، قَرَأَهُ جَمَاهِيرُ الْقُرْآنِ فِي الصُّلِيِّ
«لَكِنَ» بِغَيْرِ أَلْفٍ بِعَدِّ النُّونِ الْمُشَدَّةِ ، وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ مِنَ السَّبْعَةِ «لَكِنَّا» بِالْأَلْفِ فِي الصُّلِيِّ ،
وَيُرْوَدُ ذَلِكَ عَنْ عَاصِمٍ ، وَوَاهِ الْمَسِيئِيِّ عَنِ ابْنِ أَبِي عَرَبٍ ، وَوَيْسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى تَبَيُّنِ
الْأَلْفِ فِي الْوَقْفِ . وَهَذَا نُونُ «أُنَا» لِمَا يُدْغِمُ فِيهِ إِنْ كَانَ بِعَلَّهَا هَمْزَةٌ . وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ فِي الْبَلَّحِ : إِنَّ تَبَيُّنَ
أَلْفِ «أُنَا» هُطْلَقًا فِي الصُّلِيِّ لُغَةً بَيْنِي وَمِيمٍ ، وَغَيْرَهَا بِتُونِهَا لِمَى الْإِضْطِرَارِ ، قَالُوا فُجِّعَ قِرَاءَةُ
«لَكِنَّا» بِتَبَيُّنِ أَلْفِ فِي الصُّلِيِّ عَلَى لُغَةِ مِيمٍ ²¹² .

فالتشديد الواقع في (لكننا) هو نبر ناتج من الإِدْغَامِ، و أول معنى أفاده معنى وظيفي يتعلق
بلاقتصاد اللغوي، فعوضاً أن نقول (لكن أنا) كان من الممكن أن نقول (لكننا)، مثل إطلاقنا للفظه
(لكننا) على الجمع أي (لكن نحن)، و قد ورد هذا النمط اللساني المهم في أقوال العرب و أشعارهم، و
أورد الشنقيطي مثالا على ذلك، بما يدل دلالة قطعية على وعيهم بأهمية ذلك في إيراد الكلام، و القرآن
قد نزل بلغة العرب معجزا لها، فمن الطبيعي أن يحمل في طياته تلك الأعراف اللغوية التي تواضع عليها
عرب أهل الجزيرة من قبائل عرفت بالفصاحة، و هذا نموذج آخر للزيادة في التوضيح.

— في قوله تعالى : ﴿عَمَّ سَاءَ لُونٌ (1) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (2)﴾ [النبأ] .

يقول الشنقيطي : " عَمَّ أَصْلُهُ عَنَّ مَا أُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْمِيمِ ، ثُمَّ حُفَّتْ أَلْفُ الْمِيمِ ، لِذُلْخُولِ حَرْفِ
الْجَرِّ عَلَيْهِ ؛ لِتَفَرُّقِ بَيْنَ مَا الْأَسْتِ فُهَامِيَّةٌ وَمَا الْمُضَوَّلَةُ .
وَالْمَعْنَى نَعَنَّ أَيِ يَشْتَبِهُ سَاءَ لُونٌ ، وَقَدْ فَصَّلَ حَرْفُ الْجَرِّ عَنَّ مَا ، فَلَا يُحْذَفُ الْأَلْفُ .
وَأَنْشَدَ الرَّحْمَنِيُّ قَوْلَ حَسَّانَ - ضَيَّ اللَّهُ عُنْهُ - :
عَلَى مَا قَامَ شَيْءٌ حَيْلِيَّ مِيمٍ ... كَحَخْرِيَّتِمْ عَنَّ فِي رَوَادِ

²¹² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج4، ص: 77 .

وَقَالَ فِي الْكَشَافِ: وَعَنْ ابْنِ كَثِيرٍ أَنَّهُ قَرَأَ «عَمَّهُ» مَاءَ السَّكْتِ ، ثُمَّ وَجَّهَهَا قَوْلَهُ : إِمَّا أَنْ يُجِي
الْوَجْهُ الْمُجْمَعُ الْوَقْفُ ، وَإِمَّا أَنْ يُقَوِّدَ بِتَلْئِيهِ: تَسَاءَلُونَ (1) مِنَ النَّبِيِّ الْكَبِيمِ ، عَلَى أَنْ يُضْمَرَ
يَتَسَاءَلُونَ؛ لِأَنَّ مَا بَدَأَ بِهِ نَفْسُهُ²¹³ .

هذه عينات من ما هو موجود في المستوى الصوتي، و ينبغي أن نعترف في البدء أن الاستعمالات
الصوتية في تفسير الشنقيطي قليلة في مداراتها التخصصية، من مثل الاهتمام بمخارج الحروف، و صفاتها،
و المباحث الصوتية الأخرى .. لكن هذا لا ينفي أن الشنقيطي لم يهتم بالمفهوم الصوتي، لكن اهتمامه
به كان في جانب القراءات القرآنية أكثر من غيره، و قد أوردنا هذا في آخر الفصل، حتى نورد بعض
القضايا التي لها علاقة بالصوتيات، من مثل: الشدة من عدمها، و دلالة الإبدال، و الإدغام .
فنرى الشنقيطي مدققا في مسأله، أن تناول بيان معنى الآيات القرآنية، عن طريق استعماله آليات
تتعلق بالجانب الصوتي، و قد حاولنا التمثيل لهذه المسائل لأهميتها، و حتى نتوسع في سياق الشنقيطي،
ليفهم المقصود بصورة أوضح .

• السياق الصرفي :

استعمل الشنقيطي آلية مهمة أخرى، و هي السياق الصرفي بمباحثه و هي كثيرة، و قد رصدنا منها
ظاهرتين هما : اسم المفعول، و مبحث الاشتقاق .

فاسم المفعول "صفة تؤخذ من الفعل المجهول للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه
الحدوث و التحدد لا الثبوت و الدوام مثل مقروء و مذهوب به و معطى و منطلق به . فإن كان على
وجه الثبوت و الدوام كان صفة مشبهة"²¹⁴ ، و النماذج التالية توضح المقصود:

— اسم المفعول : في قوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ نُونِهِ مُلْتَحَماً﴾ [الكهف:27] ، إذ

أن "أصل الملتحد: مكان الالتحاد وهو الافتعال : من اللحد بمعنى الميل ، ومنه اللحد في القبر ، لأنه
ميل في الحفر ، ومنه قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِقُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا } [فصلت:40] ، وقوله
: { وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِقُونَ فِي أَسْمَاءِهِ } [الأعراف:180] ، الآية فمعنى اللحد والإلحاد في ذلك: الميل
عن الحق . والملحد المائل عن دين الحق . وقد تقرر في فن الصرف أن الفعل إن زاد ماضيه على ثلاثة
أحرف فمصدره الميمي واسم مكانه واسم زمانه كلها بصيغة اسم المفعول كما هنا . فالملتحد بصيغة اسم

²¹³ السابق ج9، ص : 5 .

²¹⁴ محمد سعيد إسبر و بلال جنيدى- الشامل في علوم اللغة العربية، ص: 107 .

المفعول ، والمراد به مكان الاتحاد ، أي المكان الذي يميل فيه إلى ملجأ أو منحى ينجيه مما يريد الله أن يفعله به²¹⁵ .

فهو يوظف صيغة اسم المفعول لإبانة جهة الدلالة المخصوصة بالبيان و الإيضاح، بالعروج أولاً إلى المعاني اللغوية ثم مكانة تلك المعاني في سياقها من المحور التركيبي، و المعنى الذي كان هو أن ملتحداً معناها: ميلاً عن الحق، في حين أن القارئ لها من وهلة أولى يحسبها تدل على مكان الدفن و هو اللحد، إذا لا بد من مراعاة الأصل اللغوي للوحدة اللغوية ثم القيام بوصف العلاقات القائمة بين هذا الأصل بالسياق اللغوي، و ذلك قبل الشروع في التفسير الاستباقي لكلمة دون أخرى، ثم هذا النموذج:

في قوله تعالى أيضاً : ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مریم:51] . و في هذا يقول الشنقيطي : " اعلم أن في قوله «مخلصاً» قراءتين سبعيتين : قرأه عاصم و حمزة و الكسائي بفتح اللام بصيغة اسم المفعول ، والمعنى على هذه القراءة أن الله استخلصه واصطفاه : ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : { قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتِكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي { [الأعراف:44] الآية . مما يماثل هذه القراءة في القرآن قوله تعالى : { إِنَّا أَخْلَصْنَا لَهُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاصْلَحُوا لَوْلَا اللَّهُ لَفَنَدِمُوا } [ص:46] فالذين أخلصهم الله هم المخلصون بفتح اللام ، وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «مخلصاً» بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل . كقوله تعالى : { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِطِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة:5] وقوله تعالى : { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خَالِصًا لَهُ دِينِي } [الزمر:14] " ²¹⁶ .

فمعنى اسم المفعول (مُخْلَصًا) هنا هو الاصطفاء بدليل ورودها في سياقات قرآنية أخرى تحمل نفس المعنى، لذلك فإن ما يمكن أن يقال في هذا الصدد، أن الشنقيطي راعى هذه الوحدة اللغوية وفق مقتضيات الزيادة و النقصان التي تعترضها أثناء انتقالها من سياق معين في آية إلى سياق آخر في آية أخرى .

هذا و لا نغفل الدور الكبير لجانب الاشتقاق، إذ هو "عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من أخرى بحيث تظل الفروع المولدة متصلة بالأصل. معنى هذا، أن أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى و تغيير في اللفظ يقدم لنا زيادة على المعنى الأصلي، و هذه الزيادة هي سبب الاشتقاق. و .. في ظل دلالة الوضعية على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، و الرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، و يوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"²¹⁷ ، و نرى أن الشنقيطي قد استعمل هذه الآلية، و هذا النموذج يوضح ذلك:

²¹⁵ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج4، ص : 64 .

²¹⁶ المرجع نفسه ج4، ص: 51 .

²¹⁷ فرحات عياش - الاشتقاق و دوره في نمو اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1995، ص: 10 .

- الاشتقاق : من خلال بيان قوله تعالى ﴿لَنْ أَلْمِيزَ آدَمَ وَآبَاكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [البينة:7] . يقول الشنقيطي مدرجا آيتين في سياق التكريم ، بحيث يقول ﴿عَجَبًا أَدُّكُمْ﴾ [الأنبياء:26] ، والبشر فيهم النص ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70] ، والفرق بينهما ، كالفرق بين الاسم والفعل في الدلالة .

ففي الملائكة بالاسم : مكرمون ، وهو يدل على الدوام والثبوت ، وفي بني آدم كرمنا ، وهو يدل على التجدد والحدوث . وهذا هو الواقع ، فالتكريم ثابت و لازم و دائم للملائكة بخلافه في بني آدم إذ فيهم وفيهم²¹⁸ .

فما رأيناه في ملاحظتنا الأولى، ينطبق أيضا في هذا السياق، من أن آليات تحليل الخطاب، لا تكون دائما ماوراء نصية، و لكنها نصية بالدرجة الأولى، فاستعماله للـصـرف إثبات واضح، في أن تحليل الخطاب لا يستغني في الغالب الأعم عن ما يتصل بالآليات النصية اللغوية، لأنها قد تكون لبنة مهمة في تحديد المعنى الأولي، ثم لبنة للمقاربات الماوراء نصية ثانيا، أي تشكل قاعدة لها تنطلق منها، لذلك فإن محلي الخطابات العرب اهتموا بهذا الجانب أكثر من غيره، و منهم على سبيل المثال محمد الشاوش في كتابه : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، و من الغربيين جون ميشال آدام الفرنسي، في كتبه الكثيرة و التي منها كتاب: اللسانيات النصية .. الخ .

• السياق المعجمي .

عَفَّ المعجم بأنه "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها و تفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء، و إما حسب الموضوعات . و المعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها و اشتقاقها، و بطريقة نطقها، و شواهد تبين مواضع استعمالها"²¹⁹، و يبدو واضحا هنا أن الشنقيطي لم يغفل شرح و بيان بعض المداخل، ربطا بما هو موجود في آيات لها نفس السياق، حتى يوضح ما أغفل من صلة اللفظة في سياقها القرآني، و نوضح هنا بأن ما هو موجود من هذه الشواهد أدناه، ليس حصرا لكل استعمالات الشنقيطي، و لكن اختيارنا لها كان بدافع التمثيل فقط، و قد أوردنا ما وصلت إليه اليد، و أوردنا بعد ذلك استعمالات الشنقيطي للمعجم العربية .

²¹⁸ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص: 178 .

²¹⁹ العمري بن رابع بلاعة القلعي - الألفية في الدراسات المعجمية، دار الوعي، درط، الجزائر، 2005، ص: 33 .

- صلصال : في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾

[الحجر:26] ، إذ يبين لنا في سياقات أخرى المعنى المعجمي لكلمة صلصال فمعناها بحسب ما ورد في القرآن الكريم التراب و الطين ، يقول الشنقيطي : "إذا عرفت هذا فاعلم أن الله -جل وعلا- أوضح في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم فبين أنه أولاً تراب بقوله : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ فَتَمَّالَ لَهُ كُنْ فِيهِ كُونَ } [آل عمران:59] وقوله : { يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ } [الحج:5] وقوله { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ } [غافر:67] الآية إلى غير ذلك من الآيات ثم أشار إلى أن ذلك التراب بل فصار طينا يعلق بالأيدي في مواضع أخر كقوله : { إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ طِينٍ لِأَرْبٍ } [الصفات:11] وقوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ } [المؤمنون:12] وقوله : { وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ } [السجدة:7] إلى غير ذلك من الآيات وبين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير بقوله هنا { مِّنْ حَمِإٍ مَّسْنُونٍ } [الحجر:26] وبين أيضا أنه ييس حتى صار صلصلا أي تسمع له صلصلة من ييسه بقوله : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ } [الحجر:26] الآية وقوله : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } [الرحمن:14]²²⁰ .

فمثلا هنا يورد الشنقيطي سياقات الصلصال المعجمية و الدلالية حتى يتضح معنا المعنى المعجمي الخاص لألفاظ القرآن الكريم، و من هنا تبرز أهمية الشاهد لشرح المدخل المعجمي، في كون الشاهد الأساس الذي يحدد عليه مجال المدلول، إذ أن الشنقيطي بإيراده للآيات التي توضح و تبين عن جهة كلمة صلصال مثلا أوضح لنا و حدد بدقة مجال هذا المدخل في القرآن على الخصوص، و لنأت بكلمة أخرى مثلا، و هي العفو:

- العفو : نرى في هذا الإطار أن الشنقيطي يستعمل ، في بيانه لمعنى آية ﴿وَمَا

رَزَقْنَاهُمْ بِهِمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة [03] ، الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الإنفاق من الرزق ، فيحدد هذا من كلمة معجمية اصطلاحية أخرى موجودة في نفس الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ ، فيقوم بتحديد معنى هذا المدخل بأنه الزائد على الحاجة ، طبقا لما هو وارد في سورة أخرى ، و هي سورة الأعراف ﴿حَتَّىٰ عَفْوًا﴾ الآية [95] ، أي كثروا و كثرت أموالهم و أولادهم، و لمر مثلا كلمة الأمة التي أورد الشنقيطي بشأنها سياقات مهمة:

²²⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 98 .

- الأمة : قوله تعالى في سورة هود : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَيَّ أُمَّةً مَّطُوفَةً﴾

الآية [95] ، في بيان معنى الأمة يقول الشنقيطي : " استعمل لفظ الأمة في القرآن أربعة استعمالات :

الأول : هو ما ذكرنا هنا من استعمال الأمة في البرهة من الزمن .

الثاني : استعمالها في الجماعة من الناس ، و هو الاستعمال الغالب ، كقوله : ﴿وجد عليه أمة من

الناس﴾ .. الآية [القصص:23] ، و قوله ﴿و لكل أمة رسول﴾ .. الآية [يونس:47] ، و قوله :

﴿كان الناس أمة﴾ .. [البقرة:213] ، إلى غير ذلك من الآيات .

الثالث : استعمال الأمة في الرجل المقتدى به ، كقوله : ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ .. الآية [النحل:120]

الرابع : استعمال الأمة في الشريعة و الطريقة ، كقوله : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ .. الآية

[الزخرف:22] ، و قوله : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ .. الآية [الأنبياء:92] ، إلى غير ذلك من

الآيات " 221 .

فلفظ أمة بحسب ما أورده الشنقيطي بسياق القرآن لها معان عدة، فهي البرهة من الزمن و هي

الجماعة من الناس و هي الرجل المقتدى به و هي الشريعة و الطريقة، و بالإمكان أن تسم هذه المناحي

الأربعة مجالات كلمة أمة في القرآن الكريم . و نأخذ كلمة أخرى مثل كلمة :

- يعدلون : في قوله تعالى ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلُنُونَ﴾ [الأنعام:1] .

يقول فيها الشنقيطي: " و عليه فالمعنى : إن الذين كفروا برهم يميلون و ينحرفون عن طريق الحق إلى

الكفر و الضلال " 222 ، فمعنى يعدلون هو لفظة يكفرون سياقيا، ثم يعدلون جاءت بمعنى النظير أو

الند و أورد آيات أخرى تعضد المعنى الثاني منها :

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين(97) إذ نسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء]

221 السابق ج3، ص: 12 .

222 السابق ج2، ص: 120 .

﴿و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ [البقرة:165] .

فقد جاءت بمعنى الكفر بالله تارة، و جاءت بمعنى النظر تارة أخرى، و من هنا نستنتج بأن مراعاة سياق الكلمة الواحدة في عديد السياقات من القرآن هو السبيل الأمثل للوقوف على المعنى الصحيح لمعنى تلك الكلمة في سياقها القرآني الخاص، أو كلمة معينة في سياق نص مغاير، لأن "المتكلم إذا يحول الكلمات و النظم من وادي القوة إلى وادي الفعل (..و..) أن معنى الكلمة في المعجم متعدد و محتمل و لكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد بسبب ما يأتي:

أ- ما في السياق من قرائن تعين على التحديد ..

ب- ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية ..²²³، يعد هذا القول لتمام حسان دقيقا لأنه معضود بالشواهد التي تعطيه قيمته الحقيقية، و تفسير الشنقيطي، لكلمة معينة في ظل مقامات الآيات و في ظل القرائن التي تعطي لتلك الكلمة مجالها، هو أبلغ في الإبانة عن المقصود الصحيح من باقي الاحتمالات المردودة بفعل السياق و القرائن .

كان هذا في مستوى البنية الإفرادية، فماذا عن ما يرد في السياقات التركيبية ؟

2) السياق التركيبي :

هذا السياق فيه أنواع من الآليات، منها السياق الصوتي المركب، و السياق النحوي . و من المعروف أن السياق الصوتي المركب أكثر ما يتبدى في البنى الإيقاعية الوزنية و القوافي، الموجودة في الشعر، لاتسام جوانبه بالانتظام و الاطراد، كما يوجد شيء منه في القرآن الكريم، و بعض أنواع النثر، مثل فن المقامات، و قصائد النثر . و قد بحثنا هذا الجانب في تفسير الشنقيطي و وجدنا شيئا قليلا منه، ممثلا في تطرق الشنقيطي لما يسمى بالفواصل القرآنية و تناسبها، هذا من جهة، و من جهة أخرى نلاحظ أن الشنقيطي أوغل في إيراد الآليات و المفاهيم النحوية خلال تحليله، و هذا ما أكسب تحليله طابعا بنوييا . و لنرى هذا فيما يلي :

• السياق الصوتي المركب :

²²³ تمام حسان- اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، درط، المغرب، 2001، ص:316 .

و نعني بالسياق الصوتي المركب "تلك الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات و يتعلق بها نوع من المعاني يسمى المعاني الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية و لا ذهنية لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان تدركها المعرفة و لا تحيط بها الصفة، فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول لم طربت . و نستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآني .. الإيقاع و الفاصلة و الحكاية و المناسبة و حسن التأليف"²²⁴ بما يشبه في هيكله السجع، الذي لم يكن كظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم محل خلاف القدامى، "فالكل يعترف بوجوده الفعلي المميز، بل و يقرون بأن ما جاء من آي الذكر الحكيم مسجوعاً قد بزَّ في سلاسته و رونقه ما اشتهر عند العرب من هذا الفن، و الذي كان يصدر في أغلب الأحوال عن تكلف و تصنع يطمسان المعنى و يحيلان الكلام طلاسماً، كما هو الحال مع سجع الكهان في الجاهلية. لكن الخلاف بينهم كان يتمركز على مستوى المصطلح الذي يستوعب هذا الفن الثري.. و يعزى القول بالفاصلة كمصطلح بديل عما ورد على شاكلة السجع في كتاب الله العزيز الحكيم إلى أبي الحسن الأشعري"²²⁵، و "حسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن الكريم، و أنه مما لا يتعلق به أحد، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها و مخارجها، و مناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس و الجهر و الشدة الرخاوة، و التنخيم و التريق، و النفسى و التكرير .. و ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، و أن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرج فيه مدّاً أو غنة أو ليناً أو شدةً ، و بما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه و تتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز و الاجتماع"²²⁶. ثم إن هذه الآلية تبدو للوهلة الأولى مهمة لوجودها الكثير و المطرد في القرآن، و لكن الشنقيطي ربما لا يذهب كل المذهب مع هذه الفكرة إلا نادراً، و نراه يتعرض لهذا في موقعين اثنين أدناه، و لكن هذا الأمر، على قلته في خطاب الشنقيطي، يدل دلالة كبيرة على أهمية الإيقاع في التلفظ القرآني و يتضح ذلك في "أن التناسب أو الاتزان في التعبير هو مظهر في بيان القرآن، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السماع أو التلقي، فالأذن ترفض أن تقبل الارتكاز المتتالي أو النبر الشديد في كلمتين متعاقبتين، بل إنها لترفض صيغة النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان أو زمانان ضعيفان وإعادة ذلك بصورة معكوسة أو صيغة نقرة قوية فضعيفة ثم أخرى قوية فرابعة

²²⁴ تمام حسان- البيان في روائع القرآن ج1، عالم الكتب، ط 02، القاهرة، 2000، ص: 175 .

²²⁵ دراسات أدبية- العدول الصوتي و تناسب آي الذكر الحكيم، عبد الخالق رشيد، عدد 02، الجزائر، 2008 .

²²⁶ مصطفى صادق الرافعي - إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2004، ص: 172 .

ضعيفة تساوي زمن الثانية، وإنما تقبل أو تستريح للتوازن وتلد به وتتشي²²⁷، و لا بأس في أن نورد
المثالين التاليين:

- التجانس الإيقاعي : في قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ
الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُعَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى
لَهَا﴾ [الزلزلة: 1-5] .

فلاحظ هنا أن الفواصل مسجوعة بما يشبه القافية، و هو تكرار واضح في القرآن ، أن أصبح سمة
من السمات في التركيب القرآني، و الفاصلة "عبارة عن حروف متشاكلة تكون في مقاطع الكلام أو في
المواضع التي يفصل فيها الكلام عن بعضه البعض (و قد أطلق عليه أيضا رأس الآية)، لذا عدت قرينة
السجعة في النثر و قافية البيت في القصيدة"²²⁸، و يوضح الشنقيطي هذا بقوله : "في أول سورة الحج
كقوله تعالى : {وَهُمْ لَمَتِ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ فَمُدَّ مَا دَكَّةً وَاحِدَةً} [الحاقة : 14] ، وقوله : {إِذَا زُلْزِلَتِ
الْأَرْضُ زَلَّزِلًا وَرَأَوْا بُرَحْمَتِ الْجِبَالِ أَيسًا} [الواقعة : 4-5] ، وقوله : {يَوْمَ تَهتَفُ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَادِفَةُ} [النازعات : 6-7]"²²⁹ .

أيضا في قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انكَرَتْ (2) وَإِذَا
الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 1-6] .

يقول الشنقيطي في سياق الآية : "وهو ما يشير إليها قوله تعالى : {فَإِذَا لَبِقَ الْبَصْرَ وَخَفَّ الْقَمَرُ
وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [القيامة : 7 - 9]"²³⁰ .

هذا و لا نغفل ما يتيح لنا المستوى النحوي من سياقات مهمة جداً في بيان بعض العلاقات
الدلالية المحورية في التفسير، ذلك أن ملاحظة نظام التركيب من شأنه أن يعطينا الوظائف الخاصة المنجزة
من اشتغال كل وحدة وفق علاقتها بما جاورها و بحسب أسس معينة و لعل أهمها:

1- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الحمل أو الأساليب.

²²⁷ مجلة التراث العربي - عودة إلى موسيقى القرآن، نعيم الباني، عدد 25 و 26، سوريا، 1986 و 1987 .

²²⁸ مبارك حنون - في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص: 246 .

²²⁹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص: 181 .

²³⁰ السابق ج9، ص: 29 .

- 2- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية و المفعولية و الإضافة الخ.
- 3- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها. و ذلك كعلاقة الإسناد و التخصيص .. و النسبة .. و التبعية ..
- 4- ما يقدمه علما الصوتيات و الصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات ..
- 5- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق و بقية أفرادها²³¹.

• السياق النحوي .

إن المفعولية معنى من المعاني النحوية الخاصة التي تدخل في باب المنصوبات، و هي "أربعة عشر: المفعول به، و المفعول المطلق، و المفعول له، و المفعول فيه، و المفعول معه، و الحال، و التمييز، و المستثنى، و المنادى، و خبر الفعل الناقص، و خبر أحرف ليس، و اسم إن أو إحدى أخواتها، و اسم لا النافية للجنس، و التابع للمنصوب"²³² و التي تعرف وظيفياً بالمخصصات التي تأتي بعد جمل الإسناد، فهناك آيات لم يذكر فيها المفعول به لمقتضيات معينة و هناك آيات أخرى استخلص منها الشنقيطي ذلك المفعول به الأول، و ذلك مثل ما هو ملاحظ في الآية التالية:

- المفعول به : في قوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأعراف:2] .

بحسب الشنقيطي " لم يبين هنا المفعول به لقوله : ﴿لِتُنذِرَ﴾، و لكنه بينه في مواضع آخر ، كقوله : ﴿لِتُنذِرَ قوما ما أنذر آباؤهم﴾ [يس:6] ، إلى غير ذلك من الآيات ، كما أنه بين المفعول به الثاني للإنذار في آيات آخر ، كقوله : ﴿لِينذِرَ بأسا شديدا من لدنه﴾ [الكهف:2]، و قوله : ﴿فأنذرتكم نارا تلظى(14)﴾ [الليل] ، و قوله : ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ [النبا:40] إلى غير ذلك من الآيات²³³ .

فالمفعول به هنا تجلّى في أربعة مناح في (قوماً)، و في (بأساً)، و في (ناراً)، و في (عذاباً)، و البنية العميقة لهذا التشجير السياقي تتمثل في هيمنة ألفاظ القوة، و مما لا شك فيه، أن الابتداء بالقوم باعتبارهم المفعول بهم و التدرج بهم في ألفاظ العذاب هو أقوى دليل على أن الله نظّم القرآن نظاما

²³¹ تمام حسان- اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 178 .

²³² مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية ج3، المكتبة العصرية، ط 39، بيروت، 2001، ص: 05 .

²³³ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج2، ص: 190.

محكما عبر الآيات، بحيث ما يقع بعد فعل (أنذر) من مفاعيل إلى و يصبُّ في تلك المعاني المتعاضدة، سواء من حيث البنية، أو من حيث الدلالة .

و هناك نمط آخر من المنصوبات لا بأس في النمذجة له أيضا و هو الحال، و الحال "وصف" فضلا يذكر لبيان هيئة الاسم الذي يكون له الوصف .. ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقا من الفعل.. أو اسما جامداً فيه معنى المشتق.. ومعنى كون الحال فضلا: أنه ليس مسندا و لا مسندا إليه، ولا يعني ذلك أنه يصح الاستغناء عنه.. و للحال اسم تكون له يسمى صاحب الحال، و للحال عامل، و قد تتعدد الحال²³⁴، فلنر استعمال الحال في القرآن في النموذج التالي:

- الحال : في قوله تعالى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ فِي عَجٍّ﴾ [الزمر:28] .

يقول الشنقيطي : " وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُورَةُ : {قُرْآنًا} اَنْتُصِبَ عَلَى الْحَالِ وَهِيَ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ ، وَ الْحَالُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ عَرَبِيًّا ، وَقُرْآنًا تَرْجُحُهُ لِمَوْقِفِ اَنْتُصِبَ عَلَى الْمَطْحِ .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُورَةُ : عَرَبِيًّا ، أَي : لِأَنَّ بِلْسَانَ عَرَبِيٍّ كَمَا قَالَ تَعَالَى : {لِسَانَ الَّذِي يُلْحِقُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل:103] . وَقَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ يُونُسَ : {الَّذِينَ هُمْ يُعَلِّمُونَ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} [يوسف:3] . وَقَالَ فِي أَوَّلِ الرَّحْفِ : {إِنَّا جَعَلْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} [الزخرف:3] . وَقَالَ فِي طه {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا وَصَفَدْنَا بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْشِرُونَ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه:113] وَقَالَ تَعَالَى فِي فَصَّلَتْ : {وَلَوْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت:44] وَقَالَ تَعَالَى فِي الشُّعَاءِ : {وَأَوْ تَلْمِزُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)} [الشعراء] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الشُّورَى : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا لِتُنزِلَهُ عَلَى الْقَوْمِ الَّتِي هُمْ يَفْهَمُونَ} [الشورى:7] . وَقَالَ تَعَالَى فِي الرَّعْدِ : {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا وَلَعَلَّكَ تَعْلَمُ} [الرعد:37] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ "235 .

كل هذه الآيات تؤكد عربية القرآن بواسطة الحال، فلماذا جاء هذا السياق بلفظ الحال ؟

من الممكن أن تناقش المسألة من جهة المصادر أولاً ، فقد "جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري قال القاضي أبو بكر الباقلاني معنى قول عثمان نزل القرآن بلغة قريش أي معظمه و إن لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش فإن ظاهر قوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ أنه نزل بجميع أسننة

²³⁴ محمد سعيد اسير و بلال جنيدى- الشامل في علوم اللغة العربية، ص: 420 .

²³⁵ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج7، ص: 34 و 35 .

العرب... وقال أبو شامة يحتمل أن يكون قوله نزل بلسان قريش أي ابتداء نزوله ثم أبيض أن يقرأ بلغة غيرهم²³⁶، غير أنه قد يقول قائل: " لا أسلم أنه يلزم من ذلك خروج القرآن عن كونه عربياً، فإن قيل: لأنه إذا كان مشتقاً على ما ليس بعربي، فما بعضه عربي وبعضه غير عربي، لا يكون كله عربياً"²³⁷، غير أن الأمدي يجيب بعد ذلك "إن سلمنا بدلالة النصوص على كون القرآن بجملته عربياً، لكن بجهة الحقيقة، أو المجاز، الأول ممنوع، والثاني مسلم، وذلك لأن ما الغالب منه العربية يسمى عربياً"²³⁸. و ورودها بصيغة الحال لأن الحال أولاً فيه معنى الديمومة في كل الأزمنة، ثم أن الحال يحمل معنى الإخبار و معنى النعت في نفس الوقت، و الحال كذلك تعبير عن الموقف في السياق الخارجي، فيكون أنسب من جهة اشتماله على أغلب العناصر المطلوبة في التواصل.

هذا عن الحال و المفعول به ، أو تجوزاً باب المنصوبات، فماذا عن النفي لأن القرآن حافل بما ينبغي فعله و ما لا ينبغي فعله أيضاً، و لا بأس في أن نورد المثال التالي:

- النفي : في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾

[الزخرف:81]

فيقول الشنقيطي بهذا الخصوص : " وخير ما يفسر به القرآن المعبر في الآية : وما كان للرحمن ولد بصيغة النفي الصريح مطابق لقوله تعالى في آخر سورة بني إسرائيل { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا } [الإسراء:111] الآية . وقوله يتعالى الفرقان { وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ } [الفرقان:2] الآية . وقوله تعالى : { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ } [المؤمنون:91] الآية . وقوله تعالى : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } [الإخلاص:3] وقوله تعالى { أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الصفافات:151-152] إلى غير ذلك من الآيات"²³⁹.

فالنفي هنا في الآية أعلاه جاءت على سبيل الافتراض، و هو عند الطبري: "من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له. وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف من الكلام وحسن الخطاب، كما قال جل ثناؤه ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَىٰ هَلَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ

²³⁶ محمد طاهر الكردي- تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح، ط 01، جدة، 1946، ص: 35 و 36 .

²³⁷ علي بن محمد الأمدي- الإحكام في أصول الأحكام ج1، مؤسسة النور، ط 02، الرياض، 1402 هـ، ص: 36 .

²³⁸ المرجع نفسه، ص: 39 .

²³⁹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج7، ص: 176 .

مبين ﴿سبأ:24﴾²⁴⁰، و الشنقيطي يورد سياقات أخرى تنفي أيضا من أن يكون لله ولد، و هذا يؤكد مرة أخرى وحدانية الله سبحانه و تعالى، فالدلائل التي استشهد بها الشنقيطي موجبة للتصديق من قبل الإنسان، المكلف بعبادة الله و أن لا يشرك به شيئا . لذلك فالسبيل الأوحده هو التقيد بهذا الاعتقاد (الوحدانية) حتى يحسن إيمان الإنسان بمن خلقه لعبادته وحده لا شريك له .

و هناك ما المصدرية و هي "حرف مصدري يؤول مع ما بعده بمصدر. و هي قسمان:

1- ظرفية زمانية، تكون مع ما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب ظرف زمان، و ذلك إذا كان ما بعدها دالا على زمان، نحو الآية: ﴿و أوصاني بالصلاة و الزكاة مادمت حيا﴾ [مریم:31]...

2- مصدرية غير ظرفية، تكون مع ما بعدها في تأويل مصدر يعرب حسب موقعه في الجملة، نحو الآية: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة:13]...²⁴¹، و قد لاحظ الشنقيطي استعمالها في القرآن الكريم، و رصد سياقات ورودها في آيات أخرى، و ذلك حتى يتبين له معنى هذا الاستعمال .

- ما المصدرية : في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ بِنَاكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف:48]

و وردت في آيات أخرى مثل الآيات التالية :

{ وَلَقَدْ جِئْتُمْ بِنَاكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام:94] ، قوله تعالى : { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدَّ عَلَيْنَا } [الأنبياء:104] الآية ، وقوله : { كَمَا بَدَأْتُمْ تُؤْتُونَ } [الأعراف:29] ...

وقوله فيه هذه الآية الكريمة : { كما خلقناكم } « ما » مصدرية ، والمصدر المنسبك منها ومن صلتها نعت لمصدر محذوف على حذف مضاف . وإيضاح تقريره : ولقد جئتمونا كما خلقناكم ، أي مجيئا مثل مجيء خلقكم²⁴² .

إن الآليات النحوية قد أخذت الحظ الوافر من باقي الآليات الأخرى، و قد يعود هذا إلى طبيعة استقراءه للنص القرآني، و منهجه الذي يتبع فيه تفسير القرآن بالقرآن، فالمقارنة ما بين السياقات التي وردت فيها قضية معينة في الآيات، مدعاة لحضور التجربة النحوية بمختلف آلياتها، و يعود هذا إلى تضلع الشنقيطي من مشارب العربية بعلمها، و منها النحو على الخصوص، كما يعود إلى النص بحد

²⁴⁰ محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن ج21، مؤسسة الرسالة، ط 01، بيروت، 2000، ص: 651 .

²⁴¹ إميل بديع يعقوب- معجم الإعراب و الإملاء، دار اشرفية، ط02، دمط، دقط، ص: 388 .

²⁴² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج4، ص: 84 .

ذاته، إذ هو منبع من الإيرادات اللغوية الكثيرة و المتنوعة، و التي يصعب على أي باحث أن يتقصاها في مجملها، و لا ننسى بطبيعة الحال، أن القرآن كان مصدرا للتأصيل النحوي من قبل الأصوليين الأوائل، فالآليات التي استنبطها سيبويه طرف كبير منها يعود إلى النصوص القرآنية، أما الذي ظهر و بان منها فهو الشواهد الشعرية، يقول محمد إبراهيم عبادة : "أما شروح الشواهد القرآنية فقد استقرت في بطون كتب التفسير، و بعض كتب القراءات التي عنيت بالتوجيه الإعرابي، و بيان مذاهب النحويين.. و كتب النحو لم تخل من الشواهد القرآنية بقراءاتها مع تفاوت في عرضها"²⁴³، فمحاولة الشنقيطي في الاستعمالات النحوية، هي امتداد لمحاولات من سبقه في هذا، أمثال الفراء في معاني القرآن، و الزجاج في معاني القرآن و إعرابه، و النحاس في إعراب القرآن، و أبو علي الفارسي في الحجة، و ابن جني في المختسب، و ابن الأنباري في البيان في غريب القرآن، و العكبري في إملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن .. و ما يميز الشنقيطي عنهم اعتماده المقارنة ما بين المتناسب من الآيات في السياق .

3- السياق البلاغي :

مادام أن الطرح السابق، كان في البنية التركيبية، أي النحوية، فإن الطرح الذي يليه يكون بلاغياً، لاعتبار أن هناك قضايا ينظر النحو إليها، بقيمة التقدير النحوي و قانون الرتبة، مثل التقديم و التأخير، بينما تنظر البلاغة إليها بنظرة الغرضية، مثل غرض الاهتمام، فكان لزاما مراعاة مثل هذا الاعتبار في ترتيب الآليات حتى يأخذ كل مبحث جانبه من الاهتمام و الرؤية، فكما قلنا، فإن مجال اشتغال النحو هو ما ينجر من معاني نحوية مثل الفاعلية و المفعولية و المصدرية و الحالية .. الخ، بينما مجال اشتغال البلاغة في المعنى و كلفياته و بيانه و بديعه .. الخ، لذا فهما مرتبطان من حيث التكامل البنوي، غير أن الدراسة تفرق ما بينهما تحليلاً، " و الذي يقوم بدراسة أنواع الخطاب من المنظور البنوي يجد نفسه أمام بعض الأشكال اليت تبدو و كأنها أشكال بلاغية مثل التكرار، كما يجد نفسه أمام أشكال أخرى تبدو طبيعية مثل الاستفهام، و هي مع ذلك يمكن اعتبارها في بعض الحالات أشكال بلاغية . و دام من الممكن إدراجها أو إخراجها من نطاق الأشكال البلاغية فإن يثير مشكلة دقيقة، إذ متى يصح هذا أو ذاك؟"²⁴⁴، إذاً البلاغة توظف المقولات التي أثارها حركية التخيل، و هو ما يظهر خاصة في الشعر فالقد تناول النقاد المسلمون مفهوم الصورة الفنية في إطار العناصر البلاغية .. و تناولوا النشاط التخيلي في إطار هذه العناصر أيضاً. و من هنا، كان النشاط التخيلي الأساس الذي تقوم عليه الصور

²⁴³ محمد إبراهيم عبادة- الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، مكتبة الآداب، درط، مصر، 2002، ص: 1 و 2 .

²⁴⁴ صلاح فضل - بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1992، ص: 129 .

الفنية²⁴⁵، و الشنقيطي يسمي المجاز المثبت للحقائق بالأسلوب من الأساليب العربية، و ذلك هروبا من المقارنة المنعقدة ما بين الحقيقة و المجاز، و كأن المجاز هنا و في تقديره عكس الحقيقة، و لكنه عندما يتعرض لشاهد من القرآن مثل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾ [مریم:4] يقول و هذا أسلوب من أساليب العربية، لذلك فالشنقيطي يرفض المجاز الذي ينافي الحقائق في مجملها، و لكنه مع المجاز الذي يثبت الحقائق .

لذلك فإن أول استعمال بلاغي في مبحث البيان كان لعنصر التشبيه، بحكم أن القصيدة العربية القديمة كانت تركز على آلية التشبيه باعتبارها العنصر المهيمن من باقي آليات البيان، و التشبيه "صفة الشيء بما قاربه و شاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم:(خذ كالورد) إنما أرادوا حمرة أوراق الورد و طراوتها .. فوقع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر"²⁴⁶، و يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن الشيعين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما : أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأول . و الآخر : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول . فمثال الأول : تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة و الشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه و بالحلقة في وجه آخر ..ومثال الثاني: هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول، كقولك هذه حجة كالشمس في الظهور"²⁴⁷ . و سنعتمد على بعض نماذج الشنقيطي لتبيين استعمالات التشبيه لديه:

- استعمال التشبيه : في قوله تعالى ﴿إِنَّ ظِلَّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ إلى قوله ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:24] . و معناه و سياقه في آيات أخرى أن "الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للدنيا بالنبات الناعم المختلط بعضه ببعض ، و عما قليل يبس ، و يكون حصيداً يابساً كأنه لم يكن قط ، و ضرب لها أيضاً المثل المذكور في «الكهفي» قوله : { واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء } [الكهف:45] إلى قوله : { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا } [الكهف:45]، وأشار لهذا المثل بقوله في « الزمر » : ﴿يَهِيحُ فَتَرَاهُ هَضْبًا ثُمَّ يُجِطُّهُ حَطَامًا إِنَّ فِي

²⁴⁵ محمد خليفة- النظرية النقدية العربية، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 2005، ص: 94 .

²⁴⁶ أبو علي الحسن بن رشيق- العمدة في محاسن الشعر ج1، دار الطلائع، ط 01، القاهرة، 2006، ص: 237 .

²⁴⁷ عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة، تج: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 2003، ص: 69 و 70 .

ذَلِكَ لَذِكْرِي لِأُولِي الْأَلْبَابِ { [الزمر:21] ، وقوله في « الحديد » : } كَثَلٍ لِيُغِيثَ أَعْجَبَ الْكُفَّارِ
نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ هُتُوتًا كَوْنًا حَطَامًا { [الحديد:20] .

التشبيه في الآيات المذكورة عند البلاغيين من التشبيه المركب ، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من
أشياء ، وهو كون كل من المشبه والمشبه به يمكنه ما شاء الله ، وهو في إقبال و كمال ، ثم عما قليل
يضمحل وينزل²⁴⁸

فالتشبيه المركب هو نوع مميز فهو من نوع (ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة)، و هو
"بيان ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به. والمعنى الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة، ثم الهلاك، وفيه
العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تذكّر"²⁴⁹ ، و المعنى عند ابن كثير أن الله ضرب "مثلا لزهرة الحياة الدنيا
وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما
يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من آبٍ □ وقَضَبٍ □
وغير ذلك"²⁵⁰ ، ثم هنا مثال آخر:

و في قوله تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ عُلِّتْ ذِكْرَهُمْ هُرُوفِينَ (49) كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَفْرَةٌ (50)﴾ [المدثر].
يقول الشنقيطي : "في هذه الآية تشبيه المدعوين في إعراضهم عن الدعوة والتذكير ، بالحمر الفارة
من الصيادين أو الأسد ، وقد شبه أيضا العالم غير المتبغ لئمه بالحامل أسفارا ، فهما تشبيهان
بالداعي والمدعو إذا لم تنفع الدعوة"²⁵¹ .

و المعنى هنا بحس القرطبي: "كأنهم أي كأن هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم
حمر مستفرة قال ابن عباس: أراد الحمر الوحشية"²⁵² ، و قد حضرت الشنقيطي الأيقنة²⁵³ الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحامل أسفارا²⁵⁴ [الجمعة:5] ، و في كلام الشنقيطي ينطبق هذا أيضا
على العالم غير المتبغ بعلمه .

فبلاغة التشبيه أوقع في النفس من الكلام الحرفي المباشر، و الشعر الجيد هو العامر بالتشبيه و
أساليب البيان، فإنه يقال (أصدق الشعر أكذبه)، لهذا استعمل في المحاطبات التي يراد بها الإبلاغ
القوي، و إن قوي التشبيه و زاد في الغلو و التجريد سمي ذلك استعارة ثم كناية، و لا بأس في إيراد نموذج
في الاستعارة، و يسميها الشنقيطي كما قد أسلفنا : بالأسلوب من الأساليب العربية، و لم يزد على هذا
القول .

²⁴⁸ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج2، ص: 316 .

²⁴⁹ عبد العزيز عتيق - علم البيان، دار النهضة العربية، درط، بيروت، 1985، ص: 71 و 72 .

²⁵⁰ أبو الفداء إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم ج4، دار طيبة، ط 02، الرياض، 1999، ص: 260 .

²⁵¹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج8، ص: 298 .

²⁵² أبو عبد الله محمد القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج19، دار إحياء التراث العربي، ط 02، بيروت، 1985، ص: 88 .

- الاستعارة : في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضَاهِهِ﴾ وَيَهْلِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ [الحج:4] . فيقول الشنقيطي بشأنا: " ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى { فاهدوهم إلى صراطِ الجحيم } [الصافات : 23] وقوله تعالى { وَحَسْبُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَى النَّارِ } [القصص : 41] الآية لأن الإمام هو من يقتدى به في هديه وإرشاده .
 وإطلاق الهدى في الضلال كما ذكرنا أسلوب عربي معروف وكلام البلاغيين في مثل ذلك، بأن فيه استعارة عنادية ، وتقسيمهم العنادية إلى تمكينية وتمليحية²⁵³ .

فلاستعارة تعد نمطاً بيانياً و هي " مجاز علاقته التشبيه، أو تشبيه حذف أحد طرفيه: المشبه أو المشبه به، فإذا حذف المشبه به، فهي : مكنية.. و إذا صرح بالمشبه به فهي تصريحية أو تخيلية"²⁵⁴ ، و ما تكلم عنه الشنقيطي و هو وارد في القرآن في تفسيره للآية أعلاه، هو استعارة مكنية فحذف المشبه به و هو الإمام و رمز له بأحد لوازمه و هو الهداية، و أورد آية أخرى بعدها تحمل نفس النوع من الاستعارة، و لكن في الآية الأخيرة { وَحَسْبُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَى النَّارِ } يظهر لنا أن نوع الاستعارة تبدل، إذ صرح هنا بالمشبه به فكانت إذاً استعارة تصريحية، إذ صار للمعنى وجود من جهتي الاستعارة و تفسير المعنى عند البغوي: " { أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ } اتبعه { فَأَنَّهُ } يعني الشيطان، { يُضَاهِيهِ } أي: يضل من تَوَلَّاهُ، { وَيَهْلِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ }"²⁵⁵ ، و قد كان هذا في الاستعارة، فماذا عن الكناية؟

الكناية : في قوله تعالى ﴿وَإِخْفُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:133] . فيقول الشنقيطي في هذا الخصوص : " أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين. وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع ، ومنه قول الشاعر :
 وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه أجدلا

و بين هذا المعنى في مواضع آخر . كقوله في الشعراء : { وإخفض جَنَاحَكَ لِجَنِّ اتَّبِعِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء:215] ، وكقوله : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } [آل عمران:159] إلى غير ذلك من الآيات²⁵⁶ .

²⁵³ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج5، ص: 13 .

²⁵⁴ محمد سعيد اسير و بلال جنيدى- الشامل في علوم اللغة العربية، ص: 89 .

²⁵⁵ أبو محمد الحسين البغوي- معالم التنزيل ج5، دار طيبة، ط 04، الرياض، 1997، ص: 366 .

²⁵⁶ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 133 .

تعد الكناية باعتبارها آية من آيات البلاغة "من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول . و ما من شك في أن الكناية أبلغ من الإفصاح و التعريض أوقع في النفس من التصريح ... فالمبالغة التي تولدها الكناية و تضيفي بها على المعنى حسناً و بهاءً هي في الإثبات دون المثبت، أو في إعطاء الحقيقة مصحوبة بدليلها، و عرض القضية و في طيها برهانها"²⁵⁷، فالمعنى الذي جاءت من أجله الكناية لا بد و أنه ذو شأن عظيم، فكيف يخص هذه الكناية لأمر هو في الحقيقة أمر إلهي لا جدال حوله، و هو إصدار الله أمره أن يستسهل الرسول و يلين في معاملته مع التابعين له، بلفظ: اخفض جناحك، المقصد من هذا أن الله يرمى المؤمنين الذين يتبعون أوامره بهدي رسوله الكريم، و يحثهم بواسطة معاملة الرسول الطيبة لهم، أن يستزيدوا من عمل الخيرات التي ترضي الله و تدخلهم الجنة، و هناك آية أخرى لها حضور قوي في القرآن الكريم و قد انتبه الشنقيطي لوجودها و هي الالتفات البلاغي، فمن خلال الشنقيطي يمكن أن نلاحظ ذلك في النموذج التالي:

- الالتفات : في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ جَلَّ لَكُمْ الْأَرْضَ فَهَذَا سَبِيلُكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَنَاتٍ بِهِنَّ أَزْوَاجًا مِنْ بَنَاتِ نَسْتَى﴾ [طه:53] .

و قد يتفق البلاغيون في كون الالتفات "لون من ألوان الصياغة يقتضي مخالفة الأصل مخالفة معنوية سواء كانت هذه المخالفة بعد ذكر الأصل ثم الانتقال عنه أو تجاوز الأصل مباشرة إلى غيره. و لكن الالتفات بهذا المفهوم الواسع يصعب على الدارسين حصره و الإلمام بكل مسأله. و خروجاً من هذا حصره الجمهور في تغير أساليب الخطاب الثلاثة فقط بعضها إلى بعض بعد ذكر أحدها ثم الانتقال عنه إلى غيره"²⁵⁸.

في سياق الانتقال من الغيبة إلى التكلم في موضوع إنبات الأرض بالخير ، ورد الالتفات بنفس الموضوع في آيات أخرى ، يقول الشنقيطي : "ونظيره في القرآن قوله تعالى في « الأنعام » : { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ مِنْهُ بَنَاتٍ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَ مِنْهُ خَضِرًا خُجْرًا مِنْهُجًا مَاتَرًا كِبًا } [الأنعام : 99] الآية ، وقوله في « فاطر » { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ مِنْهُ شَجَرًا مِمَّا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ مِنْهُ بَنَاتٍ كِبًا } [فاطر : 27] ، وقوله في « النمل » : { أَمْ نَخْلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَلْنَبْتِئَنَّ بِآبِهِ حَذَاءً قَدْ ذَاتَ بِهِجَةٍ } [النمل : 60] الآية .

²⁵⁷ عبد العزيز عتيق - علم البيان، ص: 223 .

²⁵⁸ خديجة محمد أحمد البناي - الالتفات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1413-1414 هـ، ص: 34 .

و هذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النبات يدل على تعظيم شأن إنبات النبات لأنه لو لم ينزل الماء ولم ينبت شيئاً ليهلك الناس جوعاً وعطشاً . فهو يدل على عظمته جل وعلا ، وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا "259 .

فالالتفات ساهم في بيان الآية الكريمة وفق الآيات الأخرى التي لها نفس سياق الالتفات، ذلك لأن تبدل الوجهة في الخطاب على حين غرة يدفع على الانتباه، و السبيل كثيرة التعرجات تترك الماضي فيها يركز عليها، فأمر التفكير في خلق الكون و الإنسان هو أمر يأخذ العقل بالشروء في التفكير، غير أن الالتفات أحياناً يحد من هذا الشروء بأن يبقى الإنسان أمام عظمة الله حاضراً بعقله و ضميره الحي نابضاً بحيوية التدبر .

إن القضايا البلاغية في تفسير الشنقيطي كثيرة جدا و لا يسع المجال لإيرادها كلها، فاكثفينا بهذا القدر، فقد أوردنا التشبيه في بعض أنواعه، و أوردنا الاستعارة، و الكناية، و بعض مناحي الالتفات، حتى نبين الدور البلاغي في حيثيات التفسير، غير أن هناك اطردات و تكرارات لوحادات معينة، فبأي طريقة يمكن أن نحصر تلك السمات؟ من هنا لزاماً أن نلج إلى المنهج الأسلوبي، و سميناً الطريقة المتبعة، بالسياق الأسلوبي .

4- السياق الأسلوبي .

مما ورد من السياق الأسلوبي مفهوم السمة ، إذ بدت واضحة في تقاسيم التفسير ، و قياسها "يهدف إلى تمييز السمات اللغوية فيه و ذلك بإظهار معدلات تكرارها و نسب هذا التكرار ، و لهذه الطريقة في التحليل أهمية خاصة في تشخيص الاستخدام اللغوي"260 عند المفسر .

- السمات الأسلوبية :

تكلم المفسر عن نسبة ورود بعض السمات ، و التي لها أهمية في قراءة المعنى المنجر عنها، و لا بأس في أن نورد بعضاً منها على سبيل التمثيل :

- من الظواهر التي لاحظها المفسر في القرآن ، اقتران الحروف المقطعة بما يدل على الكتاب ، و في الغالب باسم الإشارة .

259 محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج4، ص: 297 .

260 نور الدين السد - الأسلوبية و تحليل الخطاب ج1، ص: 105 .

و ذلك في تفسيره للآية الأولى من سورة هود : ﴿الرَّكَابُ أَكْثَرُ مِمَّا تُفَصِّلُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود [1] ، و يستجلب هذا النص سياقات قرآنية أخرى كلها على شاكلة المعنى الأول من مثل ما نجد في سورة البقرة ﴿الْم﴾ [1] ، و أتبع بقوله : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [2] . و في آل عمران ﴿الْم﴾ [1] ، متبوعا بقوله : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم (2) نزل عليك الكتاب بالحق﴾ [2-3] ، و في سورة الأعراف ﴿الْمص﴾ [1] ، ثم يقول : ﴿كتاب أنزل إليك﴾ [2] ، و في سورة يونس : ﴿الر﴾ [1] ، يليه قوله : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [1] ، و في سورة يوسف ﴿الر﴾ [1] و قال : ﴿تلك آيات الكتاب المبين (1) إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ [2] ، و في سورة الرعد : ﴿الر﴾ ثم يقول : ﴿تلك آيات الكتاب و الذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ [1] ، و في سورة إبراهيم : ﴿الر﴾ ، يتبع بقوله : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [1] ، و في سورة الحجر : ﴿الر﴾ ، يقول بعدها : ﴿تلك آيات الكتاب و قرآن مبين﴾ [1] ، و في سورة طه : ﴿طه﴾ [1] ، ثم قال : ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ [2] ، و في سورة الشعراء : ﴿طسم﴾ [1] ، ثم قال : ﴿تلك آيات الكتاب المبين (2) لعلك باحع نفسك﴾ [3] ، و في سورة النمل : ﴿طس﴾ ، متبوعا بـ ﴿تلك آيات القرآن و كتاب مبين﴾ [1] ، و في سورة القصص : ﴿طسم﴾ [1] ، ﴿تلك آيات الكتاب المبين (2) نتلوا عليك من نبأ موسى و فرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾ [2-3] ، و في سورة الروم : ﴿الْم﴾ [1] ، يليه قوله : ﴿غلبت الروم (2) في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [2-3] ، و في سورة لقمان : ﴿الْم (1) تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (2) ، و في سورة السجدة : ﴿الْم﴾ [1] ، يليه : ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [2] ، و في سورة يس : ﴿يس﴾ [1] ، ثم يقول : ﴿و القرآن الحكيم﴾ [2] ، و في سورة ص : ﴿ص﴾ ، ثم قال : ﴿و القرآن ذي الذكر﴾ [1] ، و قال في سورة غافر : ﴿حم﴾ [1] ، ثم قال : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [2] ، و في سورة فصلت : ﴿حم﴾ [1] ، ثم يقول : ﴿تنزيل من الرحمان الرحيم (2) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ [2-3] ، و في سورة الشورى : ﴿حم (1) عسق﴾ (2) [1-2] ، يليه قوله : ﴿كذلك يوحي إليك و إلى الذين من قبلك﴾ [3] ، و في سورة الزخرف : ﴿حم﴾ [1] ، ثم قال : ﴿و الكتاب المبين﴾ [2] ، و في سورة الدخان : ﴿حم﴾ [1] ، يتبعه بـ : ﴿و الكتاب المبين (2) إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [2-3] ، و في سورة الجاثية : ﴿حم﴾ [1] ، يقول بعدها : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (2) إن في السموات و الأرض لآيات للمؤمنين﴾ [2-3] ، و في سورة

الأحقاف : ﴿حم﴾ [1]، ثم يقول : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (2)﴾ و ما خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق ﴿ [2-3] ، و في سورة ق : ﴿ق﴾ و يقول بعدها ﴿و القرآن المجيد﴾ [1] .

هذه بإسهاب نسبة الورد التي تعلق فيها ذكر الحروف المقطعة بالكتاب ، و عددها (26) ، و قد اختلف العلماء في بيان معنى هذه الحروف المقطعة ، و لا بأس في تبني مقولة ابن قيم الجوزية فيها، حيث يقول : "تأمل سرا : ألم كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدئ بها أولا ، و هي أول المخارج من أقصى الصدر و اللام من وسط مخارج الحروف، و هي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، و الميم آخر الحروف و مخرجها من الفم ... و كل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق و نهايته و توسطه، فمشتملة على تخليق العالم و غايته و على التوسط بين البداية و النهاية من التشريع والأوامر .

فتأمل ذلك في سورة البقرة و آل عمران و تنزيل السجدة و سورة الروم . و تأمل اقتران الطاء بالسين و الهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها ، و هي الجهر و الشدة و الاستعلاء و الإطباق ، و السين مهموس رخو مستفل صغيري منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين و الهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . و تأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة كيف تجدد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك ق و السورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن و ذكر الخلق و تكرير القول و مراجعته مرارا و القرب من ابن آدم و تلقي الملكين قول العبد و ذكر الرقيب و ذكر السائق و القرين و الإلقاء في جهنم و التقديم بالوعيد و ذكر المتقين و ذكر القلب و القرون و التنقيب في البلاد و ذكر القيل مرتين و تشقق الأرض و إلقاء الرواسي فيها و بسوق النخل و الرزق و ذكر القوم و حقوق الوعيد ... و سر آخر و هو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة و الجهر و العلو و الانفتاح .

و إذا أردت زيادة إيضاح هذا فتأمل ما اشتملت عليه سورة ص من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه و سلم و قولهم : ﴿أجعل الألهة إلها واحدا﴾ [ص:5] إلى آخر كلامهم ، ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصم الملأ الأعلى في العلم و

هو الدرجات و الكفارات ، ثم مخاصمة إبليس و اعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانيا في شأن بنيه و حلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم . فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهذه السورة غير ص و بسورة غير ق غير حرفها . و هذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، و الله أعلم²⁶¹ ، و يقول الشنقيطي فيها : **قَالَ بِحُضْرَالْعُلَمَاءِ : هِيَ مَمَّاسَةٌ أَثَرَاللَّهِ تَعَالَى بِعِلْمِهِ... وَقِيلَ : هِيَ أَسْمَاءُ الْمَسُورِ الَّتِي فَتَتْ حَتْمَهَا... وَقِيلَ : هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّعْلِيِّ... وَقِيلَ : هِيَ حُوفٌ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ أَسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ جَلِّ وَعَلَا... أَمَّا الْقَوْلُ الَّتِي يَدُلُّ اسْتِقْرَاءَ الْقُرْآنِ لِمَى رُحَّازِهِ فَهُوَ : أَنَّ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ ذُكِرَتْ فِي آوَائِلِ السُّورِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا نَائِمًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ عَنْ مَاضِيَتِهِ مِثْلَهُ مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ الَّتِي خَاطَبَ فِيهَا ، وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ الرَّارِي فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَرِّدِ ، وَجَمَعَ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَحَكَاهُ الْقَوَاطِي عَنِ الْقُرَّاءِ ، وَقَطَّبَ ، وَذَصَّوهُ الرَّحْمَشِيُّ فِي الْكَشَّافِ²⁶² .**

كان هذا في الحروف المقطعة و التي أسالت الكثير من الخبر في تأويل معناها، و لكننا في إيرادها هنا لا نريد أن نحوض في تفسير و تبيين بعض ما يظهر منها من معان، و لكن من أجل أن هذه الحروف تكرر ورودها من الناحية الأسلوبية، و قراءتنا محصورة في قراءة نسبة ورودها فقط، لذلك فإن ما يمكن أن يقال أن هذه الحروف في ورودها الشبه متواتر في طوال السور يجيلنا على معنى عظيم بالنسبة لنا و هو : إن كنا قد فهمنا بعضاً من القرآن فإننا لم نفهم البعض الآخر و هو الأكثر بدليل وقوفنا عاجزين أمام تلك الحروف المقطعة، التي تعتبر آيات، و إن حاولنا التفقه في أمرها كثيراً أو قليلاً . هذا و التكرار ورد أيضاً في جهات متعددة من القرآن الكريم، و لنأخذ مثلاً ، دلالة التركيب الإضافي:

- تكرر التركيب الإضافي : في قوله تعالى ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [الواقعة: 8-9] . و قد ورد مثل هذا التركيب الإضافي في آيات أخرى من مثل : " { وَأَصْحَابُ اليمِينِ مَا أَصْحَابُ اليمِينِ فِي سِنْرِ مَخْضُودٍ } [الواقعة : 27 - 28] الآيات ، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال كما أوضحه تعالى : بقوله { وَأَصْحَابُ الشمالِ مَا أَصْحَابُ الشمالِ فِي سُمُومٍ وَهُمْ فِيهِمِ } [الواقعة : 41 - 42]²⁶³ .

²⁶¹ ابن قيم الجوزية - بدائع الفوائد، المكتبة العصرية ، ط 01 ، لبنان ، 2008 ، ص: 189 ، 190 .

²⁶² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج5، ص: 5 و 6 .

²⁶³ السابق ج7، ص: 452 .

و غرض التركيب الإضافي هنا تأكيد الجزاء بشأن كل فريق من الناس، فأكدت اللجنة بالنسبة للمؤمنين، و أكدت النار بالنسبة للكفار، و التأكيد هنا يخرج إلى تعظيم ماهو موجود في كل من الجنة أو النار، و لو لم تكن الجنة بالعظمة التي تتصور فقط مما أتى ذكره في القرآن الكريم و الآيات في ذلك كثيرة جدا، ما أكد القرآن لفظ أصحابها، و لو لم تكن النار بالعظمة و الهول المذكور في نصوص القرآن، ما أعاد القرآن ذكر أصحابها و لكن الذكر هنا عند أصحاب النار بالوعيد، و عند أصحاب الجنة بالبشرى و إن كان التكرار باعتباره تكراراً في جوهره واحداً .

إن التوجه الأسلوبى في هذا الإطار خدم المعنى كثيراً، ففي تكرار الحروف المقطعة دليل على بيان الإعجاز القرآنى، و تكرار التركيب الإضافى و الجملى يهدف إلى التأكيد، و تكرار إيراد المثل لما للمثل من دور في إثبات المعاني في الذهن، و فيما يلي أنواع الأشكال التي جاء فيها القرآن، ممثلة في القراءات القرآنية .

5- سياق القراءات القرآنية :

كان بالإمكان أن ندرج هذا العنصر بالمستوى الصوتي، لوجود علاقة مركزية بينهما، و هي الاختلافات الصوتية ما بين القراءات، و لأن هذا المستوى الصوتي ليس وحده الذي بإمكانه أن يحتوي جانب القراءات القرآنية، فإننا آثرنا أن يقوم عنصر القراءات مستقائماً بذاته، مع أننا أجحفنا في حقه، إذ القراءات القرآنية يمكن أن يخصص لها دراسات و دراسات. فالقراءات القرآنية مهمة جدا في كيفية تحديد المعاني بدقة، لأن القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة النص القرآني بها قصداً للتيسير، والتي جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية القديمة، و قد استعملها الشنقيطي باعتبارها آليات، فماذا يمكن أن نجد في مستوكهذا؟

- في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ سَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِحُّ حِجَابَهُمْ أَنْفُسِهِمْ يَذْمُونَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءُ الَّذِينَ اقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: 52/53] .

يقول الشنقيطي : "قوله في هذه الآية الكريمة : { وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءُ الَّذِينَ اقْسَمُوا بِهِ نَالَهُمْ } اتِّسَاعُ يَأْتِ :

الأولى: يَقُولُ بِلاَ وَاوٍ مَعَ الرَّفْعِ بِهِ مَا قَرَأَافِعَ هَوَابُ مِنْ كَثِيرِ هَوَابُ مِنْ عَامِرٍ .
 الثَّانِيَّةُ: وَيَدُ تَعُولِيَابَاتِ الْوَاوِ مَعَ رَفْعِ النَّظْلِ إِذَا بِهِ مَا قَرَأَ عَاصِمٌ ، وَحَمَزَةُ وَالْكَسَائِي .
 الثَّلَاثَةُ: بُنْيَابَاتِ الْوَاوِ ، وَنَضَبِ «تُوقُلُ» عَطْفًا عَلَى (أَنْدِ أَيْ بِالْفَتْحِ) بِهِ مَا قَرَأَ وَ عَمِرٍ²⁶⁴ .

القصد هنا أن هذه القراءات الثلاث تعد من القراءات السبع، الأولى يحذف فيها الواو أي نزع العطف الذي يربط الجملة بما يسبقها، فتصبح كل جملة مستقلة ونصا بحد ذاته . أما الثانية التي تثبت واو العطف فتربط ما بين الجملة السابقة بالجملة اللاحقة بعلاقة المقارنة بين الذين في قلوبهم مرض و بين الذين آمنوا، في مقارنة أحوال كل منهم، و الثالثة عطفها على فعل سبقها و هو (أن يأتي بالفتح) أي الله هو الذي يأتي بالفتح . فحركات الإعراب و الأدوات، باعتبارها محرك القراءات القرآنية، تساهم بشكل فعال في بيان المقاصد من النص برجحان البعض على الآخر، سواء بمعطيات النص أو بمعطيات السياق، لذلك ترجح القراءة الثانية مع صحة القراءات الأخرى . و لنر النموذج التالي:

- و في قوله تعالى : ﴿ تَرَاوِرُّ عَنْ كَهَنِهِمْ ﴾ [الكهف:17] .

يقول الشنقيطي: «فيه ثلاثه شَاءَاتٍ سَجِيَّاتٍ :
 قَرَأَابُ مِنْ عَامِرِ الشَّامِيِّ «تَرَاوِرُّ» بِالسَّكَنِ الرَّايِّ وَاسْقَاطِ الْأَلْفِ وَتَشْلِيدِ الرَّاءِ ، عَلَى وَزْنِ تَحْمُرٍ ، وَهُوَ عَلَى هَلْهَلِّقَوَاءَةٍ مِنَ الْأَزْوَارِ بِمَعْنَى الْمَلِي ؛ كَقَوْلِ عَمْرِو الْمُتَقَدِّمِ :
 فَأَزْرُ مِنْ وَقَعِ الْقَفَا الْيَتِ
 وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَهُمْ عَاصِمٌ وَحَمَزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ بِالرَّايِّ الْحَقِيقَةَ بِطَهَائِلِ الْفِ هَوَالِي هَلْهَلِّقَوَاءَةٍ فَأَصْلُهُ
 «تَرَاوِرُّ» فَحُفَّتْ مِنْهُ إِحْلَالُ الْيَنْ ، عَلَى حَقِّقُولِهِ فِي الْخُلَاصَةِ :
 بِتَهْلُ الْيَنْ أَيْ قَدِ قُتِّصُ . . فِيهِ عَلَى تَأَكُّتِ بَيْنِ الْعَبْرِ

وَ قَرَأَافِعَ الْمَلِيَّوَابُ مِنْ كَثِيرِ الْمَكِّيَّوَابُ وَ عَمْرٍوَالْبَصْرِيُّ : «تَرَاوِرُّ» بِتَشْلِيدِ الرَّايِّ بِطَهَائِلِ الْفِ ، وَأَصْلُهُ
 «تَرَاوِرُّ» أَدْعَمَتْ فِيهِ النَّاءُ فِي الرَّايِّ ، وَعَلَى هَاتِلِ الْقَرَاءَةِ تَيْنِ (فَعْنِيَاءَةٍ حَذْفِ إِحْلَالِ النَّاءِ بِوَقْفِ بَرَاءَةٍ
 إِدْغَامِهَا فِي الرَّايِّ) فَهُوَ مِنَ التَّرَاوِرِّ بِمَعْنَى الْمَلِي إِذَا²⁶⁵ .

²⁶⁴ السابق ج2، ص: 77 .

²⁶⁵ السابق ج4، ص: 29 و 30 .

هذه القراءات الثلاث على بعض التباين في بعض مناحيها لا تختلف كثيراً، و الاختلاف الظاهر فيها هو اختلاف في بنية كلمة (تزاور) فمن ناحية قُرأت (تَوَّو) و من ناحية أخرى قُرأت (تتزاور) مع حذف إحدى التاءين في القراءة فتصبح تزاور ثم قُرأت (تزاور)، و معنى كل منها لا يخرج في مجمله عن معنى الميل، لذلك إن قرأ القرآن بأي منها فالقراءة صحيحة، و نزيد توضيحاً بالنموذج التالي:

و في قوله تعالى : ﴿لِ ادَّاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:66] .

فيقول الشنقيطي فيها : " وأعلم أن قوله : بَلْ ادَّاكَ بـ يلفظة لم تقترأه آتت ان منها فقط سبعيتان ، فقد قرأه عامة السبعة غير ابن كثير وأبي عمرو : بَلْ ادَّاكَ بكسر اللام من بَلْ وتشديد الدال بـ عطفاً والألف التي قبل الدال همزة وصل ، وأصله : تملك بـ وزن : تفاعل، وقلدنا ما وجه الإدغام ، واستجاب همزة ال وصل في تفاعل وتعمل وأمثال ذلك في القرآن ، وبـ خص شواهد العويبة في سورة «طه» ، في الكلام على قوله تعالى : فإذا هي تلقف يماأفكون [الأعراف:117] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بـ ل ادَّاكَ بسكون اللام من بَلْ ، وهمزة قطع فتهو حقه مع سكون الدال على وزن : أفعل . والمعنى فعملية الجهور بـ ل ادَّاكَ علمهم ، أي : تملك بمعنى تكامل ؛ كقولهم : حتى إذا

ادَّاكوا فيها جميعاً [الأعراف:38]

فعملية ابـ ن كثير وأبي عمرو بـ ل ادَّاكَ . قال البغوي : أي لمغ ولحق ، كمال قال : ادَّاكَ علمياً ذال حوقه لمغاه²⁶⁶ .

فقد وردت بصيغة (بَلْ ادَّاكَ) و بصيغة (بَلْ ادَّاكَ) و هي من القراءات السبعية، فضلها الشنقيطي على ما سواها لعلوقها بتأدية المعنى بصورة أوضح من غيرها من القراءات غير السبعية، و لهذا كان الشنقيطي ضابطاً لمعظم ما ذهب إليه في تفسيره من الناحية اللغوية .

هذا باختصار شديد نموذج الإطار البنيوي، الذي استعمله الشنقيطي في تفسيره أضوء البيان، و الذي مررنا خلاله بمراحل مثل مستوى السياق الإفرادي بأصنافه : السياق الصوتي و السياق الصرفي و السياق المعجمي، و مستوى السياق التركيبي: و الذي تم التطرق فيه إلى السياق الصوتي المركب، و إلى السياق النحوي، و بعد ذلك ولجنا السياق البلاغي في الاستعمالات التي تخص التشبيه، و الاستعارة، و الكناية، و باب الالتفات، ثم إلى السياقات الأسلوبية المختلفة، و من ثم إلى سياق القراءات القرآنية . و حاولنا خلال كل هذا أن نوجز الآليات البنيوية، بيانا لوظائفها من خلال الشواهد المستفيضة التي أعقبناها بها .

²⁶⁶ السابق ج6، ص: 260 .

غير أن هذا التناول لا يكفي لوحده، فقد استعمل الشنقيطي آليات أخرى تدخل في أبواب أخرى، فكان لزاما علينا، أن نضيف فصلا آخر عنوانه ب: (السياق الدلالي) ، وهو ما سيأتي الحديث عنه في الفصل الموالي .

الفصل الثاني

(آليات السياق الدلالي)

- توطئة
- آليات السياق الدلالية :
 - سياق الاشتراك
 - سياق التضاد
 - سياق المعرب
 - سياق التقابل الدلالي
 - سياق التضمن
 - سياق اللزوم أو الاقتضاء
 - السياق الإحالي
 - سياق الإجمال و التفصيل
 - سياق تخصيص العموم
 - سياق الترجيح
 - سياق التناسب

في الحقيقة عندما نتناول السياقات الدلالية ، فإننا لا نقصد أن نتناول ما يسمى بالمجاز المنافي للحقائق على الإطلاق في القول ، مع أن الدراسة تسعى إلى تصنيف ما وجد من كل أنواع الآليات، سواء كانت دلالية أو غيرها ، فالدارس للآليات البلاغية في نماذجها قد يلحظ وجود تلك الآليات في كلام الله سبحانه و تعالى ، و لكن السؤال الذي يطرح نفسه و لا يعيننا جوابه في هذا البحث هو: هل يقصد الله من حيث المعنى و التدليل ذلك المعنى الحرفي الموجود في النص المقدس ؟ أم يقصد غيره من المعاني ؟ و نجد الشنقيطي يقول في كتابه (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز):

" أما بعد : فإننا لما رأينا جل أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن ، و لم ينتبهوا ، لأن هذا المنزل للتعبد و الإعجاز كله حقائق و ليس فيه مجاز ، و أن القول فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال و الجلال ، و أن نفي ما ثبت في كتاب أو سنة لا شك في أنه محال "267 ، غير أن بحثنا لا يعنيه أن يناقش هذا الأمر من وجود المجاز أو من عدمه في القرآن ، و لكن يهيمه في المقام الأول الآليات التي ارتضاها المفسر في بيانه لمعاني القرآن، و يكفي أن نقول أن المجاز الذي يقصده الشنقيطي هو المجاز المنافي للحقائق الواقعية ، و ليس المجاز المقابل لحرفية اللغة، لأن في تفسيره ما يدل على استعماله للمجاز في إطاره البلاغي و اللغوي ، إذا نحن مع المجاز الذي يثبت الحقائق و ليس مع المجاز الذي ينفي الحقائق، و الشنقيطي نفسه لا ينفي، بل يطلق جملة: (و هذا أسلوب من أساليب العربية)، عندما يواجه نوعا من أنواع البيان البلاغي، و نجد أن للسياق الدلالي أنواع كثيرة من الآليات، و لا بأس أن نورد بعض ما رصدته الملاحظة فيما يلي .

2- آليات السياق الدلالية :

قبل الشروع في مسألة الوقوف على الآليات التي استعملها الشنقيطي في بيانه لدلالات القرآن، لابد أن نعرف علم الدلالة باعتباره الرافد المنهجي لهذه المقاربة . فعلم الدلالة " يعرفه بعضهم بأنه (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى)."268

267 محمد الأمين الشنقيطي- ملحق أضواء البيان (كتاب منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز)، ص: 185 .

268 أحمد مختار عمر- علم الدلالة، عالم الكتب، ط 06، القاهرة، 2006، ص: 11 .

و لكن عندما نحاول أن نصنف سياقات القول في ماهو دلالي، فإننا نجد كما كبيرا من هذه السياقات مندرجة في فحوى الخطاب، ذلك لأن "فهم النص و إنتاجه يعني الإحاطة بالمحتوى الدلالي الذي يستدعي معرفة بالبنية المفهومية و اللسانية لموضوع النص و الوقوف على ماجريات مقامه، و كل ذلك إدراكاً منا لصعوبة اعتبار النص وعاءا للمعنى دون مراعاة للمقاييس و المعايير المقامية و المعرفية المحددة لمحموله الإخباري"²⁶⁹، و لذلك لا بد من الرجوع إلى التوجيهات القرآنية و التي تعرف بمعالها المعاني و المقاصد، عن طريق إجراء المفسر جملة من المفاهيم، تساعد في استقصاء المنشود من ثنايا الخطاب، و عن طريق "التعامل أولاً مع ما هو واضح، ثم يتدرج نحو الأشكال الثانوية أو الهامشية أو التي لا تظهر طبيعتها و هويتها بوضوح، ثم يبدأ التفكير أولاً في الكليات ثم ينتقل بعدها إلى الجزئيات، يبدأ في الأصول ثم في الفروع. و هكذا"²⁷⁰، غير أن البحث في الدلالة ليس بالأمر الهين، لأن المعنى منفلت من إمكان التحديد، لا يدرك جوهره إلا عرضاً و دليله التعدد لدى المتلقين، ذلك أن مراجعة الكلام تتم "بناء على علاقات متينة بين البنيات اللسانية و البنيات المنطقية الثابوة في الكلام، لأن الكلام ذاته هو الرحم التي تتخلق فيه اللغة وفق كفايات لسانية أوضحتها لسانيات شومسكي من قبل، و طفقت العلوم المعرفية تهتدي إلى القوانين التي تتحكم فيها"²⁷¹. لذلك فهو يطرح صعوبات جمة في استكناه بعضه، في أن "تحديد دلالة اللفظ في النص بالنسبة للقرآن الكريم لا تكفي و لو وضعت إليها العناصر السياقية التي اشتمل عليها ذلك النص، و لهذا يتطلب البحث في ضبط معنى اللفظ في نص ما أن يعرض على نص آخر أو مجموعة من النصوص الدينية أي الكتاب و السنة"²⁷²، و نحن نرى أن أول من تفتن إلى قضية الحمل على المعنى فيقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، و اختلاف اللفظين والمعنى واحد، و اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين. و سترى ذلك إن شاء الله تعالى . فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس و ذهب. و اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب و انطلق. و اتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموحدة، و وجدت إذا أردت وجدان الضالة. و أشباه هذا كثير"²⁷³، ف"حضور المستوى الدلالي و تداعيه في أي تركيب لغوي لا يردو لا يدحض، و لا يمكن لنا أن نستدل بالعربية كلها، و هي غير منتهية في جملها، حتى نثبت ما ندعيه من الأهمية الدلالية التي لا يفسر المستوى النحوي بدونها، حتى لو تعلق الأمر بفارق لهجي بين قبيلتين فإن لكل أداء دواعيه الدلالية"²⁷⁴، و الذي يمكن أن يحصل، هو أن نتفق في حديثنا عن المعنى بطريقة علمية،

²⁶⁹ الأثر مجلة جامعية محكمة- نحو مقارنة في وصف دلالة النص، د.لبوخ بوجلين، عدد 08، جامعة ورقلة، 2009 .

²⁷⁰ عبد الله العشي- زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة و النشر، درط، الجزائر، 2005، ص: 07 .

²⁷¹ أحمد يوسف- سيميائيات التواصل و فعالية الحوار، مختبر السيميائيات و تحليل الخطاب، ط 01، وهران، 2004، ص: 58 .

²⁷² أحمد عرابي- أثر التخرجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2010، ص: 206 .

²⁷³ أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه- الكتاب ج1، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، درط، مصر، 1975، ص: 24 .

²⁷⁴ عبد الجليل مرتاض- في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 02، الجزائر، 2007، ص: 128 .

بواسطة المفاهيم و الآليات و من هذا المنحى كانت مقاربتنا تسعى إلى إماطة اللثام، عن ما أراد خطاب التفسير أن يبلغه من آليات .

و بما أن البنيوية أو البنيوية التوليدية (شومسكي) لا تكفي لتحقيق المبتغى المأمول من النص، لذلك "جاء عمل كاتز و فودور ... و كان هدفهما إدماج المكون الدلالي.. و ذلك بقصد تفسير الذات المتكلمة من عملية بث و فهم جمل جديدة ..

و تتكون النظرية الدلالية، عند كاتز و فودور، من قسمين: المعجم و قواعد الإسقاط .

1-المعجم: و وظيفته أن يربط كل وحدة معجمية (عناصر الوصف البنيوي) بمجموعة متناهية من الفروع تناسب دلالات هذه الوحدة،

2-قواعد الإسقاط: و دورها احتساب دلالة (أو دلالات) الجملة (أو الجمل) على أساس الأخبار التي يمدنا بها المعجم و الوصف البنيوي للجمل²⁷⁵.

لذلك فإن المحمول المنهجي لهذه المقاربة لا يخرج في بعض أطره عن قواعد كاتز و فودور، و لنبدأ من سياق الاشتراك اللفظي:

• سياق الاشتراك :

الاشتراك هو اشتراك اللفظ الواحد، في أكثر من معنى، ف"إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقاً تاماً فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي تقع فيه"²⁷⁶ أي هو "اتفاق في اللفظ مشافهة، أو كتابة، أو في كليهما معاً، فيحصل التطابق، وهو أكثر ما ينجم نتيجة الاقتراض من اللغات، أو التطور الصوتي... فكلمة (السُّور) ذات أصل عربي وهي (الحائط) ودخيلة من الفارسية وتدل على (الضيافة) بتقدم الطعام ... فكلمة (جون) التي تطلق في العربية على الأبيض والأسود، أصلها في اللغات الفارسية والعبرية والسريانية على مطلق اللون سواء أكان أبيض أم أسود، فحين نقلت إلى العربية استعملت بمعنى اللون الأبيض وبمعنى اللون الأسود، ومثلها (جلل) التي أخذت من العبرية فصارت إلى عظيم وحقير كما استعملت في

²⁷⁵ المبلود عثمانى- الشعرية التوليدية، شركة النشر و التوزيع المدارس، ط 01، المغرب، 2000، ص: 75 و 76 .

²⁷⁶ ستيفن أولمان- دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، 1975، ص: 60 .

أصلها"²⁷⁷. و على هذا الأساس فقد "ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تعالج ظاهرة المشترك اللفظي و هو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى .

أ- فمنه ما اتجه إلى دراسته في القرآن الكريم .

ب- و منه ما اتجه إلى دراسته في الحديث النبوي الشريف .

ج- و منه ما اتجه إلى دراسته في اللغة العربية ككل"²⁷⁸

و يعتبر كتاب المبرد (ت 285 هـ) المسمى (كتاب ما اتفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد) من بواكير الكتب التي عاجلت قضية المشترك اللفظي في القرآن، و لذلك فهو من الآليات الدلالية، التي استنبطها النقاد القدامى و أثارها الغريبيون في بحوثهم المعاصرة .

- في قوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228] .

يقول الشنقيطي : " وَقَدْ اختلفَ لُعماءُ فِي المُرَادِ بِالقُرُوءِ فِي هذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ ، هَلْ هُوَ الأَطْهَارُ أَوْ الحَيضَاتُ ؟ وَسَبَبُ الخِلافِ اشْتِراكُ القُرُوءِ بَيْنَ الطَّهْرِ وَالْحَيْضِ كما ذَكَرْنَا ... أَمَّا التَّنِينُ قالُوا القُرُوءُ الحَيضَاتُ ، فأَحَدُ جُوابِ كَلِمَةِ قُرُوءٍ مِنْها قولُهُ مَأَى : كَوَاللَّائِيءِ سِنَّ مِّنَ الحَيْضِ مِنْ سائِلِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْ مَنِّي ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِيءُ لَمْ يَحْضَنْ { [الطلاق: 4] قالُوا : فَتَرْتَبِلُ بِلَدَّةٍ بِالأَشْهُرِ لَمْ يَحْضَنْ عَدَمَ الحَيْضِ يَمْلَأُ عَلَى أَنَّ أَطْلَعَ بَدَّةً بِالحَيْضِ ، والأَشْهُرُ بَلَلٌ مِنَ الحَيضَاتِ عَدَمَ لَمَعِها ، وَأَسْتَلِدُوا أَي ضَبُّوا بِه : { وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكُنَّ مِنْ ما خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحامِهِنَّ } ... وَأَمَّا التَّنِينُ قالُوا : القُرُوءُ الأَطْهَارُ ، فأَحَدُ جُوابِ بِقولِهِ تَعَالَى : { فَطَلَّقْهُنَّ عِدَّتَهُنَّ } [الطلاق: 1] قالُوا : عِدَّتُهُنَّ لَمَامٌ وَرِطالَةٌ مَن لَهَا ، الطَّهْرُ لا الحَيْضُ كما هُوَ صَرِيحُ الآيَةِ ، وَيَزِيدُ إِيضاحاً قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَلِيشِ بْنِ عَمْرِو المُتَّفِقِ عَلَيْهِ : «فَإِنْ بَدَأَ أَنْ يَطْلُقَها فَلْيَطْلُقْها طاهراً قَبْلَ أَنْ يَمْسَها لِمَا لَدَّةٌ كما أَمَرَ اللهُ» قالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَرَّحَ فِي هذِهِ الحَلِيشِ المُتَّفِقِ عَلَيْهِ ، بِأَنَّ الطَّهْرَ هُوَ لَدَّةٌ"²⁷⁹ .

فالمعنى الذي خرج به الشنقيطي نتيجة مقابله بين المعاني التي اشتركت في لفظ قروء هو أنها خرجت إلى معنى الطهر و الذي يعني العدة، بدلالة سياق القرآن و الحديث النبوي، و قد اختلف أهل العلم -بحسب البغوي- "في القروء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس و به قال الحسن ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي أ واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمستحاضة (دعي الصلاة أيام أقرائك) وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها. وذهب جماعة إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة

²⁷⁷ مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية- الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض . هند عكرمة، عدد1، سوريا، 2006 .

²⁷⁸ أحمد مختار عمر- علم الدلالة، ص: 147 .

²⁷⁹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج1، ص: 132 و 133 .

والزهري و به قال ربيعة ومالك والشافعي ... فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لأنه يحبس الدم ويجمعه²⁸⁰، وكذلك من جهة أخرى فإن في تعدد المعنى بالنسبة للمبنى الصرفي الواحد دليلاً قوياً على جدوى مراعاة السياق و ما يحمله من قرائن لفظية أو معنوية أو حالية للوقوف على الدلالة الدقيقة، فإذا كان الفعل (تسمع) عند إطلاقه يحتمل أن يكون للمخاطب المذكر (أنت) و للغائب المؤنث (هي)، فإنه يتحدد و يختص بأحدهما في السياق²⁸¹ لذلك فالراجح هو ما ذهب إليه العلماء .

-و في قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: 8] .

يقول الشنقيطي : " وَأَحْكَمُ مَا كَرِهَ قِيلَ أَفْعَلُ تَفْضِيلٌ مِّنَ الْحُكْمِ أَي : أَعْلَلُ مَا كَرِهَ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَلَا ظَلُمَ رَبُّكَ أَحَلًّا } [الكهف: 49] .

وقيل : من الحكمة ، أي : في الصُّعِّ والإِتْقَانِ والخَلْقِ ، فِي كَوْنِ اللَّفْظِ مُشْتَرَكًا ، وَلَا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُعْنَيْنِ مَعًا ، وَإِنْ كَانَ هُوَ فِي الْحُكْمِ أَظْهَرَ ؛ لِأَنَّ الْحَكِيمَ مِنَ الْحِكْمَةِ يُجْمَعُ عَلَى الْحُكَمَاءِ . فَعَلَى الْقَوْلِ بِالْأَمْرَيْنِ : يَكُونُ مِنْ أَسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرِكِ فِي مَعْنِيهِ مَعًا ، وَهُوَ هَذَا لَا تَعَاضُلَ لِهَاتَيْنِ لِمَا لَزِمَ ؛ لِأَنَّ الْحَكِيمَ لَا بُدَّ أَنْ يَعْطَلَ ، وَالْعَاظِلُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا يَضَعُ الْأَمْرَ فِي مَوَاضِعِهَا . وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى هَذَا الْمَعْنَى فِي عِدَّةٍ مِّمَّا كَوَّنَ تَعَالَى : { لِمَنْ لَمْ يَلْمِ يَلْمُ الْآيَاتِ وَمَنْ لَمْ يَلْمِ يَلْمُ الْآيَاتِ وَمَنْ لَمْ يَلْمِ يَلْمُ الْآيَاتِ وَمَنْ لَمْ يَلْمِ يَلْمُ الْآيَاتِ } كَالْمُفْسِلِينَ فِي الْأَرْضِ لِمَنْ لَمْ يَلْمِ يَلْمُ الْآيَاتِ وَمَنْ لَمْ يَلْمِ يَلْمُ الْآيَاتِ } [ص: 28] ، الْجَوَابُ : لَا وَقَوْلُهُ : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَوْا السِّيَئَاتِ أَنْ نَبْطِئَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الجاثية: 21] ، فِي قَوْلِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ؛ إِنَّ لِعَمِّ عَدَالَتِهِمْ فِي الْحُكْمِ وَبِطَرَفِهِ عَنِ الْحِكْمَةِ²⁸² .

فهنا نلاحظ أيضا أن السياق القرآني فرض الاشتراك في لفظ أحكم، فهي تارة صيغة تفضيل من الحكم، و هي تارة أخرى من الحكمة أي الصنع و الإِتْقَانِ و الخلق، و الشنقيطي لا يستبعد المعنيين معاً فهما لأي منهما جائز و مشروع .

و نلاحظ كذلك بأن الشنقيطي لم يستمد المشترك في معناه العام، و إنما استمده من لغة الاصطلاح الإلهي، فقد بين لنا المشترك في السياق القرآني، سياقاً آخر هو سياق التشابه، إذ أن بنية اللفظ المفرد في تعدده على المعنى سياقياً، أثر على معنى الآية باعتبارها نصاً دالاً .

و مراعاة دلالة البنية اللفظية من حيث أبعاد الاشتراك يطرح عديد الانشغالات بشأن القاعدة اللغوية الأولى التي هي الكلمات و دورها في التذليل سياقياً، و هذه الانشغالات مبررة كونها تقيس الأمر بمقياس من الأجدر بحمل المعنى هل هو اللفظ أم العلاقة ؟ لذلك فإن توليد المعنى من النصوص عنصر

²⁸⁰ أبو محمد الحسين البغوي - معالم التنزيل ج1، ص: 266 و 267 .

²⁸¹ سليمان بن علي - التفسير النحوي للقرآن الكريم عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2007-2008، ص: 106 .

²⁸² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص: 146 .

تساهم فيه قيم كثيرة تتعلق بالعلاقات أيضاً، في إثباتها للأطر الصحيحة في سياق اللفظ، و التي ليست تتعلق بالبنية التركيبية فقط و إنما أمرها يتعلق بالبنية الإفرادية و محورها العمودي . فالتفكير على أساس موقعية المشترك اللفظي باعتبار مساهمته في بناء نص متعدد دلاليّاً يجعلنا نساارع إلى إلقاء مزيداً من الضوء على خامات اللغة التي تباشر عملها بمجرد انتظام العلاقات .

فتولد لدينا نصوص تشارك في بلورة المعاني المقصودة في بنية لفظية واحدة، ذلك أن النص المولد يختلف "النص الظاهر بالإمكانات التعبيرية و قواعد بنائها (الاستراتيجيات التعبيرية) لكل منها، و الأول هو نظرياً لانهاضي أما الثاني فهو محدود . إن النص المولد هو سيرورة توليد لانهاضي . هو تبديل و تنوع للعناصر الخلافية الموجودة قبل المعنى"²⁸³، و هناك سياق آخر يتصل بدلالة اللفظ، و هو سياق التضاد فماذا بشأنه؟

● سياق التضاد :

التضاد أيضاً يعد من آليات الدلالة، و هو إطلاق اللفظ على المعنى و نقيضه، و "لا نعني بالأضداد ما يعنيه علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقاً و يتضادان معنى، كالقصر في مقابل الطويل و الحميل في مقابل القبيح، و إنما نعني بها مفهوماها القديم و هو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين"²⁸⁴، وقد تباينت آراء اللغويين بين مثبت للتضاد ومنكر، وجامع لأسبابه وألفاظه و مفنّد، و قد بحث النقاد العرب التضاد من أوجه عديدة، من جهة اللفظ و أفاضوا الحديث حوله، و من جهة التضاد في بنية العبارة و أسهبوا في القول فيه، و الشنقيطي يتعد عن هذا النمط كثيراً، و ما حصلنا عليه هو شاهد واحد، يدرجه الشنقيطي في السياق القرآني .

- في قوله تعالى : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 28].

يقول الشنقيطي : " لفظةُ : «بلى» لا تأتي في اللغة العويبة إلا لأحد معنيين ، لأنّ الثالث لهما : الأول : أن تأتي لإبطال نفي سابق في الكلام ، فهي نقيضة «لا» ؛ لأنّ «لا» لنفي لثبوتات ، و «بلى» ، لنفي النفي ؛ كقولنا ههنا : { ما كنا نعمل من سوء } ، فهذا النفي نفيه لفظة بـ «بلى» ، أي : كنتم تعملون السوء من الكفر والمعاصي ، وكقولنا ههنا : { كفوا أن لربم العنين كفوا أن لربم بغوا قالنا لمى وبي لت بغن } [التغابن: 7] ، وكقولنا ههنا : { وقال العنين كفوا ثلاثين ما الساعة قال لمى وبيات ينكم } [سبأ: 3] ...

الثاني : أن تكون جواباً لما لانت فهمم فترن بنفي خاصة ؛ كقولنا ههنا : { ألسنت بربكم قالوا لمى } [الأعراف: 172] ، وكقولنا ههنا : { أوليس الاني خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم لمى }

²⁸³ حسين خمري - نظرية النص، ص: 245 .

²⁸⁴ أحمد مختار عمر - علم الدلالة، ص: 191 .

[يس:81] ، وَقَوْلِهِ : { أَوْ لَمْ تُكَلِّمُوا بِكُمْ رَسُولَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَمْ يَكُنْ } [غافر:50] ، وَهَذَا إِذْ ضَاكَّ بِيرٌ فِي الْقُرْآنِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ²⁸⁵ .

فالتضاد عند الشنقيطي، و إن لم يرد كثيراً إلا في مستويات لغوية ضيقة، يساهم في بناء الفهم بصورة منطقية أكثر، لأن الأمور عادة لا تفهم إلا بأضدادها، و أول قاعدة لسانية و سيميولوجية هي قاعدة الاختلاف (أو ما يسمى بالقيم الخلافية)²⁸⁶ ، فمثلاً معرفتنا للضوء الأخضر في إشارات المرور باعتباره دالا على أن المرور مسموح لا يتعين لنا فهمه إلا كونه مختلفاً من حيث اللون عن اللون البرتقالي أو اللون الأحمر، و هكذا في كل الأنظمة التواصلية الأخرى .

لكن الأمر هنا يتصل بلغة التواصل البشري لأن المخالفة فيها مظهر من مظاهر استخدام القيم الخلافية يجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة .. و انظر إلى الجملة الآتية:

نحن العربُ نكرم الضيف و نغيث الملهوف .

نحن العربُ نكرم الضيف و نغيث الملهوف .

فالعرب في الجملة الأولى خبر و ما بعده مستأنف و العرب في الجملة الثانية مختص و ما بعده خبر . و لو اتحد المعنى لاتحد المبنى فأصبحت الحركة واحدة و لكن إرادة المخالفة بينهما كانت قرينة معنوية²⁸⁷ ، ذلك أن "تحليل مبنى الجملة في اللغة العربية يبدأ بالمعنى النحوي الوظيفي فيوضح العلاقة بين مبنى الكلمة، و معناها النحوي، ثم ينتقل التحليل إلى المعنى المعجمي للكلمة في اللغة، و ذلك في إطار نظرية السياق، للوصول إلى المعنى الدلالي، فإذا طرأ تعارض لجأ النحاة إلى الحمل على المعنى"²⁸⁸ ، فورود (بلى) في الآية القرآنية أعلاه أسهم في نشوء التضاد على السياق اللغوي، فتارة كان المعنى النحوي : إبطال نفي سابق بدليل الآية نفسها و آيات أخرى لها نفس السياق آزرت الجانب الدلالي للآية، و تارة هي جواب لاستفهام بنفي بدليل الآية نفسها أيضاً و آيات أخرى عضدت هذا المعنى المذهب إليه .

و هناك سياق آخر مهم على مستوى القاعدي للدلالات، و هو جانب يتصل بألفاظ اللغة، بما يسمى في علم الدلالة بالمعرب، فماذا عن هذا الجانب؟

• سياق المعرب :

المعرب هو اللفظ العربي كتابة، و الأجنبي صوتاً، إذ هو لفظ عربي من اللغة الأجنبية، مثل لفظ تلفزيون، و كابل .. الخ، و هو ما يدخل في باب الاقتراض اللغوي في اللسانيات، و علاقته بالدلالة في

²⁸⁵ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص : 177 .

²⁸⁶ تمام حسان - اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 200 .

²⁸⁷ المرجع نفسه، ص: 200 .

²⁸⁸ خالد إسماعيل حسان - في المعنى النحوي و المعنى الدلالي، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2009، ص: 126 .

أنه سد فجوة حدثت، جراء وجود شيء لم يوجد في السابق، مثل لفظ جورب، فقد كانت العرب تسم ما دون الحذاء بالخف، يقولون : عاد بخفي حنين، و لما ظهر الجورب من بلاد فارس، و اسمه بالفارسية كورب، استعاره العرب . و هناك الكثير من الألفاظ حالها يشبه ما ذكرنا، و "هناك أنماط مختلفة لميكانيكية الاقتراض اللغوي، و الأنماط الأكثر أهمية هي:

1- اقتباس الكلمة من اللغة المانحة مع تعديلات تتوافق مع الأنظمة الفونولوجية و الإملائية و الصرفية للغة المتلقية...

2- الاقتراض بالترجمة أو ال calque ...

3- التهجين حيث تعيد اللغة المتلقية إنتاج مفهوم معجم للغة المانحة بضم عنصر محلي إلى آخر أجنبي..²⁸⁹، و لكن ما كان قد وجد في القرآن الكريم من صنف هذه الألفاظ له خصائصه بينها الشنقيطي من خلال سياق القرآن الكريم و يوردها مفصلة، على نحو المثال التالي :

- في قوله تعالى : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81].

يقول الشنقيطي : " وَقَالَ بِحُضْرٍ لِمَاءٍ : جَهَنَّمَ فَارِسِيٌّ هَوْبٌ وَالْأَصْلُ كِهَامٌ « بِيْهُوسَانِهِمُ » النَّارُ ، فَوَدَّ بِيْهُ الْعُرْوَابُ لَدُوا الْكَافَ جِيْمًا " ²⁹⁰.

فكلمة جهنم أصلها فارسي و هو جهنم و عبرت أي أدخلت في الاستعمال العربي، و قد وردت 72 مرة في القرآن الكريم، و هذه الكلمة وجدت قبل نزول القرآن، مما يدل على أن العرب استعاروا ل لغتهم أبنية لفظية معينة لحاجتهم للتعبير بها، و يدل أيضاً على أن العرب كانت لديهم قابلية الثقافة اللغوية رغم ما يوجد لديهم من ذخيرة لغوية كبيرة تسد ذلك النقص، و ما أصل هذه الكلمة أكثر هو القرآن الكريم الذي أورد هذه اللفظة و أورد ما يشاكلها مثل كلمة: النار و السعير و الجحيم.. الخ، حتى يتنوع المعنى بحسب مقتضيات الأسيقة المختلفة، هذا و هناك من ينفي وجود ترادف في اللغة مثل أبو هلال العسكري الذي يقول في الفرق بين السعير و الجحيم و الحريق و النار: "أن السعير هو النار الملتهبة الحارقة أعني أنها تسمى حريقاً في حال إحراقها للإحراق يقال في العود نار و في الحجر نار ولا يقال فيه سعير، و الحريق النار الملتهبة شيئاً وإهلاكها له، ولهذا يقال وقع الحريق في موضع كذا ولا يقال وقع السعير فلا يقتضي قولك السعير ما يقتضيه الحريق ولهذا يقال فلان مسعر حرب كأنه يشعلها ويلهبها ولا يقال محرق، و الجحيم نار على نار و جمر على جمر، و جاحمة شدة تلهبه و جاحم الحرب أشد موضع فيها و يقال لعين الأسد جحمة لشدة توقدها"²⁹¹، إذاً إذا أخذنا بهذا الرأي فإن الدلالة تختلف حتى على مستوى الكلمات المعجمية، و يصبح من غير اليسير أن نشرح بعضها لهذه الضرورة .

²⁸⁹ فلوريان كولماس - اللغة و الاقتصاد، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، درط، الكويت، 2000، ص: 332 .

²⁹⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج2، ص : 311 .

²⁹¹ أبو هلال العسكري - الفروق اللغوية ج1، ص: 278

• التقابل الدلالي :

إن الدلالة لا تقع دون إعمال الذهن في مقتضيات الكلام، و في حيثيات السياق، و ذلك حتى تجتمع للمؤول علاقات من شأنها صنع الفهم لديه، و"التأويل التقابلي إجراء قرائي في تمثل المعاني، و إدراك علاقات فيما بينها، بما يسمح بأحسن فهم. و يتم العمل به بين بنيتين نصيتين متماثلتين أو متخالفتين دلاليا، و هو أوسع و أشمل من التضاد و المقابلة و الترادف المعروفة في مجال البلاغة.

من التقابل ما هو ظاهر في البناء اللفظي، و منه المعنوي الذي تبنيه المشاركة التأويلية. و بما أنه من العناصر الظاهرة أو الخفية التي تقوم عليها الظواهر الكونية و النصية، فإن استحضاره و العمل بمستوياته يعد مطلبا ملحا، إذ هو أداة تمكن من إدراك الأشياء اعتمادا على مقابلاتها الشبيهة أو النقيضة أو الموازية أو الخلافية"²⁹²، و من أهميته يقول فيه الزركشي : "و اعلم أن في تقابل المعاني بابا عظيما يحتاج إلى فضل تأمل"²⁹³، و لما كان هكذا الأمر، استلزم الأمر أن نحدد الوجهة في مدونة الشنقيطي، بمصطلحين هما: الموافقة و المخالفة، و المقصود بالأول موافقة المعاني أو الألفاظ لمعاني و ألفاظ تشابهها، و تناسبها، و نقول هنا بأن تفسير الشنقيطي ينبنى على هذا المقياس في غالبه الأعم، لأنه يفسر القرآن بالقرآن، و المقصود بالثاني مفهوم المخالفة الذي يعرف بدليل الخطاب، فلا تعرف القضية إلا بما يخالفها في الإيراد، و المفهومان يدخلان في إطار عموم المفهوم، من قواعد أصول الفقه، و لا بأس بالأخذ به، و للشنقيطي صولات و جولات في هذا الشأن .

الموافقة :

و هو مقابلة الكلام أو اللفظ لما يدل عليه من معنى ، كدلالة القلم على ما يوضع بين الأصابع ليكتب به ، و يفسر الشنقيطي الآية ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾، بسياق ﴿من الفجر﴾ بأن "العرب تسمي ضوء الصبح خيطا ، و ظلام الليل المختلط به خيطا، و منه قول أبي دؤاد الإيادي :

فلما أضاءت لنا سدفة و لاح من الصبح خيط أنارا

و قول الآخر :

²⁹² محمد بازي- التأويلية العربية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص: 221 و 222 .

²⁹³ بدر الدين الزركشي- البرهان في علوم القرآن ج3، تح:مصطفى عبدالقادر، دار الفكر، درط، بيروت، 1988، ص: 519،

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق و الخيط الأسود جنح الليل مكتوم "294 .

الآية ﴿و حفظناها من كل شيطان رجيم﴾ [الحجر:17] يقول الشنقيطي : " فيكن مدلول هذه الآية بدلالة المطابقة {وَخِطْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [الحجر : 17] أي وحرسناها أي السماء من كل عات متمرّد .

ولا مفهوم مخالفة لقوله {رَجِيمٍ} وقوله {مَّارِدٍ} [الصفات : 7] لأن مثل ذلك من الصفات الكاشفة فكل شيطان يوصف بأنه رجيم وبأنه مارد وإن كان بعضهم أقوى تمرداً من بعض وما حرسه الله جل وعلا من كل عات متمرّد لا شك أنه لا يصل إليه عات متمرّد كائناً من كان {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك:4] "295 ، و المطابقة جزء من التقابل الدلالي .

-و في قوله : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:6] .

يقول الشنقيطي : "قَدِيدٌ قَالٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَبِيرَةِ : كَيْفَ يُقْرُونَ بِأَنَّهُ أُنْزِلَ إِلَيْهِ الذِّكْرُ نَسْبُ وَنَهْ لِمَجْنُونٍ مَعْلَمٌ لَكَ؟ وَالْجَوَابُ أَنَّ قَوْلَهُمْ : (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) مَعْنَى فِي زَعْمِهِ تَهَكُّمًا مِنْهُمْ ، وَيُضْحِكُ هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ سَلَامٌ مِنَ الْكُفَّارِ مُتَهَكِّمِينَ بِالرُّسُلِ - عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَفْرَاءٌ مَعَ مُوسَى قَالَ : {إِنَّ رُسُلَكُمْ الْبُتُّونَ} [الشعراء:27]"296 .

يمكن أن نسّم هذا بسياق المطابقة في المعنى أي أن هناك معنى يوافق معنى آخر موافقة كبيرة، فالمعنى الأول للآية الأولى : أن الكفار يتهمون النبي محمد بأنه مجنون، يماثل تقريباً المعنى الثاني الآية الثانية و التي معناها: أن الكفار يخاطبون المؤمنين بأن رسولهم الذي أرسل إليهم لمجنون. أين الاختلاف ؟ الاختلاف يظهر فقط في كون أن الخطاب في مرحلته الأولى موجه إلى الرسول محمد مباشرة، في حين أن الخطاب في الآية الثانية موجه للذين يتبعون محمداً .

فالمعنى الكلي المستنتج : أن الكفار حاولوا بناء إستراتيجية نفسية في بادئ الأمر بأن يزعموا إيمان محمد محاولين دفعه للاختيار النفسي و الجنون، و لكنهم يأسوا من ذلك بعد أن صلّهم محمد بإيمانه القوي المعزز من لدن الله عز و جل و وقوفه المستمر في وجوههم . لذلك اتجهوا صوب من اتبعه من المؤمنين كي يزعموا الفتنة و البلبلة بمحاولة اتهام النبي الأكرم، الذين هم يتبعونه باعتباره قدوتهم العظيمة، بالجنون . و لكن هيهات فإن كل المحاولات باءت بالفشل .

294 محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج1، ص: 114 .

295 المرجع نفسه ج3، ص : 91 .

296 المرجع نفسه ج3، ص : 80 .

-و في قوله تعالى أيضا : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:110] . يقول الشنقيطي فيها : "هَذَا الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ بِيَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ أَنَّهُ يُقُولُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ بَشَرٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِه جَاءَ مِثْلَهُ عَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَمَّا تَلَّمَّ سُلَيْمٌ إِنْ لَحْنُ الْإِلَهِ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية: إبراهيم: 11] ، فَكَوْنُ الرَّسُولِ مِثْلَ الْبَشَرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَوَّلَ الْجَمِيعِ وَعُدَّتُهُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنَّهُمْ يَجْرِي عَلَيْهِمْ عِلْمٌ بِعِلْمِ الْأَعْرَاضِ بِشَرِيَّةٍ لِأَنَّ بِنِي تَفْضِيلَهُمْ لِمَنْ سَاءَ رِ الْبَشَرِ بِمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ وَجْهِهِ وَاصْطِفَاءِهِ وَتَفْضِيلِهِ كَمَا هُوَ ضُورِيٌّ" 297 .

فكلمة بشر معناها من حيث اللغة: بشين معجمة محرّكة في الأصل: الإنسان لظهور بشرته وهي ظاهر الجلد من الشعر، بخلاف سائر الحيوانات لأنها مستترة الجلد بالشعر والصوف والوبر.

وسمي به صلى الله عليه وسلم لأنه أعظم البشر وأجلهم كما سمي بالناس من تسمية الخاص باسم العام قال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم) نبه تعالى بذلك على أن الناس متساوون في البشرية غير متفاضلين في الإنسانية، وإنما يتفاضلون بما يتخصصون به من المعارف الجليلة، ولذا قال بعده (يوحى إلي) تنبيها على الجهة التي حصل بها الفضل عليهم، أي أني تميزت عليكم وخصصت من بينكم بالوحي والرسالة" 298 ، لذلك ينبغي أن يكون المبعوث إلى البشر من البشر أنفسهم "فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك و مخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته، وقال تعالى (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئننين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه و فواه على مقاومته كالأنبياء والرسول" 299

لذلك جاءت أغلب الآيات متوافقة في معنى أن الرسول ماهو إلا بشر مثل جميع البشر، و الدليل ما أورده الشنقيطي من الآيات القرآنية التي تساند و تعضد هذه الفكرة بصورة جلية .

-و في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:6] .

يقول الشنقيطي : " قَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَبِيٍّ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكِرَامِ وَالْجُودِ ، أَقْتُلُوا مَا دَ دُ ، وَهُوَ دَعْوُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ ، انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَمَا ذَكَرَهُ وَاضِحٌ .

297 السابق ج4، ص: 142 .

298 محمد بن يوسف الصالحى الشامي - سبل الهدى و الرشاد ج1، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1993، ص: 440 .

299 أبو الفضل عياض اليحصبي - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج2، دار الفكر، درط، بيروت، 1988، ص: 95 .

وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى شِدَّةِ بَرِّهِ تَعَالَى؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَشَاءُوا غُفْرَتِي غُفْرَتِي مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: 38]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنِّي لَغَمَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [الآية 82] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ 300 .

و نفس ما قد قلناه قبل قليل ينسحب أيضاً على ما سنقول في كون الله غفور رحيم، لأن القرآن لا يعارض بعضه بعضاً، إنما جاء باعتباره بنية دلالية منتظمة، يقوم بعضه ببعض، كما ينوب الجزء منه عن الكل، و الكل عن الجزء .

و هذا الانتظام العجيب لا يضاهيه أي نظام آخر، فلفظ العموم في الآية الأولى يبدأ في التمثيل في الآية الثانية و في الآية الثالثة، إذ أن هنا نوعاً من الاشتراط جاء بصيغة الجملة الشرطية في الآية الثانية على نحو: المغفرة كائنة و حاصلة في حال الإتهاء من الكفر مستقبلاً، هذا أولاً و ثانياً في الآية الثالثة : جاء التأكيد مزدوجاً في الأدوات (إن،ل)، و أعيد التأكيد بالصيغة الصرفية، و الجملة لم تكن في الاستقبال و إنما في الماضي و كأن المغفرة قد حصلت فعلاً .

و لكن في الجملة الثانية الاشتراط حاصل بالانتهاء، و لكن في الجملة على ما فيها من الاشتراط و لكن للتأكيد فيها ظروف و شروط يمكن أن نحصرها بين قوسين (لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)، فالأمر هنا مشروط بالتوبة أولاً، و الإيمان ثانياً، و العمل الصالح ثالثاً .

هذا في الاتفاق، و هو كثير جداً، و يرجع هذا إلى طبيعة تفسير الشنقيطي بالذات، لأنه تفسير يبحث في السياقات المتشاكلة، و لكن ماذا عن التقابل المخالف ؟

المخالفة :

مفهوم المخالفة المقصود به إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت عنه، أي هو الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم المذكور في المنطوق عما عداه. وسمي مفهوم مخالفة، لأن الحكم الذي يثبت للمسكوت نقيض للحكم المنطوق به مختلف عنه، و "أما مفهوم المخالفة فهو على أقسام:

منها: مفهوم الصفة وهو أن يقتزن بعام صفة حاضراً كقوله صلى الله عليه وسلم: (في الغنم في سائمتها الزكاة) .. ومنها: مفهوم الشرط نحو {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا} [الطلاق: 6] وهو أقوى من الصفة ..
منها: مفهوم الغاية نحو قوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَدِّهٍ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرًا} [البقرة: 230] أقوى من الشرط .. ومنها: مفهوم العد الخاص كثمانين جلدة .. ومنها: مفهوم اللقب وهو تخصيص اسم بحكم .. ومنها: أن لا يكون خرج مخرج الغالب .. ومنها: أن لا يخرج جواباً لسؤال³⁰¹،
و لذلك فهو يدخل في إطار البيان و الدلالة، و على هذا الأساس، ارتكز عليه المناط لبحث المعاني من

³⁰⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج6، ص : 177 .

³⁰¹ ابن اللحام علاء الدين البعلبي - القواعد والفوائد الأصولية، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 1999، ص: 367 إلى 373 .

الآيات، عن طريق الاستدلال بما هو مخالف في التوجيهات القرآنية المختلفة، و بما أن علماء الأصول قد استخرجوه من خلال استقراءهم للنصوص الدينية فهو مناسب، ليأخذ دوره في نصوص التفسير، و على الاتفاق في نصوص أخرى على سبيل التوسيع .

- في قوله أيضا : ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:13] .

فيقول الشنقيطي في شأنها : «وَيُفْهَمُ مِنْ فَهْمِ الْمُخَالَفَةِ فِي الْآيَةِ : أَنَّ الْمُتَوَاضِعَ لَهُ جَلٌّ وَعَلَا يُرْفَعُهُ اللَّهُ .»

وقد أشار تعالى إلى مكانة المتواضعين له عده في مواضع أخر كقوله : ﴿لَوْ جَاءَ الرَّحْمَنُ اللَّيْلَنَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:63] ، وقوله : ﴿لَمَلِكِ الدَّارِ الْآخِرَةِ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُكُوفًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسُوقًا بِأَهْلِهَا لَمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83] وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لَيْتَهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»³⁰² .

فمفهوم المخالفة دلّ، بالتأويل استناداً على نصوص قرآنية مغايرة للنص أعلاه، على أن المتواضع يرفعه الله درجات، إذاً، هل المعنى المستنتج موجود في ظاهر الآية أم غير موجود؟ في الحقيقة هذا المعنى غير موجود في البنية اللغوية الظاهرة للعيان، و لكن من حيث المنطق السيميائي يمكن أن نستنتج هكذا معنى بوجود العلاقات، و قد ربط الشنقيطي معنى الآية بالمعاني التي تخالفها من حيث القضية الدلالية، و أوعز لنا بما هو مقصود و راجح من القضيتين، لأن هناك خاصية مهمة جدا "للعلامات اللغوية نابعة من خاصيتها السيمانتيقية، و هي قدرتها على التحول على مستوى المدلول لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يعرف بالتحول الدلالي في أنماط المجاز المختلفة. و هذا التحول الدلالي لا يحدث في العلامة اللغوية في حال أفرادها، و لكنه يتحقق من خلال التركيب الذي يكسب العلامة دلالة لا تكون لها في حالة أفرادها. و هذا التحول الدلالي أيضاً هو الذي ينقل النص اللغوي من وظيفة الإنشاء الاجتماعية و يجعله يحقق وظائف أخرى"³⁰³ ، فهذا التطرق المحوري، لبيان معنى الآية بغير ظاهرها، من قبل الشنقيطي يعد بحد ذاته محاولة سيميائية ناجحة أفردت تناولاً يتسم بالجدية في قراءة النص و إخراج معانيه .

● سياق التضمن :

³⁰² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج2، ص : 195 .

³⁰³ نصر حامد أبو زيد- إشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 08، المغرب، 2008، ص:86 و 87 .

بإمكاننا أن نورد أقدم تعريف للتضمنين، و ذلك عند ابن هشام و هو: "قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، و يسمى ذلك تضميناً"³⁰⁴، و لكن أدق تعريف هو ما أورده الأستاذ الزعلابي و هو: "هو إشراب لفظ معنى آخر و إعطاؤه حكمه، فإذا كان اللفظ فعلاً، تصرف في اللزوم و التعدي تصرف الفعل الذي أشرب معناه، فيكون الفعل لازماً، فيتعدى بالتضمنين، أو يكون متعدياً فيلزم، أو يستمر لازماً، فيعدل به عن حرفه إلى حرف آخر"³⁰⁵، و هو من الآليات الدلالية التي يمكن عدها من الدلالات الوضعية اللفظية، و الدلالة الوضعية اللفظية تنقسم إلى دلالة مطابقة، و دلالة تضمن، و دلالة التزام، أما الدلالة العقلية و الطبيعية فهي من اهتمامات علم المنطق و السيميائيات، و تتضمن آلية مهمة لاستقصاء كنه العبارة، و به يحصل الفهم، لأن المعاني يندرج بعضها في بعض، كتضمن الحيوان في الإنسان، و كتضمن الصفحات في الكتاب.. الخ، فالتضمن بخاصية الاندراج فيه يتصف بالعلمية، لأن من فاعلية العلم الاندراج و الاحتواء و المقارنة، و مادام الأمر هكذا، فإن الخوض فيه يعد أمراً مشروعاً، بشرط الاتفاق ما بين الإجراء و المجرى عليه، و الشنقيطي يستعمله في تفسيره .

- في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:8].

يقول الشنقيطي : "و في معنى هذا وجهان : الأول و إنما حُبُّ الخَيْرِ أَي سَبَبِ حُبِّهِ الخَيْرِ لِشَدِيدِ بَحْثِ بَيْلٍ ، شَدِيدًا لِبُخْلِ .

كَمَا بَيْل :

أَي الْيَوْمَ مَامُ الْكِرَامِ وَبِصَطْفِي ... عَقِيدَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَشَدَّدِ

أَي : شَدِيدًا لِبُخْلِ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : وَإِنَّهُ لَشَدِيدٌ حُبِّ الْمَالِ . قَالَهُمَا بَنُ كَثِيرٍ .

وَقَالَ : ذَكَرَ الْإِمَامُ صَاحِبُ الْوَأَقِيعِ أَنَّ الثَّانِي يَتَضَمَّنُ الْأَوَّلَ .

وَإِذَا شَهِدَ لِبُخْلِ الثَّانِي ، قَوْلُهُ تَعَالَى : وَتَوَاطُّوْنَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لِمَا وَجَّهَ بِيُونِ الْمَالِ حُبًّا جَمًّا .

وَقَدْ دَا : إِنَّ الثَّانِي يَتَضَمَّنُ الْأَوَّلَ ؛ لِأَنَّ مِنْ أَحَبَّ الْمَالِ حُبًّا جَمًّا سِيَّ حَمَلُهُ حُبُّهُ عَلَى الْبُخْلِ "³⁰⁶ .

أي أنه مادام محبا للمال بشدة فبالضرورة يمكن أن يكون بخيلاً ، لأن من علامات البخيل حبه للمال و هذا وجه معروف، لذلك ضمن الشنقيطي البخل في محبة المال الشديدة، للاعتبار المذكور، و بدليل الآية التي أرفقها في سياق حب المال الشديد، و يعد هذا تضميناً متفرعاً يفهم من الكفاية اللغوية لدى القارئ، هذا الذي "يستمد شرعيته الإبلاغية من الدعم المعجمي التراكمي و حركيته التوليدية التي تسمح بإنتاج عدد لا حصر له من البنى الدلالية . إذ إن القيمة الدلالية للمداخل المعجمية، بوصفها

³⁰⁴ جمال الدين ابن هشام الأنصاري- معني اللبيب، دار الفكر، ط 05، بيروت، 1979، ص: 897 .

³⁰⁵ صلاح الدين الزعلابي- مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للنشر و التوزيع، ط 01، دمشق، 1984، ص: 191 .

³⁰⁶ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص : 189 .

وحدات البناء التأسيسي للخطاب، تأخذ مسارها الإبلاغي وفق النمط التأليفي الذي يستمد أصوله من النظام القواعدي للسان ما³⁰⁷، فمن السديد الإشارة إلى قيمة هذا النمط الانتقالي من معنى ظاهر إلى معنى آخر غير ظاهر، على شيوعه في البلاغات العربية، لإمطة اللثام عن أصالة التأسيسات العربية في مقابل المحاولات التنظيرية الغربية .

لذلك فإن الكلام إنما ينبغي أن يكون على مقتضى الحال المناسب لمواقف الكلام، حتى يحصل منه المراد الذي يريده السامع، ذلك أن "الخطيب لا يكون بليغاً محققاً للغاية الفنية إلا إذا تفنن في أسلوبه، مراعيًا أحوال المخاطبين يوجز طلباً للتخفيف، و يطنب عند إرادة الفهم، و يكتفي إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، و يصرح و يكشف معانيه إذا استدعى المقام التصريح و التوضيح"³⁰⁸، ذلك لأن المعنى يُنتج "لِيُتَمَلَّقَ و يتشكل من جديد في أفهام مختلفة، بناء على وسيط نصي، و هو عبارة عن مادة مؤلفة بعناية، و اختيارات موجهة من طرف العاني . و يظل هذا النسيج، عبر آلياته التدلالية المتباينة المرجع المشترك إنتاجاً و تلقياً، إنه المنطلق المتجدد نحو إعادة بناء المعنى و تجليته و صقله ثانية"³⁰⁹، و هناك مثال آخر يوضح التضمنين .

-أيضا في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ رَأَوْا وَنَأَوْا مِنْهُ وَمَنِ الْمَاءُ وَنَأَوْا مِنْهُ﴾ [الماعون:6/7] . يقول

الشنقيطي: "وَقَدْ أَمَّحَ الشَّاعِرُ الْقَوْمَ بِعَلَمٍ مَعَهُمُ الْمَاءُ وَنَأَوْا مِنْهُ :

قَوْمٌ عَلمَى الْإِسْلَامَ وَكَلِمَتُهُمْ ... مَاءٌ وَنَأَوْا مِنْهُمُ ضَيْعُ التَّهْلِيلِ

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ حَمَلَ الْمَاءُ وَنَأَوْا مِنْهُمَا عَلَى الزَّكَاةِ ، وَلَكِنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ : قَوْمٌ عَلمَى الْإِسْلَامَ ، يَتَضَمَّنُ إِخْرَاجَهُمُ الزَّكَاةَ ضَمَّنَ إِسْلَامَهُمْ ، فِي كَلِمَتَيْ "قَوْمٌ" مَادَ حَالَهُمْ فِي "خُصُوصِ الْمَاءِ" ³¹⁰ .

فقد حمل الشنقيطي الماعون على معنى الزكاة تضميناً، و ذلك إن حال المانع في الإسلام، أما إذا كان في حال غير حال الإسلام فالحمل على المعنى يكون على صورته اللفظية الحرفية "و الغرض من التضمنين إعطاء مجموع معينين، و ذلك أقوى من إعطاء معنى"³¹¹ على حد ما يقول الزمخشري و الكلام للسيوطي .

هكذا نلاحظ أن خطاب تفسير الشنقيطي قد حفل بأنماط من قبيل دلالة التضمن، غير أن التضمن هنا ليس على العموم، و لكن هو تضمن خاص في السياق القرآني، حتى خرج التضمن من اللفظ المفرد إلى السياق النصي الجملي، مثل إيراده للشاهد، من أن من أحب المال تضمن ذلك حبه للبلخ، و هكذا .

³⁰⁷ أحمد حساني - المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1993، ص: 124 .

³⁰⁸ محمد رمضان الجري - ابن قتيبة و مقاييسه البلاغية و الأدبية و النقدية، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2010، ص: 102 .

³⁰⁹ محمد بازي - التأويلية العربية، ص: 137 .

³¹⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص: 230 .

³¹¹ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي - الأشباه و النظائر في النحو ج1، دائرة المعارف العثمانية، ط 02، حيدر آباد، 1360 هـ، ص: 101 .

• سياق اللزوم أو الاقتضاء :

الاقتضاء أو الاستلزام يعد أيضا من الدلالات اللفظية الوضعية، و هو دلالة اللفظ على معنى خارج يتوقف عليه صدقه أو صحته عقلا أو شرعا أو لغة، فهناك من يعتبر الاقتضاء و الاستلزام بمعنى واحد، و هناك من يفرق بينهما سياقيا، يقول أبو البقاء الكفوي في الكليات : " الاقتضاء : هو أضعف من الإيجاب ، لأن الحكم إذا كان ثابتا بالاقتضاء لا يقال يوجب ، بل يقال يقتضي والإيجاب يستعمل فيما إذا كان الحكم ثابتا بالعبرة أو بالإشارة أو بالدلالة فيقال : النصر يوجب ذلك ؛ وأما الاستلزام فهو عبارة عن امتناع الانفكاك فيمتنع فيه وجود الملزوم بدون اللازم ، بخلاف الاقتضاء ، فإنه يمكن وجود المقتضى بدون مقتضاه"³¹²، غير أن الاستعمالات العادية لا توجب الفرق، و لا مشاحة في الاصطلاح كما يقال، مع أن الدقة مطلوبة في غالب الأحيان، " و يمكن أن يعرف كما سيأتي: س1 يستلزم س2 إذا كان في كل المواقف الممكنة التي يصدق فيها س1 يصدق كذلك س2. و على سبيل المثال: إذا قلنا: قام محمد من فراشه الساعة العاشرة فإن هذا يستلزم: كان محمد في فراشه قبل العاشرة مباشرة"³¹³، و لا بأس في إيراد بعض النماذج الآتية:

- في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا يَتَّخِذُونَ عَلَيْهَا قَسَاتٍ رِيفًا فَاذْبَحُوا بِهَا كُرْبَانَ﴾ [الأنفال:2] .

يقول الشنقيطي : " في هذه الآية الكريمة التَّصْبِيحُ آتةُ الإيمَانِ ، وَقَدْ صَوِّحَ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى كَقَوْلِهِ : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمَنْهُمْ مَن قَوْلُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُنَا إيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:124] ، وَقَوْلِهِ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدَهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:4] ، وَقَوْلِهِ : ﴿يَسْتَقِينُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيُزَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر:31] ، وَقَوْلِهِ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [الآية:17] محمد: [17] .

وَتَمَلَّكَ هَذِهِ الْآيَاتُ بِدَلَالَةِ الْإِيمَانِ عَلَى أَنَّهُ يُنْقَضُ أَيضًا ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا زِيدَ نَقُصٌ ، وَجَاءَ صُرْحًا بِهِ فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ الصَّحِيحَةِ كَقَوْلِهِ : «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ إيمَانٍ» ، وَحُذِيَ لِكَ³¹⁴ .

يعد الاقتضاء عنصر مهم جدا للامام بحديث الخطاب المتداخلة، و قد فهمنا مما أورده الشنقيطي بحسب فهمه للآية القرآنية، بأن الإيمان قد ينقص أيضا مستشهدا بالحديث النبوي في ذلك، وقد تم هذا الفهم بدلالة الالتزام، و الفقهاء يقولون في "الاقتضاء: من اقتضى الاستلزام Requirement

³¹² أبو البقاء الكفوي- الكليات، ص: 159 .

³¹³ أحمد مختار عمر- علم الدلالة، ص: 221 .

³¹⁴ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج2، ص: 229 .

الاقتضاء النص: أمر لا يمكن العمل بالنص إلا بشرط تقدمه عليه³¹⁵، و بالتالي فإن الاقتضاء يشكل لونا له أهميته في الطروحات النقدية سواء منها الطروحات القديمة، أو المقاربات الجديدة في صلتها بالنقد المعاصر الذي استجاب لحاجة التفاعل مع غيره من المناهج الأخرى غير العربية، و تكمن الأهمية القصوى في اعتباره إجراءً و جسراً ينقل اللغة من معنى معين إلى معنى آخر مغاير تماماً للظاهر، لذلك فإهماله عن طريق الدراسة النقدية لا يجوز و إلا كانت الدراسة منقوضة من هذا العنصر المهم في المدونة . و لنلاحظ هذا أيضاً في المثال الآتي:

- و في قوله : ﴿رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:2] .

يقول الشنقيطي فيها : "وَقَدْ يُؤْخَذُ بِدَلَالَةِ الْإِيْمَاءِ : الْوَعْدُ بِمُقْتَضَاتِهَا شَامِلَةٌ لِجَمَاعَةِ شَائِعَةٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : {وَأَدْخَلْنَا فِي النَّاسِ الْحَيْجَ أَتَوْكَ رِجَالًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَلِيمَاتٌ يَنْ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ} [الحج:27] ؛ لِأَنَّ الْإِيْمَاءَ يَنْ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ، يَكُونُ عَلَى الْإِيْمَاءِ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الْحَيْجِ مِنْ عِيدٍ وَالْإِيْمَاءُ يَنْ إِلَى الْحَيْجِ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْإِيْمَاءِ ، وَبِالتَّالِيَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْحَيْجِ مِنْ عِيدٍ ، وَهُوَ مَحَلُّ الْإِيْمَاءِ دَلَالٍ وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ"³¹⁶ .

فالإيماء يعد نوعاً من أنواع الاقتضاء، غير أنه أبلغ في الدلالة بما يسمح لنا باستدكار البعد السيميائي الذي يماثل ما ذهب إليه الشنقيطي في حديثه عن هذه الآية الكريمة، و لكن هذا المذهب مضبوط بالقرائن التي تؤكد وجهة التناول من حيث صدقيتها، لأن الأعراف و الإلف في اجتماع تواصلية معين قد تحدث ارتقاعات في خصائص التواصل، ذلك "أنَّ عادة المتكلم في الخطاب، واطراد كلامه، و إلف المخاطب لسماعه منه تقتضي عدم إرادة غير الظاهر، لاسيما والمتكلم متصف بالبيان، وإرادة النصح والإرشاد، وقد تواترت النصوص في الدلالة على معنى معين كالعلو مثلا، ثم أردفت بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين، ثم يزعم دعاة التأويل أن الظاهر غير مراد، متأولين ظاهر النص على معنى ليس هو مدلوله، ولا يشهد له السياق"³¹⁷ .

كان هذا في الدلالات اللغوية الوضعية، و قد استعمل الشنقيطي أطرافاً من أنواعها، مثل الاقتضاء و التضامن و لأنه يستعمل في الغالب الأعم المطابقة - في بحثه عن تناسب الآي و السور

³¹⁵ محمد قلعجي - معجم لغة الفقهاء، دار الفنائس، ط 02، بيروت، 1988، ص: 82 و 83 .

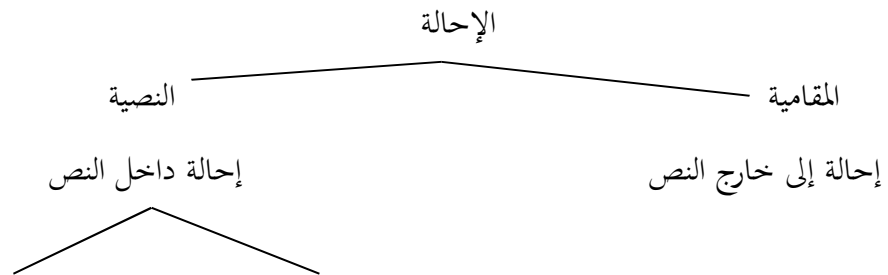
³¹⁶ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص : 244 .

³¹⁷ سعد بن مقبل العنزي - دلالة السياق عند الأصوليين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1427-1428، ص: 392 .

و تماثلها سياقيا- لم نتعرض إليها كثيرا، حيث كان دورها كبيرا جدا في تقريب المعاني للمفسر أولا،
و القارئ العادي ثانيا، و مادام قد تعرض لهذا المقام، فلا بد أنه تناول السياقات الإحالية، فماذا
عنها؟

• السياق الإحالي :

السياق الإحالي أو هي (بيان الحال المصاحب للتركيب) عند النحاة، أو هي (إحالة تذكرة أو إحالة
محاكاة أو مفاضلة أو إضراب أو إضافة حينما يتصل الأمر بالتواريخ و القصص) عند البلاغيين، و
يعتبرها البعض بمثابة الإفراط في المبالغة، آخذين في اعتبارهم معناها اللغوي : (حال يحول أي زال يزول)
. و لكن ما نقصده هنا الإحالة بمعناها الاصطلاحي في البحوث الدلالية أو النصية، و التي هي من
(أحال الكلام أي أرجعه في اللغة)، و هذا المعنى يتفق إذا كانت الإحالة لها أبعاد متعددة مع الإحالة
القبلية أو ما يسمى في الدرس السياقي (سباق)، و مع الإحالة البعدية (سباق)، و للعلم فإن هذا له
أبلغ الأثر في بيان اللاحق بالسابق، و بيان السابق باللاحق، ف"المرجع الإحالي في الخطاب اللغوي لا
يتبدى -في الحقيقة- إلا عبر نواة مركزية بها يتمظهر شكله، و يبني تركيبه إلا أنه عبر تلك النواة أو جملة
أنوية متعددة تتشكل مراجع إحالية أخرى، بها يخرج الخطاب إلى رسم حقول دلالية متباينة"³¹⁸، و
الإحالة من منظور اللسانيات النصية لها أبعاد أخرى مهمة، بحيث أن تلك العناصر المحيلة مثل الأدوات
(الضمائر و أسماء الإشارة و أدوات المقارنة، "وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية و
الإحالة النصية. و تتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية، و إحالة بعدية ...



³¹⁸ عبد الجليل منقور - النص و التأويل، ديون المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 2010، ص: 161 .

(إلى لاحق)

(إلى سابق)

بعديّة

قبليّة

كقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، و إذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق، أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة. و الاستعمال وحده هو الذي يحدد نوع إحالتها"³¹⁹، و هذا مما هو موجود بكثرة في تفسير الشنقيطي، فهو يفسر الآيات من سياق الآيات السابقة أو اللاحقة .

إحالة قبليّة (سباق) :

و هو "اصطلاحاً: هو الكلام الذي يبين معنى ما بعده. و هذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

عن يسيع الحضرمي³²⁰ -رحمه الله- قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فقال رجل: (يا أمير المؤمنين أرايت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:141]، و هم يقاتلوننا فيظهرون و يقتلون.) قال له علي: ادنه، ادنه، ثم قال: ﴿اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:141] يوم القيامة، فبين علي أن محل إشكال السائل محدد باليوم الآخر بدلالة السباق"³²¹، هذا المثال على بساطته يوحي بدرجة الفهم الممتاز عند علي بن أبي طالب، الذي نبه الرجل إلى ضرورة أخذ الحسبان مما قد ورد قبل الجملة القرآنية فهو لم يذكر الآية كاملة، و لو ذكرها كاملة لتنبه إلى أن المعنى إنما يتصل بيوم القيامة .

و النموذج التالي يوضح ذلك عند الشنقيطي:

- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَسَّعَ لَهُمُ الْغَمَاءُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تُرْجَوَهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء:28] .

يقول الشنقيطي: " الضمير في قوله: عَنْهُمْ [الإسراء:28]، راجع إلى المذكورين قبله في قوله: {وَأَتِذَا الثَّقَیْ حَهُهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ آيَةً} [الإسراء:26] . وَهِيَ آيَةٌ: إِنَّ تَعْرِضَ عَنْ

³¹⁹ محمد خطابي - لسانيات النص، ص: 17 .

³²⁰ هو يسيع بن معدان الحضرمي، وثقه النسائي، وقال ابن المديني: معروف، وذكره ابن حبان في الثقات(5/558 و تهذيب التهذيب 4/438).

³²¹ تخاني بنت سالم بن أحمد- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2007، ص: 71 و 72 .

هؤلاء المذكورين فلم تعطهم شيئاً لأنه ليس عليك ، وإعراضك المذكور { عنهم غمء رمة من ربك
تجوها } [الإسراء:28] ، أي رزق حلال ؛ كالفِي رزقك الله فطعهم منه { فقل لهم قولاً مسوراً }
، أي ليناً لطيفاً ، كالدعاء لهم الغنى وسعة الرزق ، وعلمهم بأن اللذات لا تسر من فضله رزقاً أنك
تعطيهم منه³²² .

و لا تكون الإحالة القبلية إلا بعهد قد تحقق بين المتكلم و المستمع في ثنايا الخطاب بينهما، حتى
ليعرف المستمع، من خلال علامة معينة، عين المقصود من السابق . لأنه من الممكن أن لا يفهم
السامع مما يقصد إذا لم تكن لديه الكفاءة المعرفية المشتركة بينه و بين المتكلم، و في هذا حادثة في ما
يحكى أن أبا العلاء المعري: كان في بعض الأيام حاضراً في مجلس الشريف المرتضى وكان أبو العلاء
يتعصب للمتنبي، ويزعم أنه أشعر الشعراء، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام،
وكان المرتضى يبغض المتنبي، ويتعصب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبي، فتنقصه المرتضى، وجعل
يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي
شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقليل: النقيب السيد
أعرف، فقال أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل .

و الأمثلة و الشواهد كثيرة، للتدليل على المعرفة الضمنية بين المتخاطبين، و هذا الشاهد و إن كان
يصب في الإحالة المقامية فهو يبرز الدور البارز لفهم المقام . كان هذا في الإحالة القبلية، و قد أفاد
الشنقيطي من هذه الآلية كثيراً، فماذا عن الإحالة البعدية ؟

إحالة بعدية (لحاق) :

هو في الاصطلاح: "الكلام الذي يبين معنى ما قبله . و يتضح هذا بأمثلة كثيرة، منها: عن قتادة³²³
في قوله : ﴿يا عيسى ابن مريم أنت قلت لمناس اتخذوني وأمي إلهين من كون الله﴾ [المائدة:116] متى
يكون ذلك ؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين

³²² محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 331 .

³²³ هو: أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضير الأكمه، قدوة المفسرين والمحدثين، مات سنة 117هـ (ينظر سير أعلام النبلاء 5/269).

صَدَقَهُمْ ﴿[المائدة:119] فقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:119] لحقت الآية المسؤول عنها، ففسرت وقت الحدث بأنه يوم القيامة³²⁴.

- في قوله **وَيَوْمَ لَا يُنْفَعُ الْمُطَفِّفِينَ ﴿[المطففين:1]** .

يقول الشنقيطي: "التَّطْفِيفُ: التَّقْصُصُ مِنَ الطَّيْفِ، وَهُوَ التَّلْهِيءُ يُلُّ . وَقَدْ فَسَّرَهُ هَا بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِنُونَ} [المطففين 3/2]"³²⁵.

فالآية الأولى لم توضح معنى التطفيف بقدر ما كان معناها الوعيد، لذلك فقد فسرت بما يقع بعدها من الآيات، فمن هم المطففون؟ تجيب الآية التي جاءت بعدها بأنهم الذين إذا كالوا الكيل أو وزنوا شيئاً يخسون و ينقصون منه .

لقد تضافرت الإحالتان القبليّة و البعديّة، لنسج المعنى المستخرج من بنية الخطاب القرآني في ذاته، لأن المفسر ترك العنان لمعاني القرآن المندرجة في الآيات قبليّة كانت، أو بعديّة حتى يخلص المعنى من شوائب الخارج، و لذلك ظهرت القيمة الحقيقية للدلالة، جراء التقابلات البنيوية الحاصلة في نص واحد، و خطاب واحد .

• سياق الإجمال و التفصيل:

الإجمال من أجمل، أي جعله جملة أو كمية واحدة، وهو ضد التفصيل، و للإجمال أو العموم أسباب منها الاشتراك اللفظي، و اشتهاار المجاز و كثرة استعماله، و الإطلاق أو التعميم في موضع لا يمكن العمل فيه بالمعنى الظاهر من اللفظ لافتقاره إلى التحديد، و لذلك فإن الإجمال يقع بسبب الفهم، و يحتاج إلى تفصيل، لخفاء بعضه، لأن علماء الأصول وضعوا المحمل في المرتبة الثالثة، في النصوص خفية الدلالة على النحو التالي: (1- الخفي، 2 المشكل، 3 الجمل، 4 المتشابه)، و الشنقيطي يورد بعضها منها في السياق التالي :

- في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا تَلَى عَلَيْكُمْ﴾ [الحج:30] .

فيقول الشنقيطي في توضيحه لهذا الإجمال مفصلاً إياه من خلال القرآن: "لم يبين هنا هذا الذي يتلى عليهم المستثنى من حلية الأنعام، ولكنه بينه بقوله في سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُظْهِرَ غَيْرَ

³²⁴ تماني بنت سالم بن أحمد- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى التشابه اللفظي، ص: 72 .

³²⁵ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص: 42 .

الله به { [الأنعام:145] وهذا الذي ذكرنا هو الصواب ، أما ما قاله جماعات من أهل التفسير من أن الآية التي بينت الإجمال في قوله تعالى هنا : { إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } أنها قوله تعالى في المائدة : { حُوتٌ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمَ وَالْحُمَ الْخَنْزِيرَ وَهَذَا أَهْلٌ غَيْرِ اللَّهِ } والمنخقة والموقوذة { [المائدة:3] الآية فهو غلط ، لأن المائدة من آخر ما نزل من القرآن وآية الحج هذه نازلة قبل نزول المائدة بكثير ، فلا يصح أن يحال البيان عليها في قوله : { إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } بل المبين لذلك الإجمال آية الأنعام التي ذكرنا لأنها نازلة بمكة ، فيصح أن تكون مبينة لآية الحج المذكورة كما نبه عليه غير واحد³²⁶ .

قد يجيء القول على الإطلاق مجملاً لا تفصيل فيه فيحتاج لفهمه إلى تفرع معانيه و تفصيل مقاصده و ذلك حتى يحصل الاستيعاب لدى المتلقي، ذلك أن "من السمات غير اللغوية التي تلاحظ مع الخطاب الدال على العموم، هو إطلاق النسق التركيبي، و عدم تقييده بالحال و السؤال، إذ هذه التقييدات أو حيثيات التخاطب هي التي تتقدم، فوق النص، لتخصص دلالاته أو تقيدها أو تحصرها أو تلونها بلون دلالي آني أو ظرفي... و ما إلى ذلك من التأويلات المستندة على مراعاة مقتضى حال التخاطب و هيئة المخاطبين"³²⁷، فالقرآن جاء بما هو مجمل كما جاء بتفصيل هذا المجمل أيضاً، و هناك من المجمل ما فصل بالحديث النبوي الشريف. فالجمل هو الأصل و المفصل هو الفرع و الفائدة المتوخاة من هذا التنظيم الذي قام به الأصوليون من الناحية العلمية هي التصنيف ليسهل على الدارس لأنماط القواعد الفقهية الولوج بيسر و رحابة إلى الغاية المنشودة.

فالشنقيطي في حديثه عن هذه الآية المجملة يريد أن يفك هذا الإجمال بالتفصيلات التي تساهم في بيان الآية و بالتالي يتضح معناها، و هذا يكون بالدليل و القرائن، في الحديث الشريف أو من خلال ما ثبت عند السلف من العلماء، موضحاً بأن هذه الآية إنما تفصيلها في الآية 145 من سورة الأنعام، على العكس مما قد ذهب إليه البعض من أن تفصيلها في الآية 03 من سورة المائدة، بدليل -حسب الشنقيطي- أن المائدة هي من آخر ما نزل من القرآن، لذلك فآية الأنعام كانت قبلها فصح الاستشهاد بما تفصيلاً .

- في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَآتَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] .

³²⁶ السابق ج5، ص : 430 .
³²⁷ عبد الجليل منقور- النص و التأويل، ص: 194 .

و هذا الإجمال يوضح بقول الشنقيطي : " وقد أرشدت عائشة رضي الله عنها إلى ما يبين هذا الإجمال حينما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم الذي امتدح به فقالت « كان خلقه القرآن » ، تعني والله تعالى أعلم : أنه صلى الله عليه وسلم يأتمر بأمره وينتهي بنواهيته ، كما في قوله تعالى : { وَآتَاكُمْ الرَّسُولَ فَاخُذُوهُ وَوَدَّ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر : 7] . وكما في قوله تعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْلِ هَيْئًا قَوْمٌ } [الإسراء : 9]³²⁸ .

و هنا يبين الإجمال بزواج النبي عائشة رضي الله عنها في حديثها عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن القرآن كان خلقه، و يبين بالآية 07 من سورة الحشر في كون النبي القدوة المثلى التي ينبغي على كل مسلم أن يتبعها حتى يسلك الطريق الأقوم .

هذا باختصار منحى الإجمال و التفصيل في تفسير الشنقيطي، و قد فصل الشنقيطي القول فيه، مستعينا بالآيات التي لها نفس العبارة، و قد انتصر لبعض معانيها، جراء قيامه بمقابلة النص الجمل بسياقه من الآيات التي حملت نفس اللفظ أو المعنى، و هو ما يدعو للتخصيص ، و هو ما سنتناوله تاليًا :

• تخصيص العموم :

تخصيص العموم هو أن يكون الحكم عاما فيخصص، و التخصيص يكون بالقرآن أو بالسنة، و تخصيص العموم رغم انتمائه إلى دائرة الأصول الفقهية، إلا أن له دورا مهما في بيان المعنى المخصوص بالقصد،"ومن هذه الجملة تخصيص العام بغرض المتكلم، فإن من الناس من يقول يختص الكلام بما يعلم من غرض المتكلم لأنه يظهر بكلامه غرضه، فيجب بناء كلامه في العموم والخصوص والحقيقة والمجاز على ما يعلم من غرضه، ويجعل ذلك الغرض كالمذكور. وعلى هذا قالوا: الكلام المذكور للمدح والذم والثناء والاستثناء لا يكون له عموم، لأننا نعلم أنه لم يكن غرض المتكلم به العموم"³²⁹، فقد صاحبه مقصد من المقاصد خرج به إلى التخصيص، و الشنقيطي يستعمل هذا المفهوم في بعض الآيات التي أحتيج بيانها خصوصا، سواء من القرآن أو السنة، فما هي شواهد الدالة على ذلك ؟

- و في سياق قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عُلُوِّي وَعَظْمِيَّ مَاءً تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَآءِجَاءِ كُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [المتحنة: 1] .

يقول الشنقيطي : العُلُوُّ المراد هنا فَقْدُ عَمٍّ وَخَصٍّ فِي وَجْهِهِ فَصَفَهُ أَوْلًا بِقَوْلِهِ : وَقَدْ كَفَرُوا بِمَآءِجَاءِ كُمْ مِنَ الْحَقِّ ، وَخَصَّ بِوَجْهِهِ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ ، وَالْوَجْهُ بِالْكَفْرِ شَمْلُ الْجَمِيعِ ، فِي كَوْنِ دَكْرِهِمَا مَطْلَبًا لِلتَّأَكُّدِ بِالْأَهْلِ حَامِ الْخَاصِّ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ } [البقرة: 98]

³²⁸ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج8، ص : 205 .

³²⁹ أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي - أصول السرخسي ج1، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 1993، ص: 273 .

فَنَحْيُ ذَكَرَ الْخَاصِّ هُنَا وَهُوَ وَصْفُ الْعَوِّ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ لِتَهْيِيجِ عَلَيَّ مَنْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ كَقَوْلِهِ: { وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتَهُمْ } [البقرة: 191] "330 .

فالعموم هنا هو (الكفر) أي هؤلاء الذين نهيتكم أن لا تتخذوهم أولياء و أصدقاء توادوهم و تداهينونهم هم كفار و قد كان هذا لفظ عموم، و تخصيصه وقع في نفس الآية في (يخرجون الرسول) أي من خصائص أفعالهم إخراج الرسول و هذا فعل مشين يدل على الكفر و العصيان .
و لا بد بعد أن جنبنا بعض ما تعلق بالإجمال و التفصيل و العموم و الخصوص، أن نلج باباً آخر له صلة بهذا و ذا، و هو سياق الترجيح الدلالي، و هو عنصر مهم جدا .

• سياق الترجيح :

يعد الترجيح آلية جد مهمة، في بيان معنى على حساب معنى آخر، و لكنه يتم بشروط متعددة، أهمها وجود القرينة التي تصرف المعنى إلى وجهة معينة، و بالإمكان أن تكون هناك قواعد معينة من مهامها ترجيح دلالة على دلالة أخرى، مثل القواعد التالية:

"-القاعدة الأولى: النظر إلى المعنى الكلي..

-القاعدة الثانية: الحيطة و الحذر من الألفاظ المشتركة..

للقاعدة الثالثة: إدراك خصائص الحقيقة و المجاز إدراكاً واعياً..

-القاعدة الرابعة: الاطلاع على الأسس المعرفية التي توظف عملية التأويل.. "331

و قد استعمل الشنقيطي آليات كثيرة داعمة للقرائن، أهمها ما ذكرناه آنفاً من قيامه بإجراء المقابلة ما بين الآيات، و الإحالة، ثم ما ذكرناه سابقاً في الباب الأول في توظيفه للآليات اللغوية و البلاغية و الأسلوبية، و ذلك حتى تتبدى له وجهة الترجيح، في أي المعاني أحق من غيرها ترجيحاً، و لنر كيف تم هذا في ما يلي:

- في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الْإِنْسَانُ كُفْرًا يُؤْمِنُ قَوْلَكَ بِأَبِ صَاهِرِهِ لَمَّا سَمِعَ الْدُّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 51/52] .

يقول الشنقيطي: "فإيه عود آخر السورة على أولها . وَأَنَّ الْكُفْرَانَ ذَمًّا عُوا الدُّكْرَ شَخَّصَتْ أَبِ صَاهِرِهِمْ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ بَيْتِ لُجْدُنُونَ . وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ : بِأَنَّ هَذَا النَّبِيَّ عُوا هُوَ لَيْسَ

330 محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج8، ص : 70 .

331 عبد الجليل منقور - النص و التأويل، ص: 197 .

بِهِ نَذِيرَ بَانَ الْحُجُونَ ، وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِّلْعَالَمِينَ ، وَفِيهِ تَرْجِيحُ الْقَوْلِ : بِأَنَّ الْمُؤَادِبِينَ عَمَّةَ رَبِّكَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ، إِنَّمَا هِيَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ "332 .

إن الترجيح بالسياق من أهم وأقوى الجوانب التي طبقها الشنقيطي في استقرائه للنصوص القرآنية، غير أن الترجيح له مقوماته إذا اتصل الأمر بما له علاقة بقراءة النص القرآني، فالقد قسم أهل العلم الخلاف الواقع بين المفسرين إلى قسمين:

اختلاف تنوع، و اختلاف تضاد، فاختلاف التضاد يطلق على القولين المتناهيين في معنى الآية.

أما اختلاف التنوع فيدخل فيه الأقوال المتغايرة التي تحملها الآية...

فاختلاف التنوع لا ترجيح فيه، أما اختلاف التضاد فلا بد من المصير إلى الترجيح، و لقد استعان المفسرون بأدوات كثيرة للترجيح، منها دلالة السياق القرآني "333 .

فإن المراد ترجيحاً بالآية في أول السورة ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِحَدُودٍ ﴾ [القلم: 2]، إنما هو ما ورد في نفس السورة في الآية 52 ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾، فالنعمة هنا هي الذكر الحكيم .
و كنا قد رأينا أن الشنقيطي انتصر للمعاني بحسب ما دعا إليه السياق، و سياقه دائماً كما قد أسلفنا القول هو سياق يكاد يكون بنوياً، فرجح نزولاً عند مقتضيات البنية القرآنية، و من ما يتعلق بالتفصيل أيضاً هو تفصيل العموم ، فماذا يقول الشنقيطي في فحواه ؟

نلاحظ أن تخصيص العموم من الآليات التي يندر أن تغيب عن ذهن المفسرين، و علماء الأصول، لحاجة الخطاب القرآني إلى بيان بعض ثناياه بما هو خاص من حيث الأحكام، و قد بين الشنقيطي البعض منها في الشواهد التي قدمناها من تفسيره، و التي بينت أن الشنقيطي دائماً يتكأ في بيان الخصوص من العام، على رؤيته للسياق القرآني من جهة، و في علاقته مع الحديث النبوي من جهة أخرى، و لذلك حدث المعنى وفق هذا التعالق، و مادام الشنقيطي يفسر سياقياً القرآن بالقرآن، فلا بد أن يراعي قانون التناسب، فماذا عن التناسب ؟

• سياق التناسب .

التناسب من المفاهيم المهمة، التي استقطبت الدرس القرآني، و لا يخفى على المطلع على تفسير الشنقيطي في أنه يأخذ بالتناسب بصورة كلية، و هناك من وضع كتباً بموضوع التناسب، مثل كتاب البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، فالتناسب إذا هو مراعاة الانسجام في ما بين الآيات القرآنية، سواء من حيث المضمون أو من حيث الشكل، حتى يتحدد المعنى وفق هذه المعادلة، و لربما بحث المؤصلون في لسانيات النص هذه الظاهرة، فعادت بهم المفاهيم الغربية من مثل الترابط و الاتساق

332 محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج8، ص : 211 .

333 أحمد لاني فلاح المطيري - دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، ص : 143 .

و الانسجام، إلى مفهوم التناسب في القرآن من خلال مفسريه، و من أمثال من بحثوا الظاهرة الخطابي محمد في كتابه لسانيات النص.

و التناسب في الحقيقة -من الناحية المفهومية- يرجع إلى أكثر من ذلك بكثير، فقد أشار إليه نقاد الشعر في القديم، و من أمثال من أسسوا لهذا المفهوم حازم القرطاجني الذي نظر للمعاني من حيث التركيب و الموضوع " و يقسمها بصفة عامة إلى أربعة أقسام من حيث التماثل و التشابه و الاقتراب أو التضاد و التعارض: البنيان، و المبالغة، و المناسبة، و المشاكلة التي يكون سببها من الخفاء .. ويرى أن من المستحسن في الصور و المعاني أن تتقابل و تتفاوت حتى تبرز جوانب الحسن فيها"³³⁴، و نجد أن السجلماسي قد وضح جهات المناسبة إلى أربع:

"-إيراد الملائم : أن يأتي بالشيء و شبيهه، مثل : الشمس و القمر، و السرج و اللجام، و السيف و الفرند...

-إيراد النقيض : أن يأتي بالأضداد، مثل الليل و النهار و الصبح و المساء، و الحياة و الموت...
 -الانجرار : أن يأتي بالشيء و ما يستعمل فيه، مثل : القوس و السهم، و الفرس و اللجام، القلم و الدواة"³³⁵، فسياق التناسب يعد من الآليات المهمة الحاضرة بقوة في تفسير الشنقيطي، و قد راعى الشنقيطي هذا الجانب المهم في تفسيره، و نجده :

-في قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ زَوْجَكَ فَلَا يَخْرِجْكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلْتَجِيعَ فِيهَا وَلَا تَعْي (118) وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)﴾ [طه] .

يقول الشنقيطي : "الظَّاهِرُ أَنَّ الْأَيَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُرْمِيَّةِ مِنَ الْبَيْعِ الْمَعْدِيِّ فِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ ، هُوَ مَا يُسَمَّى «مَاعَاةَ النَّظِيرِ» ، وَ يُسَمَّى «التَّنَاسُبِ بِالْآيَةِ لَفِ . وَالتَّوْفِيقِ ، وَالتَّلْفِيقِ» . فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لِهَذَا الشَّوْعِ مِنَ الْبَيْعِ الْمَعْدِيِّ . وَضَابِطُهُ : أَنَّهُ جُمِعَ أُمْرٌ وَمُتَّاسِبُهُ لِابْتِضَادٍ ... وَإِذَا عَلِمَتْ هَذَا فَعَلِمَتْ أَنَّهُ جَمَلٌ وَعَلَا نَاسَبٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُرْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ {لَإِنَّ لَكَ الْأَلْوَعَ فِيهَا وَلَا تَعْيُ} بَيْنَ زَنْفِي الْجُوعِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْحَرِّ وَالْبَيْدِ ، وَهِيَ مُتَّاسِبَةٌ لِابْتِضَادٍ . كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى نَاسَبٌ قَوْلُهُ {وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} بَيْنَ زَنْفِي الظَّمِّ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْأَلْمِ الطَّيِّبِ الْوَجْهَانِيِّ الْأَيْ سَبِّهِ هُ الظَّمِّ وَبَيْنَ زَنْفِي الضُّحَى الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْأَلْمِ الطَّاهِرِيِّ الْأَيْ سَبِّهِ هُ حُرِّ الشَّمْسِ وَكُفُوهُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ"³³⁶ .

³³⁴ محمد زغلول سلام- تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، درط، مصر، دتر، ص: 197 .

³³⁵ محمد خطابي - لسانيات النص، ص: 135 .

³³⁶ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج4، ص: 369 .

هذا النص القرآني محتو على ثلاثة أنواع من التناسب:

النوع الأول: بين الآية {إِنَّ لَكَ الْأَلْوَعَ فِيهَا وَلَا تَعْحَى} و الآية {وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} هذا التناسب على نحو إيراد الملائم ، فالجوع يلائم الظمأ، كما ورد التناسب في الفواصل من ناحية الصيغة الصرفية .

النوع الثاني: في الآية {إِنَّ لَكَ الْأَلْوَعَ فِيهَا وَلَا تَعْحَى} فهذا من إيراد النقيض فالجوع يكون داخل الإنسان و العري خارجه .

النوع الثالث: في الآية {وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} يمكن أن يكون من ظواهر الانجرار ، لأن حر الشمس يؤدي بالضرورة إلى العطش .

-و في قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتُ غُرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتُ نَشْطًا ﴾ [النازعات: 2/1] .

يقول الشنقيطي : " وَ هَذَا يَتَنَاسَبُ كُلُّ الْمَنَاسِبَةِ مَعَ آخِرِ السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا إِذْ جَاءَ فِيهَا : إِنَّآ أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابَ قَارِيئٍ أَيْ يَوْمٍ نَظُرُ الْمَوْتُ مَا قَدَّمْتُمَا مَا [النبأ: 40] ، وَنَظُرُ الْمَوْتِ مَا قَدَّمْتُمَا يَبْأُ مِنْ حَالَةِ النَّزْعِ حَيْثُ مَنَّقَلُ اللِّسَانِ عَنِ النَّطْقِ فِي حَالَةِ الْحَشِيَّةِ ، حَيْثُ قَبْلَ التُّوبَةِ عِنْدَ الْعَلِيَّةِ لِمَا سَيَأْتِي فِيهِ ، فَيَنْظُرُ حِينَئِذٍ مَا قَدَّمْتُمَا مَا ، وَهَذَا عِنْدَ نَزْعِ الرُّوحِ أَوْ نَشْطِهَا . وَاللَّامَةُ إِلَى أَعْلَمُ " 337 .

و هذا تناسب من نوع آخر ، فبداية سورة النازعات تتناسب مع آخر سورة قبلها و هي النبأ، و هو في الحقيقة تناسب معنوي عندما يقدم الإنسان إلى الآخرة (حالة الموت) و نظره إلى أعماله هل تنجيه أم لا من العذاب القريب و هو حالة النزع الأخير، فوق الانسجام ما بين السورتين القرآنتين، فإن الآية تقوم "مقام الجملة التي تحتوي مفردات في نسق متآلف فهي تسمى أيضاً الجملة القرآنية، و هي بناء أحكمت لبناته و اتسقت أدق تنسيق لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تدنو عن موضعها، أو لا تعيش مع أخواتها، و هي تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها، لتلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه المهم و الأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، و لكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة" 338 .

إن أبلغ ما يفسر به القرآن، هو القرآن نفسه، و قد أفادت آية التناسب في بيان الانسجام الحاصل ما بين المعنى الرئيسي و المعاني التي تطوف به. غير أن هذا مما قلناه من آليات نصية و دلالية لا يفي لوحده في الإحاطة بما للقرآن من معاني و مقاصد، و لا بد من وجود آليات تداولية أو غير لغوية، لإيفاء البيان بعض حقوقه، فما هي هذه الآليات التداولية ؟

337 المرجع نفسه ج9، ص : 13 .

338 اللغة العربية- النسق القرآني في ضوء نظرية التلقي، فائزة تيقرشة، عدد 06، المجلس الأعلى للغة العربية، 2011 .

الفصل الثالث

(آليات السياق التداولية وغير اللغوية)

- توطئة
- آليات السياق التداولية و غير اللغوية :
 - سياق الافتراض
 - سياق الإضمار
 - سياق الفعل الكلامي
 - سياق الحجاج
 - سياق الاستشهاد بغير القرآن
- معرفة علوم القرآن (سياق الموقف)
 - أسباب النزول
 - معرفة المكي و المدني
 - السياق المذهبي
 - سياق الإعجاز

ليست الآليات التي تتعلق بالبنية و الدلالة وحدها المهيمنة على تفسير الشنقيطي ، و لكن توجد آليات أخرى غير لغوية و منها الآليات التداولية التي أسهمت في تشكيل خطابه بشكل أو بآخر ، إذ تهيمن هذه المرتكزات إذا ما أخذ المعنى وجهة تفوق الخطية في الاستناد على السياق الخارجي في تحديد معاملة ، و هذا له أبلغ الأثر ، في كون المعنى لا يكمن في بنية اللغة وحدها و إنما في الموجهات القرائية لسياق القول كذلك، و قد اهتم العلماء اهتماما بالغا بهذا الجانب ، سواء منهم الغربيون أو العلماء العرب خصوصا منهم الأصوليون و المناطقة و اللغويون، " و لقد دفعت نظرية الخطاب الباحثين إلى إعادة التفكير في العلاقة بين المعنى و البنية الاجتماعية، من خلال التركيز على السلطة من داخل نظام المعنى و ليس من خارجه، فنظم المعنى نفسها تعتبر سلطة، و هي لا تظهر بسهولة كنظم، مثل بنية اللغة بل من خلال ممارسات ذات دلالة، إنما ليست ببساطة المعاني المرتبطة بالممارسات الاجتماعية"³³⁹، ثم إن الاهتمام "بالأنساق المنطقية ذات البعد الطبيعي أدى إلى حدوث تشابكات بين عدة نظريات متباينة المنطلقات و التوجهات، من مثل علم النفس، و الفلسفة و اللسانيات، و غيرها من الفروع المعرفية التي رامت دراسة (عملية الخطاب) في مختلف أبعادها. و تبعاً لهذا أصبح بالإمكان القول إن التواصل، و مختلف العمليات التناظرية أضحت تشكل في الوقت الراهن القاسم المشترك بين علوم و مباحث متعددة و متباينة"³⁴⁰، و كانت مناحي دراسات هؤلاء تصب في الاتجاه التداولي باعتباره إستراتيجية فعالة تحقق الكفاءة المطلوبة في مستويات الخطاب، و الاتجاه التداولي يعدّ لحد الآن موضوعاً يبحث عن الاكتمال تعوزه المقاربات التجريبية التي تمحص مفاهيمه و إجراءاته، لذلك يمكن أن نلمس درجات متعددة من التداولية و بالإمكان أن ندرجها كآلاتي:

"1-تداولية من الدرجة الأولى : يعكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، فهم يدرسون الأقوال و الصيغ التي تتحلى مرجعيتها و دلالتها في سياق الحديث.. و تتناول نظريات الحديث ...

³³⁹ الممارسات اللغوية- تحليل الخطاب و التداولية، شنان قويدر، عدد 02، جامعة تيزي وزو، 2011 .

³⁴⁰ العياشي أدراوي- الاستلزام الحوارى في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، ط 01، الرباط، 2011، 73 و 74 .

2-تداولية من الدرجة الثانية: و هي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط فيه القول بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الجانبية للقول، و هي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلمحي.. أما النظريات التي تتناول هذا النمط بالدراسة فهي نظرية قوانين الخطاب و أحكام أو مسلمات المحادثة -حسب التسمية- و ما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق و الأقوال المضمرة و الحجاج ...

3-تداولية من الدرجة الثالثة: و تتمثل في الدراسات التي تدخل ضمن نظريات الأفعال الكلامية، التي تنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية³⁴¹.

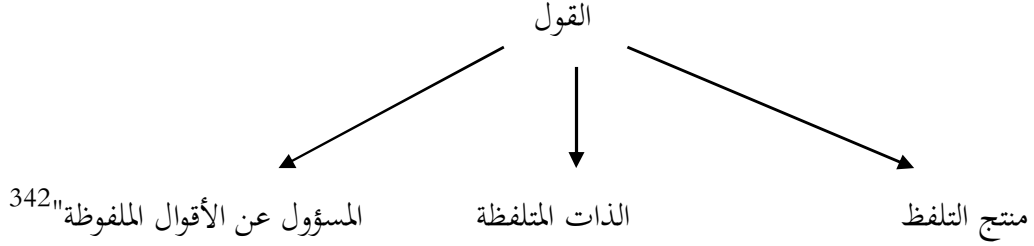
و خطاب التفسير الذي بين أيدينا لا يخلو من هذا الذي نتحدث عنه، و لكن الإشكالية مطروحة في الخطاب القرآني من حيث أنه مكتف بنفسه فهو خطاب أوحده، على العكس من الخطابات الأخرى التي و إن تميزت بخصائص معينة فهي لا تضاهي الخطاب القرآني في توجيهاته المتعددة سواء في المفهومات أو المنطوقات التي تكون على أوجه من القائلين بما على قاعدة من تعدد الأصوات، إذ "تمس إشكالية التعدد الصوتي هوية الذات المتحدثة، و المتكلم، و المتلفظ، و هي أطراف تتحدد في:

1-المنتج الطبيعي أو الحقيقي للملفوظ (الشخص المتحدث أو الكاتب).

2-الأنا (الذات المتحدثة) التي تأخذ موقع المتلفظ.

3المسؤول عن الألفاظ الكلامية، إذ كل تلفظ يحقق فعلاً كلامياً مميزاً و إذا أخذت هذه الأطراف على أنها أوضاع، فإن هذه الأخيرة تتحقق في التوصل الكلامي غالباً، فإذا قلت لأحد: إني راحل إلى بلاد غريبة. فإني و في الوقت نفسه أكون: منتج التلفظ، و أكون الشخص الذي يتصادف مع الذات المتحدثة، و المسؤول عن إثبات القول.

³⁴¹ عمر بلخير- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر، 2003، ص: 12 و 13 .



و خطاب التفسير هذا يتضمن الكثير من القضايا التداولية مثل العلاقة الجدلية بين الإنشاء و الخبر ما يسمى بالفعل الكلامي في تطرقه لآيات خبرية في الظاهر و لكنها إنشائية في جانب آخر ، و القضية التي تتعلق بالحجاج أو الاحتجاج و الاستشهاد حسب المصطلح الذي يستعمله الشنقيطي ، و بعض مما يتعلق بالافتراضات المسبقة ، و بعض مما يتعلق بالأقوال المضمرة أو الإضمارات .. إضافة إلى استعماله لعلوم القرآن، ما يمكن أن يصطلح عليه بسياق الموقف، و آثرنا منها أسباب النزول و معرفة المكي و المدني، هذا زيادة لسياقين آخرين و هما سياق الإعجاز، و السياق المذهبي . هذه كلها قضايا تناولها الشنقيطي و بيان هذا من الناحية التطبيقية فيما يلي :

2- آليات السياق التداولية و غير اللغوية :

استعمل الشنقيطي آليات كثيرة غير التي تحدثنا عنها في الباب الأول، آليات تداولية من جهة و آليات غير لغوية من جهة أخرى، لأن المدونة القرآنية لا تحتاج إلى المقاربات النصية فقط، و لكن تحتاج ما هو متوفر من علوم و معارف في السياق الخارجي، و هذه الآليات كثيرة كثيرة لا تحصى على الصورة المتكاملة، لعلوها بميادين متفرعة و متشعبة، فقد استعمل الشنقيطي آليات تتصل بالإستراتيجية التداولية، و منها الافتراضات المسبقة، و الأقوال المضمرة، و الأفعال الكلامية، و ما يتصل بالحجاج، و الاستشهاد بغير القرآن فضلا عن مقارنته القرآن بالقرآن، و استعمل ما يقع في دائرة علوم القرآن أو ما يمكن أن نسميه في بعض مناحيه بسياق الموقف، من مثل معرفة أسباب النزول و معرفة المكي و المدني، ثم ما يمكن أن يتوصل من مظاهر الإعجاز، و معرفة مظاهر الإعجاز التي هي ركن من أركان علوم القرآن، إضافة إلى ما يتعلق بالسياق المذهبي، و إن ما يمكن التنويه به أن المعاني و المقاصد التي يضطلع بها القرآن ليست بأي حال من الأحوال تشبه حال ما عرف من الشعر و النثر العربيين من معاني و مقاصد من مثل الإفادة و الصدق و الإمتاع و إن تشاكلت في بعض جوانبها مع أهداف القرآن، ذلك

³⁴² الخطاب- التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، هو الحاج ذهبية، عدد 04، جامعة تيزي وزو، 2009 .

أن النقاد العرب القدامى قد اهتموا "بعناصر العمل الفني كالموهبة و الطبع و التكلف، و لقد استأثرت قضية اللفظ و المعنى بجهود القدامى و عنايتهم كابن قتيبة و عبد القاهر الجرجاني حيث ارتكزت على ثلاث قواعد من عمود الشعر العربي القديم: شرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ و استقامته و مشكلة اللفظ للمعنى أي بسط المراد بإجلاء اللفظ بالروادف الموضحة و تبيان المعاني بالبلاغة"³⁴³، فماذا يمكن أن نجد في استعمالات الشنقيطي من آليات تداولية ؟

● سياق الافتراض :

ينتمي الافتراض المسبق إلى الجهاز المفاهيمي للإستراتيجية التداولية، و هو يحدد على أساس معطيات لغوية، و"يرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل و الإبلاغ، ففي التعليميات *Didactique* تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه و البناء عليه. أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت التواصل السيئ فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي"³⁴⁴، يعرفه ديكرود كما يلي: "هو العنصر الدلالي الخاص بالقول بالإمكان تحويله إلى استفهام، هل (أ) ؟ و إلى نفي لا (أ)"³⁴⁵، مثال ذلك:

"أ- انقطع زيد عن التدخين .

تحويله إلى الاستفهام يعطينا ما يلي:

ب- هل انقطع زيد عن التدخين ؟

ثم نفيه:

ج- لم ينقطع زيد عن التدخين .

هذه التحويلات تظهر لنا شيئاً ضمناً و جامعاً بين الأقوال الثلاثة، و هو:

³⁴³ وتيكي كميلا- بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة مقارنة تداولية، دار قرطبة، ط 01، الجزائر، 2004، ص: 116 .

³⁴⁴ مجلة الآداب و اللغات- الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي- عدد6- جامعة الأغواط- 2007 .

³⁴⁵ Oswald Ducrot- Dire et ne pas dire, Hermann, éd 01, Paris, 1972, P:81.

فمن هذا المنطلق وجدنا الشنقيطي يستعمل إجراء هذا المفهوم في بعض الحيثيات، و هذه شواهد تؤكد ما ذهب إليه الشنقيطي :

- في قوله تعالى : ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٌ لَا يُبَلِّغُكَ عَنْهُ﴾ [طه:120] . فالافتراض المسبق في هذه الحالة أن الشيطان قد أخرج صاغرا من الجنة ، فكيف وسوس لآدم و حواء و هما في الجنة ؟

فيقول الشنقيطي : فُسُونُ الِيمْدُكُونِ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ الْحَيَّةِ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ فِيهَا فَأَدَخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ، وَالْمَلَائِكَةُ كَفُّوا كَلْمَهُمْ بِهَا لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ . وَكُلُّ ذَلِكَ لِمُتَرَفِّقِ الْإِيَّاتِ . وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ لَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ ، لِإِمْكَانِهِ أَنْ يَبْلُغَ خَارِجَ الْجَنَّةِ قَرِيبًا مِنْ طَرَفِهَا بِحَيْثُ يَسْمَعُ آدَمُ كَلَامَهُ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِمْكَانُ أَنْ يَدْخُلَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لِأَمْتِحَانِ آدَمَ وَوَجْهِهِ ، لِأَنَّ كَرَامَةَ إِبْلِيسَ . فَلَا مَحَالَّ عَقْلًا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَالْقُرْآنُ قَدْ جَاءَ بِأَنَّ إِبْلِيسَ كَلَّمَ آدَمَ ، وَحَلَفَ لَهُ حَتَّى عَرَّوَجَهُ بِذَلِكَ .

وقوله فِي الْهَلَايَةِ الْكَرِيمَةِ عَمَى شَجَرَةَ الْخُلْدِ أَضَافَ الشَّجَرَةَ إِلَى الْخُلْدِ وَهُوَ الْخُلُودُ . لِأَنَّ مَنْ أَكَلَ مِنْهَا يَكُونُ فِي زَعْمِهِ الْكَافِرِ خَالِدًا لَا يَمُوتُ ، وَلَا يَبُولُ ، وَكَلَّمَ يَكُونُ لَهُ فِي زَعْمِهِ مَلِكٌ لَا يَبْلَى أَيْ : لَا يَفْنَى ، نَفْطَحُ . وَقَدْ قَدَّمَ مَا أَنَّ قَوْلَهُ هَذَا وَمَلِكٌ لَا يَبْلَى يَمْلَأُ لِحَمِي قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ ﴿لَا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ﴾ [الأعراف:20] بِكَسْرِ اللَّامِ . وَقَوْلُهُ ﴿تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:20] ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي «طه» : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه:120] 347 .

إن الإشكال الحاصل هنا، عندما نرتب الأحداث السردية تاريخيا على وجه الحقيقة:

1- خلق الله آدم .

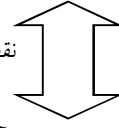
2- أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، إلا إبليس أبي و استكبر.

³⁴⁶ عمر بلخير- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 114 .

³⁴⁷ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج4، ص: 370 و 371 .

3- عقاب الله لإبليس بأن أخرجته من الجنة و أنزله إلى الأرض.

نقطة الافتراض بين القضيتين



4- إبليس يريد أن يوسوس لآدم و حواء و هما في الجنة.

5- وسوس لهما و أنزلهما الله إلى الأرض .

فالقضية هنا كيف وسوس لهما و هما في الجنة؟ يقودنا هذا السؤال إلى باب الافتراضات و يكون الافتراض بناء على مصادر ليست في القرآن و لا توجد في أحاديث النبي و إنما توجد هذه المصادر في الإسرائيليات من كون إبليس قد دخل و هو في جوف حية، و هناك من يستشهد بقول النبي (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) و هكذا، فالكيفية التي وسوس بها الشيطان لآدم و حواء تدر افتراضات كثيرة، و كل العلم عند الله عز و جل .

- و في قوله تعالى : ﴿لَيْمَلِكُ دَوْلِيمُ دَوْلِدُ﴾ [الإخلاص:3] .

يقول الشنقيطي : "وقد قيل قال : من جانب المطلق عقيدة لواقفة برضع لى حد قوله : قبل إن كان لمرحمن ولفأنا أول العارفين [43 \ 81] .

فتقول لى هذا الافتراض : لو كان له ولد فما ملبأ وجود هذا الولد وماصير ه ؟ فإن كان حادثاً فحتى حصوله ؟ وإن كان قديماً ، تعدد لقم ، وهذا ممنوع .

ثم إن بكلاك يا تعدد البقاء ، وإن كانت ههنا فحتى أنت ههنا ؟

وإذا كان ماله إلى الأنت ههنا فماله إلى الأنت ههنا ، فالتفتي الخ إذا الولد عقلاً ونقلاً ، كما أنتت الولادة كذلك عقلاً ونقلاً .

وقد أورد بعض المفسرين سؤالاً في هذه الآية ، وهو ما إذا قدم نفي الولد على نفي الولادة ؟ مع أن الأصل في المشاهد أني ولد يولد ؟

وأجاب بأنه من تقدم الأهم لأنه رجع لى النصاي في قولهم : عيسى ابن الله ، وع لى اليهود في

قولهم : عزير ابن الله ، وعلى قول المشركين : الملائكة بذات الله ، ولأنه لم يدع أحد أنه سبحانه مولود لأحد ، فكانت دعواهم الولد لله ردة عظيمة³⁴⁸ .

³⁴⁸ السابق ج9، ص: 254 .

إن الداعي الأساس لافتراض الشنقيطي هو أن يثبت وحدانية الله بالأدلة المنطقية، بطرح الأسئلة حول ماهية الولد الموجود على سبيل الافتراض، كما تؤكد النصوص القرآنية استحالة هذا الأمر فتجمعت الأدلة العقلية و النقلية لتفنيد فكرة أن يكون الله قد ولد أو ولد .. و لكن لماذا قدمت مسألة كونه قد ولد -على الافتراض- على مسألة كونه قد ولد لضرورة التسلسل المنطقي.

في هذا يجب الشنقيطي أنه هنا بدأ بما هو أهم و هو الرد على الذين يقولون بأن المسيح ابن الله ثم إلى المهم و هو كونه لم يولد، و في هذا نلمح مراعاة للسياقات المختلفة .

هذا كله في إطار ما يسمى بالافتراض، و قد كانت هناك الكثير من الشواهد التي أدرجناها حتى تبرز مكامن آلية الافتراض بصورة أوضح، مع أنه يوجد الكثير غير ذلك، و قد بين لنا الافتراض هنا معلومات إضافية، إن في مستوى الآية نفسها، أو في علاقة الآية بغيرها من الآيات، أو في علاقتها بالأحداث التاريخية، و إذا كان هذا في مستوى الافتراضات المسبقة، فماذا عن الأقوال المضمرة ؟

• سياق الإضمار :

فإن كان الافتراض المسبق يحدد على أساس معطيات لغوية من السياق الكلامي بالأساس، فإن الأقوال المضمرة ترتبط بوضعية الخطاب و مقامه و ملابساته، و هي تفتح المجال لتنوع الأقوال في سياق الخطاب المقامي، فتكثر المسائل المتعلقة بالقضية الواحدة، و كل مسألة تختلف عن الأخرى لتناولها جانباً فرضته مقولات طرحها السياق الخارجي، و منه فإن "قانون الإخبارية و قانون الشمول يخضعان كلية لقانون الإفادة، و هذه القوانين تتحرك وفق النسق التالي:

يجب إعطاء الخبر بأقصى ما يتضمنه من معلومات و لكن أن يقع ذلك في حد الإفادة، مع تجنب إعطاء كل شيء، لأنه قد يؤدي إلى إحداث أضرار لا حاجة للمتخاطبين بها، و بهذا نتفادى الوقوع في متاهات الحشو الذي يضر بالإفادة"³⁴⁹ .

فماذا يمكن أن نجد في خطاب الشنقيطي من أقوال نتجت بفعل استقراء الظاهرة ؟

- في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَنَا فِي السَّمَاءِ بِرُوحٍ﴾ [الحجر:16] .

³⁴⁹ Catherine Kerbrat Orecchioni- L'implicite, Armand Colin, Paris, 1986, P:220 .

فيقول الشنقيطي : "واختلفوا لعلماء في المراد بالبروج في الآيات المذكورة ، فقال بعضهم : البروج : الكواكب ، وممن روي عنه هذا القول مجاهد وقتادة . وعن أبي صالح : أنها الكواكب العظام ، وقيل : هي قصور في السماء عليها الحوس . وممن قال به عطية ، وقيل : هي منازل الشمس والقمر ، قاله ابن عباس . وأسماء هذه البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسبله والميزان والقرب والقوس والجدي والدلو والحوت .

قال قتادة - عفا الله عنه - : أطلق تعالى في ((سورة النساء)) البروج على القصر والحصينة في قوله : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء: 78] ومجمع الأقوال كلها إلى شيء واحد . لأن أصل البروج في اللغة الظهور ، ومنه تبيح المرأة بإظهار زينتها فالكواكب ظاهرة ، والقصر ظاهرة ، ومنازل القمر والشمس كالقصر ، يجمع أن الكل محل نزول بهاء لم عند الله تعالى³⁵⁰ .

فقد اختلف في معنى كلمة البروج وقد تعددت التأويلات حولها بمعطيات السياق الخطاب العام فمنهم من يقول أنها الكواكب ومنهم من يقول أنها قصور في السماء ومنهم من يقول أنها منازل الشمس والقمر ولابن عباس الحديث المفصل للبروج ، و الشنقيطي يفسرها باللغة فيصبح معناها الظهور مع الاحتفاظ بإمكانية ما قد قيل في التأويلات ، وإدراجها في الأقوال المضمرة والممكنة .

- وفي قوله تعالى : ﴿والتأزعات غرقاً﴾ [النازعات: 1] .

يقول الشنقيطي : "أما المراد بـ «التأزعات غرقاً» هنا ، فقلاخت لم يف فيه إلى حوالي عشرة أقوال منها : أنها الملائكة تزع الأرواح ، والنجم قل من مكان إلى مكان آخر ، والأقواس تزع السهام ، والغزاة تزع على الأقواس ، والغزاة تزعون من دار الإسلام إلى دار الحرب لقتال ، والوحوش تزع إلى الطلأ ، أي : الحيوان الوحشي"³⁵¹ .

أبان استعمال الأقوال المضمرة وجهات تأويلية مختلفة ، وقد ضمن الشنقيطي كلامه في هذا الأقوال التي اختلف فيها ما بين المفسرين والعلماء حول قضية بعينها ، ولذلك اشتمل خطابه بالتنوع والشمولية ، هذا كان في الإضمار القولي ، فماذا عن الأفعال الكلامية ؟

• سياق الفعل الكلامي :

إن كل سيرورة تواصلية "تستدعي تحديداً متبدلاً و مستمرا لتصرفات المشاركين حضورياً ، و أن للتحليل هدف مهم... يكمن في محاصرة الطريقة التي يتفاعل وفقها المتعاملون الاجتماعيون بعضهم

³⁵⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 82 .

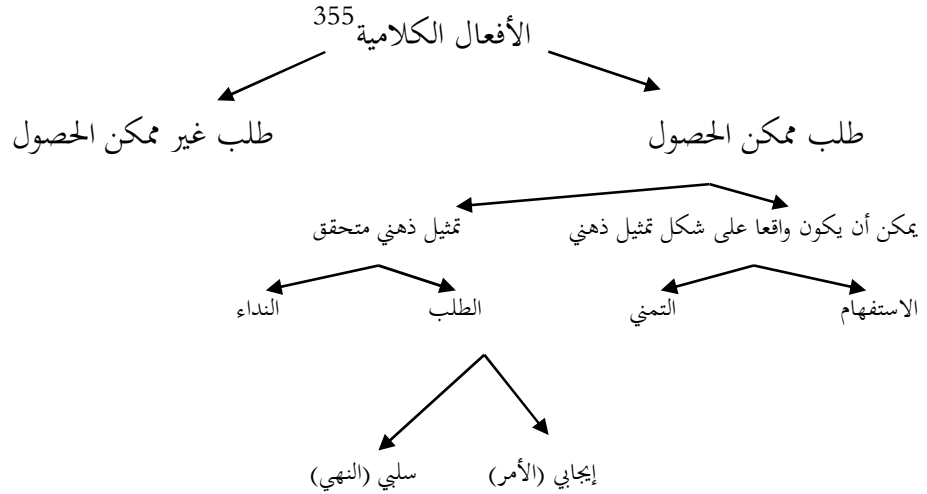
³⁵¹ المرجع نفسه ج9، ص: 12 .

على بعض، انطلاقاً من استخدامهم اللغة³⁵²، فإن الفعل الكلامي فيه أداة إجرائية فعالة في تقسيم الظاهرة الإنشائية، و تمييزها عن الخبرية، إذ أنه هو المنجز بواسطة الكلام، و قد "تلعب الأفعال الكلامية دور تحويل معتقدات المتخاطبين من جهة، و استمرارية الخطاب بين أطرافه من جهة أخرى، إن أقوال المتكلم تنبني على ما قاله المخاطب، فلا توجد هناك أقوال قوالب، كل قول يخضع لمضمون القول السابق و للافتراضات و التأويلات التي يحتويها"³⁵³، و أكثر ما يوجد الفعل الكلامي في الإنشاءات غير الطلبية، مثل ألفاظ العقود و المعاهدات بما هو إيقاع للفظ، في علاقة تناظرية بما يسمى اتجاهات المطابقة ما بين القول و العالم أو لعكس، غير أن الفعل الكلامي لا يجيء إنشائياً خالصاً، و لكنه قد يجيء عن طريق الإخبار . و لذلك فإن "المنهج الإجمالي العام لتفكير الأصوليين في ظاهرة (الأفعال الكلامية) ينهض على دعامة الاعتداد بتقسيم الخطابات في الكلام العربي إلى خبر و إنشاء كما تصورها البلاغيون و المناطقة و النحاة، و لكن دارسين محللين للنص القرآني بعمق—من طراز الرازي و الشاطبي و القرآني و غيرهم— لم تكن لترضيهم أدبيات الدرس البلاغي و النحوي فعمدوا—وعبر منهج استقرائي تحليلي— مكنهم من استنباط أغراض و إفادات و قواعد تشريعية من الخطاب القرآني، هي في الأخير مناط مقصد الشارع، و يبدو أن الأصوليين، من هذه الجهة التداولية، قد استأثروا بالبحث فيما فرط فيه كثير من النحاة، و ذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام و أوجه استعمالاته و إدراك مقاصده و أغراضه، و ما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة"³⁵⁴، و يمكن أن تمثل للفعل الكلامي بالخطاطة التالية:

³⁵² Catherine Kerbrat Orecchioni- Les interactions verbales, T1, Armand Colin, éd 3, Paris, 1990, P:17 .

³⁵³ عمر بلخير- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 193 .

³⁵⁴ مجلة الآداب و اللغات- تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مسعود صحراوي- عدد07- جامعة الأغواط-2011 .



هذا و "يجب على المتحدث Enonciateur أن يصل إلى أن يعرف المرسل إليه Destinataire بنيتته لإنجاز فعل معين. وهذا هو الذي يبيّن أنه أثناء حديثه، حيث لا يعتبر الحديث كلياً حديثاً، إلا إذا أمثل باعتباره معبراً عن نية من هذا النوع بالنسبة للمرسل إليه... و يقودنا هذا المعنى إلى عمق الجهاز التداولي Dispositif pragmatique إلى انعكاسية الحديث Réflexivité de l'énonciation، بمعنى أن فعل الكلام أو الإنجاز ينعكس في الحديث"³⁵⁶، و تكثر أفعال الممارسة في بصورة محسوسة في الخطاب القرآني، و الشنقيطي يستخرجها على شكل ماهو واقع في الأمر أو الوعظ أو الإنذار، إذ أنه "ينجز فعل ممارسة عند إصدار حكم مناسب أو غير مناسب، حول تصرف أو حول تبرير، حيث يرتبط في الأمر مثلاً على ما يجب أن يكون أكثر من تقدير ظرف معين ... و تستلزم هذه الأفعال أن الآخر مضطر لإنجاز الفعل"³⁵⁷ و قد اقترح سيرل بعد تقسيمات أوستين³⁵⁸ خمسة أصناف للفعل الكلامي و هي: التقريريات، و الوعديات، و الأمريات، و الإيقاعيات و البوحيات³⁵⁹.

و هو ما يورد بكثرة في تفسير الشنقيطي، فلنلاحظ مستوى ورود الفعل الكلامي في تفسيره :

- خبر أريد به الإنشاء في قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْلًا قَوْمِؤِنِ اللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِؤِ وَاُدُوْنَ مِنْ حَادِّ اللّٰهِ وَسُوْلُهُؤِ وُلُوْكَ اَنْوَابِؤِ اءِ هُمْ اَوْلَادِ اءِ هُمْ اَوْ اِخْوَانِهِمْ اَوْ عَشِيْرَتِهِمْ اَوْلِيٰكَ كَتَبْنَا فِي قُلُوْبِهِمْ

³⁵⁵ Ahmed Moutaouakil- Réflexions sur la théorie de le signification, Thèse, Faculté des lettres, rabat, 1982, P: 178 .

³⁵⁶ Dominique Maingueneau- Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990, P: 113 .

³⁵⁷ J.Austin- Quand dire c'est faire, trad: Gives-Lane, éd du Seuil, Paris, 1970, P: 161 .

³⁵⁸ هناك خمسة أصناف للتلفظ بحسب تقسيم أوستين: أفعال الحكم verdictifs، أفعال الممارسة exercitifs، أفعال الوعد promissifs، أفعال السلوك comportatifs، أفعال العرض expositifs .

³⁵⁹ J.Searle- Sens et expression, trad: Joëlle Proust, Minuit, Paris, 1982, P: 51-70 .

الْإِيمَانَ وَأَيَّلَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
وَرُحُوا عَنْهَا وَأُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿22﴾ [المجادلة: 22].

يقول الشنقيطي في هذا الموضع: "وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر ، والمراد بها الإنشاء ، وهذا النهي البليد ، والزجر العظيم مولاة أعداء الله ، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى و أكد ، من إيراد الإنشاء ، كما هو معلوم في محله ، ومعنى قوله { يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } : أي يجنون ويوالون أعداء الله ورسوله.

و ما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن مولاة أعداء الله جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآئُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَلَا يَئِينَنَا وَإِنَّ بَيْنَكُمْ وَالْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَدَأَ حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ } [الممتحنة : 4] . وقوله تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أُشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بِبَيْنِهِمْ } [الفتح : 29] وقوله تعالى : { فَسَوْفَ آتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ يُؤْمِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ } [المائدة : 54] . وقوله تعالى : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ غُفْلَةً } [التوبة : 123] الآية . وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } [التوبة: 73] ³⁶⁰.

- الفعل المتضمن في القول : على ما يفهم من صيغة التعجب، في قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ تَأْتُونَ نَارًا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ بِلُؤْلُؤِهِمْ ضَلَالٌ مُبِينٌ ﴾ [مریم: 38].

و سياقها في القرآن وارد على ما يذكر الشنقيطي ، يقول : "بينه في مواضع أخر . كقوله في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ذَاكَ سُورًا وَسِمْهٌ عَدْرٌ رَبِّهِمْ يَوْمَ ذَلِكَ نَبِئًا مَرئيًا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنِّي نُوْقِرُونَ } [السجدة : 12] ، وقوله تعالى : { لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا مَا عَلَيْكَ مَغَاءَ كَفِضْكَ الْيَوْمَ حَلِيدٌ } [ق : 22] ، وكقوله في غفلتهم في الدنيا وعدم إبصارهم وسمعهم : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } [الأنبياء : 1] ، وقوله : { يَعْطُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } [الروم : 7] ، وقوله : { تُصِيبُكُمْ عَائِسَةٌ فَمِنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } [البقرة : 18] ، وقوله : مثزلُ الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع } [هود : 24] ³⁶¹.

³⁶⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج7، ص: 486 .

³⁶¹ المرجع نفسه ج4، ص: 198 .

إن الفعل المتضمن في القول إنما يظهر في الآيات السياقية التي أدرجها الشنقيطي، و بها بان المراد من صيغة التعجب أن الأمر يتعلق هنا للوعيد و التهديد، و ليس للمدح .

- الأمر في فعل الوعيد : في قوله تعالى ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ [النحل:55] .

يقول الشنقيطي : صيغة الأمر في قوله { فَتَمَتَّعُوا } للتهديد . وقد تقرر في « فن المعاني ، في مبحث الإنشاء » ، وفي « فن الأصول ، في مبحث الأمر » : أن من المعاني التي تأتي لها صيغة افعل التهديد . كقوله هنا : { فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } وتشهد لهذا المعنى آيات أخر . كقوله . { قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } [الزمر:8]، وقوله : { قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّكُمْ إِلَى النَّارِ } [إبراهيم:30] : { ذُرِّهِمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْمِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَلْمُونَ } [الحجر:3] ، وقوله فذُرِّهِمْ يُخَوِّضُونَ وَيَلْمَعُونَ وَحَتَّىٰ يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ } [الزخرف:83] وقوله : { كَلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ بُجُورُونَ } [المرسلات:46]، وقوله : { فَذُرِّهِمْ حَتَّىٰ يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ } [الطور:45] ، إلى غير ذلك من الآيات ³⁶² ، فصيغة أسمع بهم و أبصر يعد تعجب يراد به المدح في الأقوال العادية ، و لكن هنا خرج إلى الذم بدليل سياق الآية و الآيات الأخرى التي في نفس السياق ، فالفعل المتضمن في هذا القول هو الذم .

كان هذا الذي سقناه نماذج من الأفعال الكلامية الواردة في تفسير الشنقيطي، و فائدتها أنها أحدثت أفعالا لها قوة إنجازية كبيرة، مثل فعل التهديد، و مثل فعل الذم .. الخ، و هذا الفعل المنجز حادث من مراعاة المقتضى في آيات أخرى لها نفس الوجهة المقصدية، و لذلك أثر هذا على المعاني في أنها خرجت إلى التحقق، و هذا هو الدور الحقيقي للغة، كان هذا في مستوى الأفعال الكلامية فماذا بشأن الحجاج ؟ و هل له دور في عضد المقولات ؟ هذا ما سنعرفه في ما يأتي من كلام .

• سياق الحجاج :

يعد الحجاج أو المحاجة آلية مهمة تبنيتها أغلب بحوث تحليل الخطاب المعاصرة، و تكمن أهميتها في انطباقها السهل و اليسير على جل المدونات التي يعينها الدرس التداولي بالتحليل، و لذلك فإن الحجاج يراعى من قبل "منظورات ثلاثة كبرى: منطقي و لغوي و محادثي، و "إن هدف نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تقدم لهم" ³⁶³ ، هذا و

³⁶² السابق ج3، ص: 191 .

³⁶³ P.Charaudeau et d.maingueneau- Dictionnaire d'analyse du discours,Seuil,1 éd,paris,2002,p:66

"تبين الميزة القصدية للحجاج و كذلك الاستدعاء الضمني للإجابة التي تؤسس الحجة أن العلاقة الحجاجية هي بطريقة معينة قريبة من علاقة الاستلزام Implication"³⁶⁴، و هذه المنظورات هي:

"المنظور المنطقي: يرى اعتماد منطق خاص باللغات الطبيعية. و تجسد هذا التمشي نظريتان أساساً: اللسانيات النفسية المعرفية و علم الدلالة المنطقي..

المنظور اللغوي: إنه منظور يتبلور في أبحاث أوزفالد ديكره عن الحجاج في اللغة. و بخلاف المنظور السابق فإن البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، و لكنها لغوية بالأساس..

المنظور المحادثي: إذا كانت البنية المنطقية للتفكير في منشأ اللغة، فإن الخطاب و التبادلات اللغوية هي مصبها"³⁶⁵، و البلاغيون يعرفون المذهب الكلامي -الذي هو في الاعتبار ما يقابل الحجاج- بقولهم: هو "إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، و هو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزماً للمطلوب"³⁶⁶، و هدف هذا تغيير اعتقاد المخاطب بتلك الآليات، إذ أن "هذا السياق التخاطبي الحواري الذي تشير إليه بعض التعريفات يرسخ المذهب الكلامي في بعده الخطابى المحاجي"³⁶⁷، لذلك فالحجاج موجود في هذا الخطاب التفسيري، عبر هذه النماذج:

- في سياق قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك:10].

هذه حجة على الكفار بألستهم ، و يورد الشنقيطي حججا أخرى من القرآن تحسب عليهم، و هي كالتالي : " {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ } [البقرة: 7] .

وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ كِتَابًا أَن يَفْقَهُوهُ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآءًا ﴾ [الكهف: 57] .

وقد بين هذا الذي ذكره رحمة الله تعالى علينا وعليه عدة نصوص صريحة في ذلك ، منها أصل خلقتهم الكاملة في قوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ لَمْ يَسْأَلْ لَهَا مِنْ يَدِنَا شَيْئًا وَلَا يُبَدَّلُ فِي الْإِنْسَانِ [2] . و في آخر سورة الملك هذه قوله { قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ بَلَا مَا تَشْكُرُونَ } [الملك : 23] . و لكنهم سمعوا وعصوا ، كما في قوله : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : 23] .

³⁶⁴ Jacques Moeschler- Argumentation et conversation, Hatier-Grédif, Genève, 1985, P: 53 .

³⁶⁵ صابر الحياشة- التداولية و الحجاج، صفحات للدراسات و النشر، ط1، سورة، 2008، ص: 17 إلى 19.

³⁶⁶ سعد الدين الفتازاني- مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح للقرويني، تح: عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، ط 01، بيروت، 2003، ص: 411 .

³⁶⁷ شكري المبحوت- الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، و كلية الآداب منوبة، ط 01، تونس، 2006، ص: 177 و 178 .

العجل بِكُفْرِهِمْ} [البقرة:93] . و هذا ، وإن كان في بني إسرائيل ، إلا أنه قال لهذه الأمة : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا هَذَا مَا رَأَيْنَاهُ مِنَّا وَمَا لَنَا بِهِ وَمَا هِيَ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } [الأنفال:21] ، وقال تعالى عنهم : { قَالُوا قَاتِلْتُمُوهُمْ فَتَرَاهُمْ يَهْرَبُونَ } [الأنفال:31] .

وقوله عنهم : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْفِ بِهِ } [فصلت : 26] وقد بين تعالى سبب عدم استفادتهم بما يسمعون في قوله تعالى : وَيَوْمَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ هُدًى لَّكَرُّوْا أَقْبَابَهُمْ يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّمْ كَبِيرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا شَرَّهُ بِغَضَابٍ شَدِيدٍ وَإِنَّمَا يُنذِرُ نَذِيرًا لِّلَّذِينَ هُمْ يُوعظُونَ } [9] . وقوله : { وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَلِي مُّتَكَبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا } [لقمان:7] . فقولهم هنا : { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ لَوَعَلَّ } { أي سماع تعقل وتفهم }³⁶⁸ .

إن قوة الحججة تأتي في قيمة التذكير الذي يورث الحسرة و الندم في منطوقات الآيات و مفهوماتها، لأن الأوان قد فات حتى يصحح الإنسان ما بدر منه، ثم أنه قد وصل إلى نهاية المطاف، و ثالثاً أنه يرى الذين يدخلون الجنة فيزداد حسرة و نداماً حيث لا ينفع الندم .

- التدرج بالحجة : في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين:5] .

فالوارد في هذه الآية يعد أقوى إذا ما قورن بآيات بالسياق نفسه ، و الشنقيطي يقول في هذا المضمون : " كما في قوله تعالى : { وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْخَلْقِ } [يس : 68] . و ذكر الشيخ رحمه الله تعالى علينا³⁶⁹ وعليه هذا القول ، وساق معه قوله : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً } [الروم : 54] ، وساق آية التين هذه { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } [التين : 5] ، وقال : على أحد التفسيرين ، وقوله : { وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلٍ عَلَّمَهُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } [الحجج : 5] ، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس رواه ابن جرير³⁷⁰ .

أول حجة هي أن الله خلق الإنسان و خلقه من ضعف، ثم تدرج الحججة إلى أن يرد الإنسان إلى أسفل سافلين (لها عديد المقاصد)، و يظهر المعنى الجلي المحسوس الذي يفهم من قبل الإنسان في تذكير الإنسان بالكبر في السن إلى أزدل العمر (في حاله يحدث النسيان) و هذه حجة بالغة للإنسان الذي يعتبر من مشاهد كهذه .

إن الحجاج من طريق مثل طريق التفسير، لأبين و أوضح لطبيعة المدونة التي هي اعتباراً خطاباً دينياً يستوجب الإقناع، و قد بين توظيف الحجاج، في أن الآي القرآني يعضد بعضه بعضاً و يشهد لبعضه البعض، بالحجة و البرهان سواء ما وقع باللغة أو ما وقع بالعلاقة المنطقية، و الحجاج في تفسير الشنقيطي كثير جداً، لا يمكن أن نحصره في بعض الأسطر، و لكنه يتطلب بحثاً كثيرة، و لأن

³⁶⁸ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج8، ص: 194 .

³⁶⁹ المرجع نفسه ج9، ص: 143 . الكلام للشيخ عطية سالم أحد تلامذة الشنقيطي ، و الذي أتم عمله في هذا التفسير .

³⁷⁰ المرجع نفسه ج9، ص: 143 .

الاستشهاد و الاحتجاج خرج إلى سياقات غير قرآنية، جعلنا هذا ندرج عنصراً بالسياق المستشهد به غير القرآني، فماذا يمكن أن نجد فيه ؟

• سياق الاستشهاد بغير القرآن :

إضافة إلى ما قد قلناه في الحجاج، فإن موضوع الاحتجاج باب متسع جداً، و لذلك عقدنا عنصراً خاصاً بالاستشهاد بغير القرآن، و ما نقصده هنا هو الحديث النبوي، و أقوال العلماء، و من الكلام المنظوم، و الشعر، و ذلك حتى نستوفي بصورة نسبية المقولات، التي عضدت كلام الشنقيطي من قريب أو من بعيد، و نبدأ بما هو موجود في تفسير الشنقيطي من حديث شريف :

- الاستشهاد بالحديث : في قوله تعالى : ﴿ وَوَمَ نَبَعُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَجُنْدًا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا مَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ أَنْتَبِيْهِ أَنْزَالًا كُلِّ شَيْءٍ وَهَلَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89] . يقول الشنقيطي على هذا الاعتبار : " وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ علي » قال: فقلت يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك نزل؟! قال : « نعم . أي أحب أن أسمع من غيري » فقرأت « سورة النساء » حتى أتيت إلى هذه الآية : { فَكَيْفَ إِذِ اجْتَمَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجُنْدًا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النساء : 41] فقال : « حسبك الآن » فإذا عيناه تذرفان" ³⁷¹ .

- أيضا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا ﴾ [الإسراء: 36] . يقول الشنقيطي : " و في الحديث : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » ³⁷² .

كان استشهاده بالحديث النبوي كثيراً و في سياقه من القول، لأنه كما هو معلوم فإن الحديث الشريف جاء ليبسط معاني القرآن في الأساس، لذلك فقد تناسب القولان في المعنى و القصد، و زيادة على هذا فالسياقات الحديثية تتظافر لتفصيل مجمل، أو لتخصيص عام، في الخطاب القرآني، و ماذا الآن بشأن الاستشهاد بكلام العلماء ؟

³⁷¹ السابق ج3، ص: 225 .

³⁷² المرجع نفسه ج3، ص: 381 .

- الاستشهاد بكلام العلماء : في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الأعراف:54] . يقول الشنقيطي : " هُوَ مَعَى قَوْلِ الْإِمَامِ هَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَالْكَفُّ غَيْرُ مَقْوولٍ ، وَالسُّؤَالُ عَمَهُ بِدَعَةٍ " 373 .

- في قوله تعالى أيضا : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَهِيمِهِمْ خَلْفًا أَضَاءَ وَالصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَابًا﴾ [مريم:59] . فيقول الشنقيطي : " وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُ الْإِمَامُ أَبُو وَحِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَنَفِيَّانُ الثُّورِيِّ ، وَالْحَقِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ : إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمَلًا تَكَاسَلًا وَتَهَانًا مَعَ قَرَارِهِ بِوَجْهِهِ بِالْقَلَالِ وَلَا يُكْفَرُ بِهِ لِذَلِكَ مُرُورًا بِسَخْتِ صَطِيٍّ " 374 .

- في قوله تعالى أيضا : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ مِزْرًا حَرْثًا لَكُمْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً وَتَبَسُّونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازٍ وَمِنْ مَوْلَاهُ أَنْ يَغْوَا مِنْ فُضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:14] . يقول الشنقيطي في سياقها : " أَمَّا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ : وَلَا أَكْرَهُ لِمَنْ لَبَسَ اللَّؤْلُؤَ ، إِلَّا لِأَنَّهُ مِنْ رِيِّ النَّسَاءِ ، فَلَيْسَ مَحَالًا لِهُذُلِكَ ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرُدِّ فِي النَّهْيِ عِنْدَهُ وَصِيءٌ شَيْءٌ " 375 .

- و في قوله تعالى أيضا : ﴿لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الدَّامِنِينَ عَلَيْهِمْ مَتْرُوقٌ﴾ [البقرة:173] . فيقول الشنقيطي : " وَأَمَّا مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا يَلَاعَ بِشِئْءٍ إِلَّا فِي الْمَافِيئَةِ لَهُ حَلَالٌ ، وَالطَّائِبِي مِنْهُ وَغَيْرُهُ سَوَاءٌ ، وَأَمَّا يَلَاعُ بِشِئْءٍ فِي الْبَرِّ مِنْ حَيَوَانٍ فَحَرْمَةٌ عَلَيْهِ ، فَلَا يُدْرِكُ مِنْ ذَكَاتِهِ إِلَّا مَا لَا دَفْعَ لَهُ ، كَالسُّوْبَانِ فِيئُهُ بِأَحَدِهِ مِنْ غَيْرِ ذَكَاتٍ " 376 .

يدل استشهاده بكلام العلماء و الأئمة أنه يأخذ الفقه عن الأئمة الأربعة، كما يستشهد بمن رأى فيهم حسن المنطق و سعة البيان، و لا يتحيز لأحد دون الآخر إلا بمقياس العلم . و هذا يدل على أن مثل هذه الأخلاق العلمية ينبغي أن تكون عند جميع العلماء لأنها بالفعل الصفات الراجعة التي تميز علم العالم بالأصالة و النفاذ .

هذه نماذج أوردناها للتدليل بها على ما ورد من استشهادات العلماء، و لكن يستعين الشنقيطي أيضاً بكلام الشعراء و صانعي المنظومات في تفسيره :

● الاستشهاد بالشعر و المنظوم :

373 المرجع نفسه ج2، ص: 213 .

374 المرجع نفسه ج4، ص: 226 .

375 المرجع نفسه ج3، ص: 161 .

376 المرجع نفسه ج1، ص: 95 .

عندما نقول أن مفسر القرآن يستشهد بالشعر ليس المراد بهذه العبارة أن نجعل القرآن و الشعر
 بنيتين دلالتين متناظرتين من حيث الدرجة و القيمة، و لكن المقصود بذلك أن الشعر قد يحل بعض
 إشكالات المعنى المتعلقة ببنية اللفظ أو المعنى، مع أن هناك - في عهد البعثة - من كان لا يقيم حداً
 فاصلاً بينهما و ذلك حين أُتِّم الرسول بأنه شاعر فواقعة كهذه "لا يمكن إلا أن تدل على أنهم لم يميزوا
 بين القرآن و بين الشعر"³⁷⁷، فكل تناولنا مقرون بوجود ظاهرة الشعر في خطاب الشنقيطي الموجه
 لتفسير القرآن، لذلك سنمثل هذه الظاهرة ببعض النماذج:

- و في سياق قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ أَتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَائِرٍ أَتِينَ مِنْ
 كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

يقول الشنقيطي: "الأذان في اللغة: الإعلام: ومنه قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ رَسُولَهُ إِلَى النَّاسِ
 يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: 3] وقول الحرث بن حنظلة:
 أذنتنا بينها أسماء... رب ثاوٍ يمل منه الثواء
 والحج في اللغة: القصد، وكثرة الاختلاف، والتردد: تقول العرب: حج بنو فلان فلاناً: إذا قصدوه
 ، وأطالوا الاختلاف إليه، والتردد عليه. ومنه قول المخبل السعدي:
 ألم تعلمي يا أم أسعد أنما... تخاطبني ريب المنون لأكبرا
 وأشهد من عوف حلولا كثيرة... يحجون سب الزبرقان المرعفرا...
 والفج: الطريق، وجمعه: فجاج: ومنه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَأَكْمَامٍ مِّنْ لَّيْمُونٍ﴾ [الأنبياء: 31] والعميق: البعيد، ومنه قول الشاعر:
 إذا الخيل جاءت من فجاج عميقة... يمد بها في السير أشعث شاحب"³⁷⁸.

إن الشواهد الشعرية التي استشهد بها الشنقيطي تدل على اطلاعه و استيعابه على أفانين الشعر و
 خاصة القديمة منها كيف لا و الشعر هو المخزن الذي لا ينضب من الألفاظ و المعاني، يحافظ على
 اللغة من الضياع، و يساهم في تطوير اللغة و استحداثها، و قد فسر العلماء القرآن بما للشعر من
 أدوات في الدلالة لفظاً أو معنى و للبيهقي حديث للرسول في هذا المعنى يقول: "عن عكرمة عن ابن
 عباس قال إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليتمسه في الشعر فانه ديوان العرب هذا
 هو الصحيح موقوف (وقد أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني
 بالكوفة ثنا أحمد بن موسى الحمار ثنا الحسن ابن علي ثنا يحيى بن آدم أنبأ إسرائيل عن سماك عن عكرمة
 عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر حكمة وإذا

³⁷⁷ مصطفى الجوزي - نظريات الشعر عند العرب ج1، دار الطليعة، ط 02، بيروت، 1988، ص: 75.

³⁷⁸ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج5، ص: 42.

التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه من الشعر فانه عربي" ³⁷⁹، و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحب من الشعر جيده، و كانت له أنماط "لتوجيهاته شعراء الإسلام عندما كان يجيد هؤلاء الشعراء في قولهم و يحسنون في منطقتهم، يجد ذلك صداه عند الرسول -صلى الله عليه و سلم- و يعبر لهم عن استحسانه بأساليب مختلفة، فحين أنشده النابغة الجعدي قوله:

و لا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه إن يكدر

و لا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدر

و دعا له بالخير بعد أن استجد قوله، فقال له: أجدت، لا يفضض الله فاك. و يقال أنه عاش مائة و ثلاثين سنة لم تفضض له سن ³⁸⁰.

- و كذلك يستشهد بالمنظوم في سياق قوله تعالى: ﴿وَيَلْمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7].

فيقول الشنقيطي مستشهدا بمراقي السعود: " وَأَشَارَ فِي «هَوَاقِي السُّعُودِ» إِلَى حَدِّ التَّأْوِيلِ، بِأَنَّ

الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةَ قَوْلَهُ مُؤَفَّلاً لِتَأْوِيلِ: [الرَّجْر]

حَمَلٌ لظَاهِرِ عَلَى الْمَوْجِ ... وَأَقْسَمُ لِمُفَاسِدِ وَالصَّحِيحِ

صَحِيحُهُ هُوَ الْقَرِيبُ مَا حَمَلَ ... مَعْقُودَةُ الدَّلِيلِ عِنْدَ الْمُتَمَلِّ

وَعِيهِ الْفَاوَلِبُ عِيدٌ ... وَمَا مَخْلَعٌ بِإِيْدٍ

إِلَى أَنْ قَالَ: [الرَّجْر]

فَجَلَّ مُسْكِينٌ بِمَعْنَى الْمُدِّ .. بَعْدَ مَا لَمْ يَحْمَلْ مَا تَبَدَّى

كَحَمَلِ امْرَأَةٍ عَالِطَتِي بِرَةِ ... يَوْمًا مَا فِيهَا الْوَكْبِيرَةُ

وَحَمَلٌ مَا وَدَّ فِي الصَّبِيِّ مِمَّا .. عَمِلَى الْقَضَاءِ مَعَ الْإِلْتِزَامِ

أَقْتَابِيلُ فِي اصطلاح خط يلبين إسحاق المالكي الخاص به في «مختصره»، فهو عبارة عن اختلاف

شوح «المؤونة» في المراد عندما لك - رحمه الله - وأشار له في «المراقي» بقوله: [الرَّجْر]

وَالخَلْفُ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ صَيْرٌ ... إِيَّاهُ تَأْوِيلًا لِمَا لَمْ يَحْمَلْ صَوْرَةً ³⁸¹.

يقول ابن القيم في التأويل مفرقا بينه و بين الفقه " وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَقْهِ وَالتَّأْوِيلِ أَنَّ الْفَقْهَ هُوَ فَهْمُ

الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَالتَّأْوِيلُ إدراك الحقيقة التي يؤول إليها المعنى التي هي أختصاصه أو أصله، وليس كل من فقه

في الدين عرف التأويل، فمعرفة التأويل يختص به الراسخون في العلم، وليس المراد به تأويل التحريف

وتبديل المعنى؛ فإِنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَحْمَلُونَ طَلَاذِهِمْ وَاللَّيْمُ عَلَيْهِمْ طَلَاذُهُ ³⁸²، و هو على العموم ما

يتناسب مع قول الشنقيطي في إيراد المنظوم مراقي السعود حول التأويل و قواعده.

³⁷⁹ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - السنن الكبرى ج10، دار الفكر، ط 02، بيروت، 1411هـ، ص: 241.

³⁸⁰ سامي مكي العاني - الإسلام و الشعر، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996، ص: 44.

³⁸¹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج1، ص: 209 و 210.

³⁸² ابن قيم الجوزية - إعلام الموقعين عن رب العالمين ج1، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1968، ص: 332.

الاستشهاد بالشعر و منظومات المعرفة كثير في خطاب الشنقيطي، فالرسول صلوات الله عليه يقول (إن من الشعر حكما و إن من البيان سحرا)، فمعرفة عبارات القرآن تحتاج إلى معرفة كلام العرب و ألفاظها، و يحتاج فيه إلى الاطلاع على شعر القبائل التي وسمت لغتها بالفصاحة، لذلك نلاحظ أن الشنقيطي يستشهد بالشعر فيورد سياقات متتالية في نفس القضية، حتى يقع الفهم بها، و نلاحظه كذلك يستشهد بالمنظومات الفقهية، و النحوية و ما أورده كثير مختلف.

هذا و قد تناول الشنقيطي قضايا أخرى تتصل بعلوم القرآن و تعتبر سياقاً موقفياً، من مثل أسباب النزول، و معرفة المكي و المدني، و الإعجاز القرآني، و علوم القرآن كثيرة جدا غير أننا اخترنا بعضها في بحثنا لعلاقته بالمطالب المتاحة، فماذا يمكن أن يوجد في هذه السياقات ؟

3- معرفة علوم القرآن (سياق الموقف) :

و من الجوانب غير اللغوية - فضلا على ما أسلفنا من ما يتعلق بالتداولية - جانب معرفة علوم القرآن، أو إن صح القول بسياقات الموقف ، و هي كثيرة ، و كان اختيارنا لأسباب النزول و معرفة المكي و المدني مبنيا على أسس منهجية ، و ذلك لعلوق هذه المحاور بالسياق الخارجي بصورة كبيرة ، إذ أن نزول القرآن كان لأسباب و في أماكن جغرافية و اجتماعية محددة لا تتشابه كلياً في نواحيها الثقافية و الفكرية، و تناولنا يستقرىء آليات الشنقيطي في ربط أسباب النزول و معرفة المكي و المدني و سياق الإعجاز بالمعنى المنجر من المقارنة التي عقدها الشنقيطي بالآيات التي لها نفس السياق، سواء كان هذا السياق شكلياً أو مضمونياً ، و هذا مدعاة لحضور جملة من المقاربات المهمة في التحليل .

• أسباب النزول :

تكمن أهمية أسباب النزول في أن علم المعاني والبيان مداره على مقتضيات الأحوال، و أن الجهل بأسباب النزول موقع في الإشكالات الكثيرة المؤدية إلى عدم فهم المقصود بمعنى الآية أو السورة، فإيضاح سياق الآية يكون ب"إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سييلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا

عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار³⁸³، و يعد العلم بسبب النزول مانعا من تعميم الحكم بمفهوم الآية، إلا بما هو مناسب بين وقائع سبب النزول و ما بين المسألة الفقهية، في الشروط المتكافئة، و لذلك نلاحظ أن الشنقيطي يركز عليه في التحليل، و نورد الشواهد التالية للتدليل :

- في سياق قوله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: 83].

و يقول الشنقيطي في هذا الشأن : " وروي عن مجاهد : أن سبب نزول هذه الآية الكريمة : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَاللَّهُ لَ لَكُمْ بِمُنِّهِمْ وَأَنْتُمْ كَانُمْرًا كَوَّارًا﴾ [النحل : 80] فقال الأعرابي : نعم! قال : ﴿وَجَلَّ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بِئِنَّ يَأْتُونَ﴾ [النحل : 80] الآية . قال الأعرابي : نعم! ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابي : نعم! حتى بلغ ﴿كَذَلِكَ تُنْكِرُتُهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُطُونَ﴾ [النحل : 81] فولى الأعرابي . فأنزل الله : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل : 83] ³⁸⁴.

لقد عرفنا التفسير بواسطة أسباب النزول، بأن نزول هذه الآية كان من أجل فئة الأعراب الذين يتكبرون للمبادئ المشروعة و لا يحفظون عهداً و لا وعداً، لذلك وصفهم النبي بأنهم أشد كفراً و نفاقاً، و ابن خلدون يعتبر أن العرب (الأعراب) لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة ورئيسهم محتاج إليهم غالباً للعصبة التي بها المدافعة .

- و في سياق قوله تعالى : ﴿فَإِنْ شَهِلُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّأَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: 15] .

يقول الشنقيطي : " فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِيَّةِ لِلدِّينِ يَا أَيُّهَا الْمُحْضَرَانِ وَجَمْعَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَمُّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلمَوْضِعِ عَمَّا فِي التَّوْرَةِ مِنْ رَجْمِ الزَّانِي الْمُحْسِنِ ، طَبِيلٌ قُرْآنِيٌّ وَاضِحٌ عَلَى بَقَاءِ حُكْمِ الرَّجْمِ ، وَيُضِحُّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى جَلَّ لَهُنَّ السَّبِيلَ بِالْحَدِّ ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ : « خُطُّوا عَنِّي ، قَدْ جَلَّ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا » الْحَلِيثُ ³⁸⁵ .

³⁸³ أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري - أسباب نزول الآيات، مؤسسة الحلبي وشركاه، درط، القاهرة، 1968، ص: 04 .

³⁸⁴ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 220 و 221 .

³⁸⁵ السابق ج1، ص: 240 .

بحسب ابن كثير فقد "كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة، حُجبت في بيت فلا تُمكن من الخروج منه إلى أن تموت؛ ولهذا قال: {وَاللَّائِي آتَيْنَ الْفَاحِشَةَ} يعني: الزنا {مَنْ نَسَأَ كُمْ فَاسْتَشْهِلُوا لَمْ يَلْحَقَنَّ عَزَّةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِلُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك.

قال ابن عباس: كان الحكم كذلك، حتى أنزل الله سورة النور فمسحها بالجلد، أو الرجم وكذا روي عن عكرمة، وسعيد بن جبيرة، والحسن، وعطاء الخراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك: أنها منسوخة. وهو أمر متفق عليه³⁸⁶ وهو المقصود بالقول.

كان ما أوردناه من نماذج متعلقا بأسباب النزول، وكيف أن أسباب النزول كانت بمثابة السياق الموقف، الذي ساعد على تقريب صورة كيفية نشوء الحكم من البداية من النص القرآني، و بالتالي ربطه بمقتضيات الأحكام التي تبيء من بعده، وهذا أفاد منه الشنقيطي أبما إفادة، فاستعمله و هو يقارن في نفس الوقت ما بين الآيات، و لكن أسباب النزول لا تكفي وحدها حتى يعرف المكان الذي نزلت به الآية، أنزلت بمكة؟ أم نزلت بالمدينة؟ جواب هذا في ما يلي :

• معرفة المكي والمدني :

من فائدة الاطلاع على ما هو مكي من ما هو مدني، هو معرفة أحكام اختلاف الدارين مكة و المدينة، و مراعاة الظروف و المناسبات و أحوال المكلفين بها، و كيف كان حال المهاجرين و ما طبيعة أحكامهم؟، و كيف كان حال الأنصار و ما طبيعة أحكامهم؟، و لمعرفة ما يتعلق بهذا دون ذلك لا بد من معرفة ما نزل بمكة، و معرفة ما نزل بالمدينة، و يمكن أن نوجز هذه الفوائد العامة في التالي:

1- معرفة الناسخ من المنسوخ، لأن ما هو مدني ناسخ لما هو مكي.

2- معرفة تاريخ التشريع الإسلامي.

3- مخاطبة كل قوم بمقتضى حالهم، بما ينعكس على الدلالة البلاغية فيه.

4- يعين على تفسير كثير من مواضع القرآن التي يقتضي فيها الرجوع إلى مكان نزول الآية .

5- معرفة المكي و المدني من شأنها أن تزيد من موثوقية القرآن .

³⁸⁶ أبو الفداء إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم ج2، ص: 233 .

غير أن معنى المكي و معنى المدني لهما اعتبارات ثلاثة هي:

أ- باعتبار الزمان: فالقرآن المكي ما نزل قبل الهجرة، و المدني ما نزل بعد الهجرة و يعد هذا القول من أشهر الأقوال .

ب- باعتبار المكان: يكون القرآن الذي نزل بمكة مكيًا، و القرآن الذي نزل بالمدينة مدنيًا، و ما نزل بالأسفار لا يطلق عليه لا هذا و لا ذلك.

ت- باعتبار المخاطب: يعد المكي مكيًا إذا كان الخطاب فيه موجه لأهل مكة، و يعد المدني مدنيًا إذا كان الخطاب فيه موجه لأهل المدينة.

حتى تعرف الضوابط التي تحكم الفقه من ملابسات، و الشنقيطي لم يغفل هذا الجانب، و أولاه أهمية خاصة في الشواهد التالية :

- في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء:60] .

يقول الشنقيطي : "بَيْنَ جَلِّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُرْبَى : أَنَّهُ أُخْبِرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ؛ أَي فُهِمَ فِي قَضِيَّتِهِمْ فِيهِمْ كَيْفَ شَاعِيَ سُلْطَانُهُ عَلَيْهِمْ وَحَفَظَهُ مِنْهُمْ . قَالَ بِحُضْرِ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فَصَّلَتْ بِحُضْرِ التَّفْصِيلِ فِي هَذِهِ الْإِحَاطَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : {سَيَهْمُ الْجَمْعُ وَيُلُونُ الدُّبُرُ} [القمر:45] ، وَقَوْلُهُ : {قُلْ لِلْمَنِينِ كُفُوا سَتَعْلَبُونَ} [الآية 45] ، وَقَوْلُهُ : {وَاللَّهُ يُحِصُّكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:67] ، فِي هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ ، وَبِحُضْرِ الْآيَاتِ الْمَكْتُورَةِ لَدُنِّي . أَمَّا آيَةُ الْقَمْرِ وَهِيَ قَوْلُهُ : {سَيَهْمُ الْجَمْعُ} [القمر:45] الْآيَةُ فَلَا إِشْكَالَ فِي تَلْيِيسِ آيَةِ مَا لِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ" 387 .

قد يوجد في السورة الواحدة ما هو مدني و ما هو مكي و الدليل ما أورده الشنقيطي في الآية أعلاه، و في الآية تفسير لمعنى الإحاطة التي هي إحاطة تدل على أنها -بحسب السياق المكي و المدني- إحاطة بالكافرين و السيطرة عليهم و ردهم إلى الإسلام، و هي إحاطة معنوية روحية يحيط بها الرسول المؤمنين الذين يتبعون هديه الرشيد .

387 محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 397 .

و- في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَطُومٌ﴾ (24) لِسَائِلِ
وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 25/24] .

يقول الشنقيطي : " هَذَا هُوَ الرَّصْفُ الثَّانِي ، وَدَسَاوِجِلَيْتَ الزَّكَاةَ ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ الْمَطُومَ لَا يَكُونُ إِلَّا
فِي الْفُوضِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ . وَلَا يَمْدُحُ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ ؛ فَقَلِيدَ كَوَائِلِ الْمَشُوعِيَّةِ بِمَكَّةَ
وَيَأْتِي تَفْصِيلُ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ فِي السَّلْطَنَاتِ يَدْعُو مِنَ الْحَجَّوِ ، وَهَذَا إِجْمَالَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .
الأول : فِي الْأَمْوَالِ .
والثاني : فِي الْحَقِّ الْمَطُومِ . أَي : الْقَلْبِ الْحَجَّوِ " 388 .

ففرض الزكاة من أساسه كان بمكة من حيث التشريع، و تدرج التشريع في التفصيل فيه بالمدينة،
حيث بين النوع المادي للزكاة أولاً و هو الأموال، ثم بين المقدار ثانياً .

هذا التناول للشواهد عرفنا به مقدار القيمة التي هي للمكان، فالمكان (بفعاليته) له دور عظيم في
استقامة مقاصد الموقف وفق اعتبارات ما نزل من آيات أولاً، و في صيرورة المكان مقاساً للأحكام على
تناسبها بالمقتضيات ثانياً، ذلك أن سياقات الموقف ممثلة في معرفة المكّي و المدني و أسباب النزول في
ارتباطها بعلوم القرآن تؤسس لانبثاق معاني الخطاب القرآني بصورة تقترب من الرؤية الحقيقية للمتصور
من المعنى المثالي، و هكذا كان الشنقيطي، يأخذ المعنى من فاعلية سياق أصغر (بنية) ليضعه في فاعلية
سياق أكبر (خارج)، فيتمخض إلى الحصول المستنتج ، فماذا عن السياق المذهبي ؟

● السياق المذهبي :

يعد السياق المذهبي بالأهمية بمكان باعتباره أحد أهم الموجهات السياقية دلاليًا في تفسير القرآن
الكريم، و التمدّج في الإسلام ظهر بعد نهاية القرن الرابع الهجري" و الواقع أنه ظهر في هذا الميدان
الفقهية ما ظهر في غيره من الميادين، و أهم حدث هو تسرب آراء في التشريع مما كان قبل عهد
الإسلام إلى الفقه الإسلامي، كما تسربت بعض النظريات اليونانية و الرومانية القديمة. و كان يمثلها

388 السابق ج8، ص: 222 و 223 .

الفقهاء، و يخالفهم أصحاب الحديث المتمسكون بالسنة القديمة، و الذين يقيسون الحياة بمقياس نصوص الوحي و السنة النبوية، و لم يشأ هؤلاء المتمسكون بالقلم أن ينزلوا عن مكانهم بسهولة، فقد كانت لهم الغلبة في إقليمين من أقاليم الإسلامية و هما فارس و الشام، و كذلك كانت لأهل الحديث غلبة في السند، كما كانت همدان و أجنادها أصحاب حديث. و كان أهم المذاهب بين أصحاب الحديث: الحنابلة، و الأوزاعية و الثورية. و لم يكن الحنابلة في ذلك حذافاً لما صار إليه الحال فيما بعد- يعتبرون من جملة الفقهاء³⁸⁹. و تتضح استعمالات الشنقيطي للسياق المذهبي في المثال التالي:

- و في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْطِقُمْ لِي الْكَمِينِ ﴾ [المائدة: 6].

يقول الشنقيطي في سياقها: «أجمع لمداء على جواز المسح على الخمين في السفر والحضر؛ وقال الشيعة والخارج: لا يجوز، وحكى نحوه القاضي أبو الطيب عن أبي بكر بن داود، والتحقق عن مالك، ورجل أصحابه، القول بجواز المسح على الخف في الحضر والسفر. وقد روي عنه المنع طلقاً، وروي عنه جوازه في السفر دون الحضر. قال ابن عبد البر: أظن أن ذكره إلا ما لا يروى أنه أكثر أصحابه والروايات الصحيحة عنه صواباً، ومطأه، يشهد للمسح في الحضر والسفر، وعليه جمع أصحابه، وجمع أهل السنة.»

وقال الباجي: رواية الإنكار في «تبيية» وظاهرها المنع، وإنما نهها أن الغسل أفضل من المسح، قال ابن وهب: آخر ما فارق ما لا على المسح في الحضر والسفر؛ وهذا هو الحق الذي لا شك فيه، فحاق بالباب من الحجاج عن مالك من جوازه في السفر دون الحضر غير صحيح، لأن المسح على الخف متواتر عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال الزرقاني في شرح «المطأ»: «جمع بعضهم روايته فجاءوا الثمانين، منهم العشرة، ورواه ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن البصري، حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخمين»³⁹⁰.

فهذا المثال يبين مدى تحكم الشنقيطي في قضية تطرقه للسياقات و إجراء المسألة على نحو يتسم بالموضوعية، فهو يحيل بالأراء على منابعها رصين في الحكم على حيثيات القضية إلا بما هو دليل فيها، فمثال المسح على الخفين على بساطته من حيث هو فعل يعد بالغ الأهمية، فالشيعة و الخارج لا يقرونه و أقرته السنة تسهيلاً للمسافر و العجlan و من تشملهم رخصة هذا الحكم.

³⁸⁹ آدم منز- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1، تر: محمد عبد الهادي أبوريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص: 346 و 347.

³⁹⁰ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج2، ص: 14 و 15.

فالسباق المذهبي يحدد المعنى من منطلق الخلاف ما بين المذاهب، فعندما تعقد المقارنة يظهر الفارق الذي يعضد الراجح و يستبعد المرجوح . هذا و يصل بنا البحث إلى إجراء أخير من علوم القرآن، و هو معرفة الإعجاز في القرآن، فيما يحيل عليه من مظاهر تعجيزية في القرآن الكريم بإمكاننا أن نسميه آلية التعجيز .

• سياق الإعجاز :

إن قضية الإعجاز القرآني قد استوعبت على فكر الكثيرين في القديم و الحديث، فقد "تضاربت الآراء حول ماهية هذا الإعجاز و مظاهره . و لم تكن القضية -في بادئ الرأي- مستقلة بالتأليف، و إنما عولجت مع غيرها من القضايا التي نشط فيها الكلام و تجادلت حولها الفرق، و بخاصة تلك التي تتصل بالنبوة و المعجزة، ثم ما لبثت أن أُفردت بالتأليف و راح العلماء و الدارسون يؤلفون حولها الكتب و الرسائل، كل حسب توجهه و قناعته"³⁹¹، يقول السكاكي: "اعلم أن قارعي باب الاستدلال، بعد الاتفاق على أنه معجز، مختلفون في وجه الإعجاز . فمنهم من يقول: وجه الإعجاز: هو أنه، عز سلطانه، صرف المتحدين لمعارضة القرآن عن الإتيان بمثله بمشيئته... و منهم من يقول: وجه إعجاز القرآن وروده على أسلوب مبتدأ مبين لأساليب كلامهم في خطبهم و أشعارهم... و منهم من يقول وجه إعجاز، سلامته عن التناقض...

و منهم من يقول: وجه الإعجاز الاشتمال على الغيوب..."³⁹².

و إعجاز القرآن "مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء به رسول صدق وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، ولكن للضرورة، وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها

³⁹¹ الباحث- النحو و صلته بالإعجاز القرآني، سليمان بن علي، عدد 01، جامعة الأغواط، 2009 .

³⁹² أبو يعقوب يوسف السكاكي- مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط 02، بيروت، 1987، ص: 512 .

ليسدعوا باتباعه في الدنيا والآخرة"³⁹³، و قد أشار كل من وجهة بحثه إلى إعجاز القرآن، فمثلا الباحث في اللغة و البلاغة يقول بأن الإعجاز في الأسلوب و البيان و هو صحيح، لذلك فقد "أدى البحث البلاغي و اللغوي إلى طرح مسألة إعجاز القرآن و السعي إلى الكشف عن أسرارهِ، و كان السؤال الجوهرِي: أيكمن إعجاز القرآن في لفظه أم في معناه؟ و كانت الإجابة عن هذا السؤال متعددة و مختلفة، لأن مذاهب القدامى في اللفظ و المعنى متفاوتة تفاوتاً كبيراً"³⁹⁴، و يمكن أن يحصل إجماع في أن الإعجاز إنما يكون في النظم العجيب للغة القرآن "و قد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم و تفخيم قدره و التنويه بذكره، و إجماعهم أن لا فضل مع عدمه، و لا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، و لو بلغ في غرابة معناه ما بلغ..."³⁹⁵، و هذا النظم إنما مداره البلاغة التي استقصى الخطابي مناقبها على وجوه القرآن، "و إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، و معنى به قائم، و رباط لهما ناظم، و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، و لا ترى نظماً أحسن تأليفاً و أشد تلاؤماً و تشاكلاً من نظمه. و أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، و الترتي إلى أعلى درجات الفضل من نوعها و صفاتها"³⁹⁶، و من جهة أخرى فالباحث في الفكر و الفلسفة يقول بأن الإعجاز إنما هو في الأفكار العظيمة التي جاء بها .. وهكذا، و الشنقيطي يلج هذا الباب في الشواهد التالية :

- في سياق قوله تعالى : ﴿الرَّكِتَابُ أَحْكَمُتِلْوَآتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَبِيرٍ﴾ [هود:1].

يقول الشنقيطي في ما ورد من الحروف المقطعة - و قد أوردنا هذا في سياق سابق -: "أما القولُ الَّذِي يُلْتَمَسُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ وَجَازَهُ فَهُوَ : أَنَّ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ ذُكِرَتْ فِي آوَائِلِ السُّورِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا أَنَا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَأَنَّ الْخُلُقَ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَاوَضَتِهِ بِمِثْلِهِ مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ الَّتِي حَاطَبُ وَتَمَّهَا ، وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَدِّ ، وَجَمَعَ مِنَ الْحَقِيقِينَ ، وَحَكَاهُ الْقُطَيْبِيُّ عَنِ الْقُرَاءِ ، وَقُطَيْبٍ ، وَنَصَبَهُ الزَّخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ .

³⁹³ محمد عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، مصر، دتظ، ص: 331 .

³⁹⁴ مشري بن خليفة - الشعرية العربية، وزارة الثقافة، درط، الجزائر، 2007، ص: 64 .

³⁹⁵ عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، درط، بيروت، 1981، ص: 63 .

³⁹⁶ الخطابي - بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، ط 02، مصر، 1968، ص: 27.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشُّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَمَاءُ وَالْعَجَّاسُ بْنُ تَيْمِيَّةَ، وَشَيْخُ الْحَلَفِ إِذْ ظُفِرَ الْمُحْتَمِلُ هَذَا وَ الْحَجَّاجُ الْمَرْيُ، وَحَكَاهُ لِي عَن ابْنِ تَيْمِيَّةَ .
 وَجِهَ شُهَادَةَ أَسْتَقْرَاءِ الْقُرْآنِ لِهَذَا الْقَوْلِ: أَنَّ السُّورَةَ الَّتِي أَفْتَتِ حَتَّى حُرِفَ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةَ يُذَكَّرُ فِيهَا دَائِمًا عَن حُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ لِأَنَّهَا صَارَتْ لِقُرْآنٍ وَبِهَا عَجَازُهُ، وَأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي لَا تَشْطِئُهُ³⁹⁷.

إن أول مظهر للإعجاز القرآني هو ذلك الذي يتعلق بالنبي الكريم في أول نزول للوحي "في غار حراء، و قال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، ثم لم يزل حتى قرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]. رجع بها و هو يرجف فؤاده، فدخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . وذلك أنه أتاه أمر لا قبل له به، و سمع مقالا لا عهد له بمثله، و كان رجلا من العرب، يعرف من كلامها ما تعرف، و ينكر منه ما تنكر، و كان هذا الروع الذي أخذه، بأبي هو و أمي، أول إحساس في تاريخ البشر، بمباينة هذا الذي سمع، للذي كان يسمع من كلام قومه، و للذي كان يعرف من كلام نفسه"³⁹⁸، و قد ذكرنا سابقا بأن الحروف المقطعة من مظاهر الإعجاز القرآني بدليل أنها فاتحة الباب للكثير من التأويلات و لم يعرف معناها القطعي لحد الآن.

- و في قوله تعالى: ﴿لَهُ هُوَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [البروج: 13].

يقول الشنقيطي: "قِيلَ: يَوْمَ الْخَلْقِ عِيْدُهُ، كَالزُّرْعِ النَّبَاتِ وَالْإِنْسَانِ بِالْحَوْلِ وَالْمَوْتِ، ثُمَّ بِالْبَيْتِ .

وقِيلَ: يَوْمَ الْكُفَّارِ بِالْعَدَاوَةِ عِيْدُهُ عَلَيْهِمْ... وَلَكِنَّ الَّذِي ظَهَرَ - وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ - هُوَ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ كُذِّرَ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَهَيَّأُوا لِلْخَلْقِ يَوْمَ عِيْدِهِ﴾ [يونس: 4]. وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ يَوْمَ عِيْدِهِ فَأَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ﴾ [يونس: 34].

وَحَدِيثُهُ عَلَى قَوْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى عَجْرٍ وَنَقْصِ الشُّرَكَاءِ فِي قَوْلِهِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ يَوْمَ عِيْدِهِ﴾ [يونس: 34]، وَدَلِيلًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ يَوْمَ عِيْدِهِ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ عِيْدِهِ وَعَمَّا لَمِينًا إِذَا كُنَّا عَمَلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]"³⁹⁹.

³⁹⁷ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج3، ص: 6.

³⁹⁸ مالك بن نبي - الظاهرة القرآنية (نص من تقديم محمود محمد شاكر)، ص: 27.

³⁹⁹ محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان ج9، ص: 68.

في هذا السياق يورد الشنقيطي دليلاً من القرآن يعجز فيه الله عز و جل سائر البشر بأن يعيدوا الخلق كما قد خلق أول مرة، و هذا أبلغ الإعجاز في مخاطبة الله لعباده و إعجازهم، إن ما تكلم عنه الشنقيطي من نماذج تؤيد الإعجاز، هي أبلغ في الإشارة إليه، و أوضح في بيان مظاهره، و هذا يدل على أن آلية التعجيز الخاصة بالخطاب القرآني دون سواه، و إنما ما يقع من البشر هو التخييل -بحسب حازم القرطاجني- و الإيهام في خطاباتهم الأدبية، و لقد بين لنا الإعجاز في الشواهد أعلاه أن القرآن معجز بلفظه و معناه في الزمان و المكان، و ليس لأن الله صرف الناس على أن يأتوا بمثله حسب ما يقول به النظام زعيم المعتزلة، و "مما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً وإنما يكون المنع معجزاً فلا يتضمن الكلام فضلاً على غيره في نفسه"⁴⁰⁰، و هكذا يكون الأمر، فالتعجيز هنا كان من الحروف المقطعة ثم أن الله هو الوحيد القادر على الخلق، و مظهر انقلاب سحرة فرعون عليه و إيمانهم بالنبي موسى ، و غيره كثير مما لم يسمح المجال لتناوله .

⁴⁰⁰ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - البرهان في علوم القرآن ج2، ص: 94 .

خاتمة

هذه حوصلة لما تم التوصل إليه من نتائج، لا ندعي فيها الكمال، و نستحضر في هذا المقام قول الثعالبي حين يقول: لا يكتب أحد كتابا فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة، فكيف في سنين معدودة؟ و قول العماد الأصبهاني: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً ما في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

و لكن مع هذا نعد هذا الذي بين أيدينا بحثاً حاول أن يتقصى الخبر، فإن أصاب فله أجران و إن لم يصب فله أجر واحد، و من خلال ما انطلقنا منه من معطيات و فرضيات في بداية البحث، و من خلال التصور النظري في الباب الأول، و من خلال ما تم تقصيه تطبيقياً في الباب الثاني يمكن أن نحصل على النتائج التالية:

- تناول الشنقيطي بيان معنى الآيات القرآنية، عن طريق استعماله آليات تتعلق بالجانب الصوتي، من مثل: الشدة من عدمها، و دلالة الإبدال، و الحذف و الإثبات لنون الرفع، و الإدغام، فاستعماله لآلية الصوت و آلية الصرف إثبات واضح، في أن تحليل الخطاب لا يستغني في الغالب الأعم عن ما يتصل بالآليات النصية اللغوية، لأنها قد تكون لبنة مهمة في تحديد المعنى الأولي، ثم لبنة للمقاربات الماوراء نصية ثانياً، أي تشكل قاعدة لها تنطلق منها، كما لم يغفل شرح و بيان بعض المداخل، ربطاً بما هو موجود في آيات لها نفس السياق، حتى يوضح ما أغفل من صلة اللفظة في سياقها القرآني .

- و قد استعمل ما يتصل بالتركيب من مثل: السياق الصوتي المركب، و السياق النحوي . و من المعروف أن السياق الصوتي المركب أكثر ما يتبدى في البنى الإيقاعية الوزنية و القوافي، الموجودة في الشعر، لاتسام جوانبه بالانتظام و الاطراد، و قد أوغل في إيراد الآليات و المفاهيم النحوية خلال تحليله، و هذا ما أكسب تحليله طابعا بنويًا .

- القضايا البلاغية في تفسير الشنقيطي كثيرة جداً، فقد أورد التشبيه في بعض أنواعه، و أورد الاستعارة، و الكناية، و بعض مناحي الالتفات، لأن هناك قضايا ينظر النحو إليها، بقيمة التقدير النحوي و قانون الرتبة مثل التقديم و التأخير، بينما تنظر البلاغة إليها بنظرة الغرضية، مثل غرض الاهتمام، فكان لزاماً على الشنقيطي أن يتناول القضايا البلاغية، و الشنقيطي لا ينفى المجاز كلية، و يسمى المجاز المثبت للحقائق ب: (الأسلوب من الأساليب العربية) .

- و نلاحظ أن التوجه الأسلوبي في هذا الإطار خدم المعنى كثيراً، ففي تكرار الحروف المقطعة دليل على بيان الإعجاز القرآني، و تكرار التركيب الإضافي و الجملي يهدف إلى التأكيد، و تكرار إيراد المثل لما للمثل من دور في إثبات المعاني في الذهن .

- كذلك نجد أن القراءات القرآنية مهمة جدا في كيفية تحديد المعاني بدقة، لأن القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة النص القرآني بها قصداً للتيسير، والتي جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية القديمة، و قد استعملها الشنقيطي باعتبارها آليات .

- و عندما نحاول أن نصنف سياقات القول في ماهو دلالي، فإننا نجد كما كبيرا من هذه السياقات، مندرجة في فحوى تفسير الشنقيطي، و يرجع هذا إلى التوجيهات القرآنية و التي تعرف بمعالها المعاني و المقاصد، عن طريق إجراء المفسر جملة من المفاهيم، تساعد في استقصاء المنشود من ثنايا الخطاب، من مثل الاشتراك و التضاد و المعرب ، و التقابل الدلالي بمفهوم الموافقة و بمفهوم المخالفة، و التضمن، و الاقتضاء، و الإحالة، و الإجمال، و الترجيح، و تخصيص العموم، و مراعاة التناسب .

- و قد استعمل آليات تتصل بالسياق الخارجي، و هذه الآليات كثيرة كثيرة لا تحصى على الصورة المتكاملة، لعلوقها بميادين متفرعة و متشعبة، فقد استعمل الشنقيطي آليات تتصل بالإستراتيجية التداولية، و منها الافتراضات المسبقة، و الأقوال المضمرة، و الأفعال الكلامية، و ما يتصل بالحجاج، و الاستشهاد بغير القرآن فضلا عن مقارنته القرآن بالقرآن، و استعمل ما يقع في دائرة علوم القرآن أو ما يمكن أن نسميه في بعض مناحيه بسياق الموقف، من مثل معرفة أسباب النزول و معرفة المكى و المدني، ثم ما يمكن أن يتوصل من مظاهر الإعجاز، باعتبار التعجيز آلية تختص بالخطاب القرآني دون غيره من الخطابات .

هذا باختصار ما حاول البحث أن يقوله عن طريق المقاربة و التسديد، فإن أصبنا فتوفيق من الله و إن أخطأنا فمن أنفسنا، والله نسأل أن يوفقنا إلى السداد ، ويلهمنا الخير والرشاد .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ.....
مدخل للموضوع : مدونة التفسير و الخطاب النقدي	01.....
- توطئة	02.....
- لماذا التفسير القرآني بالذات ؟	02.....
- دراسات التفسير	02.....
- التفسير و مبدأ الانسجام	03.....
- التفسير و الرؤية التداولية	06.....
- التفسير ما بين الجمالية و الفهم	07.....
- التحرية النصية لآليات التفسير و الشعر	08.....
- آية السياق و فاعليتها على التفسير	10.....
الباب الأول (في الدراسات القرآنية و مفاهيم الخطاب و السياق)	
الفصل الأول : الدراسات القرآنية ، مقارنة تصنيفية وصفية	14.....
- توطئة	15.....
- محاولة لتحديد مفهوم القرآن	15.....
- التفسير في اللغة و الاصطلاح	22.....
- الدراسات القرآنية	27.....
- خطاب التفسير	31.....
- التأصيل العلمي من خلال القرآن الكريم	36.....
- دراسات الإعجاز القرآني	37.....
- الدراسات الفكرية و التأملية	38.....

41.....ملاحظات في الدراسات القرآنية

43..... الفصل الثاني : مفاهيم الخطاب (الأصول، الحدود، الآليات)

44..... توطئة -

44..... مفهوم الخطاب -

50..... الخطاب و النص -

56..... تعدد الخطابات -

58..... العناصر النظرية للخطاب -

62..... الخطاب و تحليل الخطاب -

64..... بعض آليات تحليل الخطاب -

73..... الخطاب و آلية السياق -

الفصل الثالث : مفاهيم آلية السياق (المكونات و الأنواع و الوظائف) يليه تعريف بالشنقيطي.

78..... توطئة -

78..... مفهوم السياق -

84..... مكونات السياق -

87..... السياق و المناسبة -

89..... السياق اللغوي و غير اللغوي -

90..... أنواع السياقات -

94..... دور السياق و وظائفه -

97..... آليات سياق التفسير -

100..... الإمام الشنقيطي، و كتابه أضواء البيان -

الباب الثاني : الآليات السياقية في أضواء البيان .

(تحديد المفاهيم النظرية)

- 108..... الفصل الأول : آليات السياق البنيوية و الأسلوبية .
- 109..... ● توطئة .
- 110..... ● آليات السياق البنيوية .
- 111..... 1-السياق الإفرادي .
- 111..... -السياق الصوتي المفرد .
- 114..... -السياق الصرفي .
- 116..... -السياق المعجمي .
- 119..... 2-السياق التركيبي .
- 120..... -السياق الصوتي المركب .
- 122..... -السياق النحوي .
- 126..... ● السياق البلاغي .
- 131..... ● السياق الأسلوبي .
- 135..... - سياق القراءات القرآنية .
- 139..... الفصل الثاني : آليات السياق الدلالية .
- 140..... ● توطئة .
- 140..... ● آليات السياق الدلالية .
- 142..... - سياق الاشتراك .
- 145..... - سياق التضاد .
- 147..... - سياق المعرب .
- 148..... - سياق التقابل الدلالي .
- 153..... - سياق التضمن .

155.....	- سياق النزوم أو الاقتضاء
157.....	- السياق الإحالي
160.....	- سياق الإجمال و التفصيل
162.....	- تخصيص العموم
163.....	- سياق الترجيح
165.....	- سياق التناسب
168	الفصل الثالث : آليات السياق التداولية غير اللغوية
169.....	● توطئة
171.....	● آليات السياق التداولية غير اللغوية
172.....	- سياق الافتراض
175.....	- سياق الإضمار
176.....	- سياق الفعل الكلامي
180.....	- سياق الحجاج
183.....	- سياق الاستشهاد بغير القرآن
187.....	● معرفة علوم القرآن (سياق الموقف)
187.....	- أسباب النزول
189.....	- معرفة المكّي و المدني
192.....	- السياق المذهبي
193.....	- سياق الإعجاز
197.....	خاتمة البحث
200.....	قائمة المصادر و المراجع
210.....	فهرس الموضوعات

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

1- القرآن الكريم .

2- محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الحديث، درط، القاهرة، 2006.

المراجع العربية:

1- آدم متز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبوريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008 .

2- إبراهيم شعيب - ثنائية النبوة و الملك في قصة سيدنا سليمان، مطبعة بن سالم ، ط 1 ، الأغواط، 2009 .

3- أحمد حساني - المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1993.

4- أحمد سلامة أبو الفتوح - عقود المرجان، دار الكيان ، ط 01 ، الرياض ، 2005 .

5- أحمد شامية - في اللغة ، دار البلاغ للنشر و التوزيع ، ط 01 ، الجزائر ، 2002 .

6- أحمد عرابي - أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2010 .

7- أحمد عزوز - أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط ، دمشق، 2002 .

8- أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ، ط 02 ، لبنان ، 1998 .

9- أحمد المتوكل - الخطاب و خصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط 01، المغرب، 2010.

10- أحمد مختار عمر - علم الدلالة، عالم الكتب، ط 06، القاهرة، 2006 .

11- أحمد بن محمد بن علي الفيومي - المصباح المنير، تح : يحيى مراد ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، مصر ، 2008 .

12- أحمد مومن - اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 03 ، الجزائر ، 2007 .

13- أحمد الوديني - أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ و المعنى في خطاب التفسير، دار الكتب الوطنية، ط 1، ليبيا، 2005 .

- 14- أحمد يوسف - سيميائيات التواصل و فعالية الحوار، مختبر السيميائيات و تحليل الخطاب، ط 01، وهران، 2004 .
- 15- الأخضر جمعي - قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، موفم، درط، الجزائر، 2002 .
- 16- إسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2009 .
- 17- أمبرتو إيكو- القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط 01، المغرب، 1996 .
- 18- إميل بديع يعقوب- معجم الإعراب و الإملاء، دار اشرفية، ط 02، دمط، دتط .
- 19- بدر الدين الزركشي- البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، سوريا، 1957 .
- البرهان في علوم القرآن، تح:مصطفى عبدالقادر، دار الفكر،درط،بيروت،1988.
- 20- أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه- الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب،درط، مصر، 1975 .
- 21- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي- الكليات ، مؤسسة الرسالة، درط ، لبنان ، 1998 .
- 22- بكاي أختاري - تحليل الخطاب الشعري ، وزارة الثقافة ، ط 01 ، الجزائر ، 2007 .
- 23- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي- السنن الكبرى ج10، دار الفكر، ط 02، بيروت ، 1411 هـ .
- 24- أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي- أصول السرخسي، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 1993 .
- 25- تمام حسان- البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط 02، القاهرة، 2000 .
- اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، درط، المغرب، 2001 .
- 26- توفيق محمد شاهين - علم اللغة العام ، مكتبة وهبة ، ط 01 ، القاهرة ، 1980 .
- 27- جاسم محمد عبد العبود - مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، ط 01، لبنان، 2007 .
- 28- ج.ب براون و ج يول - تحليل الخطاب، تر : محمد لطفي الزليطني و منير التريكي ، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997 .
- 29- جمال الدين ابن هشام الأنصاري- مغني اللبيب، دار الفكر، ط 05، بيروت، 1979 .
- 30- جون ستروك -البنوية و ما بعدها، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996 .

- 31- الجليلي دلاش - مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر : محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1992 .
- 32- أبو حامد الغزالي- المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، درط، بيروت، 1996 .
- 33- حازم القرطاجني- منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، درط ، بيروت، 1986.
- 34- حبيب مونسي- القراءة و الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط، سوريا، 2000 .
- 35- حسن عبد الرحمان سلوادي - عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب ، درط ، الجزائر، 1984 .
- 36- أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري- أسباب نزول الآيات، مؤسسة الحلبي وشركاه، درط، القاهرة، 1968 .
- 37- حسين خمري - نظرية النص ، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر ، 2007 .
- 38- خالد إسماعيل حسان- في المعنى النحوي و المعنى الدلالي، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2009 .
- 39- الخطابي- بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، ط 02، مصر، 1968 .
- 40- خلود العموش - الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث ، ط 01 ، الأردن ، 2008 .
- 41- الخليل بن أحمد الفراهيدي - كتاب العين، مؤسسة دار الهجرة، ط 02، إيران، 1409 هـ .
- 42- رابع بوحوش - الأسلوبيات و تحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، درط، عنابة، 2006 .
- 43- ردة الله بن ردة الطلحي- دلالة السياق، جامعة أم القرى ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1423 هـ .
- 44- روبرت دي بوجراند - النص و الخطاب و الإجراء (مقدمة المترجم : تمام حسان)، عالم الكتب ، ط 02 ، القاهرة ، 2007 .
- 45- سامي مكّي العاني- الإسلام و الشعر، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996 .
- 46- ستيفن أولمان- دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، 1975 .
- 47- سعد الدين التفتازاني- مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح للقرظيني، تح: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، ط 01، بيروت، 2003 .
- 48- سعيد حسن بجيري - علم لغة النص ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، القاهرة ، 2004 .
- 49- سعيد يقطين - تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط 04 ، المغرب ، 2005 .

- 50-شكري المبخوت- الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، و كلية الآداب منوبة، ط 01، تونس، 2006 .
- 51- شهاب الدين أحمد الأبيشي - المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة محمود توفيق، درط، مصر، 1933 .
- 52- صابر الحباشة - التداولية و الحجاج، صفحات للدراسات و النشر، ط1، سورية، 2008 .
- 53- صاحب بن عباد - المحيط في اللغة ، مطبعة المعارف ، ط01، بغداد ، 1975 .
- 54- صلاح الدين زرال - الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر، 2008 .
- 55-صلاح الدين الزعلابي- مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للنشر و التوزيع، ط 01، دمشق، 1984 .
- 56-صلاح فضل- بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1992 .
- 57- طالب سيد هاشم الطبطبائي- نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، درط ، الكويت، 1994 .
- 58- عادل نويهض - معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2، لبنان ، 1983 .
- 59- عباس محمود العقاد - التفكير فريضة إسلامية ، مكتبة رحاب ، درط ، الجزائر ، دتط .
- 60-عبد الجليل مرتاض- في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 02، الجزائر، 2007 .
- 61-عبد الجليل منقور - النص و التأويل، ديون المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 2010 .
- علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط، دمشق، 2001 .
- 62- عبد الرؤوف المناوي - التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، ط1 ، دمط ، 1990 .
- 63-عبد الرحمن جلال الدين السيوطي- الأشباه و النظائر في النحو، دائرة المعارف العثمانية، ط 02، حيدر آباد، 1360 هـ .
- 64- عبد الرحمان الحاج صالح - بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم، درط، الجزائر، 2007 .
- 65-عبد العزيز عتيق- علم البيان، دار النهضة العربية، درط، بيروت، 1985 .
- 66- عبد الفتاح محمود المثني - نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر ، ط 01 ، الأردن ، 2007 .
- 67- عبد القادر شرشار - تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الأديب ، درط ، وهران ، 2006 .

- 68- عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 2003 .
- دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، درط، بيروت، 1981 .
- 69- عبد الكريم الخطيب- القرآن نظمه و جمعه و ترتيبه، دار الفكر العربي ، درط ، القاهرة، 1972 .
- 70- عبد الله صولة - الحجاج في القرآن ، دار الفارابي ، ط 1 ، لبنان ، 2001 .
- 71- عبد الله العشي- زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة و النشر، درط، الجزائر، 2005 .
- 72- أبو عبد الله محمد القرطبي- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط 02، بيروت، 1985 .
- 73- عبد الهادي بن ظافر الشهري- إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 01 ، لبنان ، 2004 .
- 74- أبو علي الحسن بن رشيق- العمدة في محاسن الشعر، دار الطلائع، ط 01، القاهرة، 2006 .
- 75- علي بن محمد الأمدي- الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة النور، ط 02، الرياض، 1402 هـ
- 76- عمر بلخير- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر، 2003 .
- 77- العمري بن رابع بلاعة القلعي- الألفية في الدراسات المعجمية، دار الوعي، درط، الجزائر، 2005 .
- 78- العياشي أدراوي- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، ط 01، الرباط، 2011 .
- 79- أبو الفداء إسماعيل بن كثير- تفسير القرآن العظيم ج4، دار طيبة، ط 02، الرياض، 1999 .
- 80- فرحات عياش- الاشتقاق و دوره في نمو اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1995 .
- 81- فرحان بدري الحربي- الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 01 ، لبنان ، 200 .
- 82- أبو الفضل عياض اليحصبي- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، درط، بيروت، 1988 .
- 83- فلوريان كولماس- اللغة و الاقتصاد، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، درط، الكويت، 2000 .

- 84- ابن قيم الجوزية- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1968 .
- بدائع الفوائد ، المكتبة العصرية ، ط 01 ، لبنان ، 2008 .
- 85- ابن اللحام علاء الدين البعلبي- القواعد والفوائد الأصولية، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 1999 .
- 86- مالك بن نبي - الظاهرة القرآنية، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، ط9 ، دمشق، 2009 .
- 87- مبارك حنون- في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010 .
- في السيميائيات العربية ، سليكي إخوان ، ط 01 ، المغرب ، 2001 .
- 88- متولي الشعراوي - معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ، القاهرة ، 1978 .
- 89- مجد الدين بن محمد الفيروزآبادي- القاموس المحيط، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2008 .
- 90- محمد إبراهيم عبادة- الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، مكتبة الآداب، درط، القاهرة، 2002.
- 91- محمد إسماعيل إبراهيم - القرآن و إعجازه العلمي ، دار الفكر العربي ، درط ، بيروت، دتط .
- 92- محمد بازي - التأويلية العربية ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010 .
- 93- محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 01، بيروت، 2000 .
- 94- أبو محمد الحسين البغوي- معالم التنزيل، دار طيبة، ط 04، الرياض، 1997 .
- 95- محمد خطابي - لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 ، المغرب، 2006 .
- 96- محمد خليفة - النظرية النقدية العربية، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 2005 .
- 97- محمد رمضان الجربي- ابن قتيبة و مقاييسه البلاغية و الأدبية و النقدية، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2010 .
- 98- محمد زغلول سلام- تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، درط، مصر، دتر .
- 99- محمد سعيد إسبر و بلال جنيدي- الشامل في علوم اللغة العربية، دار العودة، درط، بيروت، 2004 .
- 100- محمد الشاوش - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، كلية الآداب منوبة ، ط 01 ، تونس، 2001 .
- 101- محمد الشريف الجرجاني - كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، درط ، لبنان، 1985 .
- 102- محمد طاهر الكردي- تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح، ط 01، جدة، 1946 .

- 103- محمد عابد الجابري - تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، ط 01 ، بيروت، 1985 .
- 104- محمد عبد الباسط عيد - النص و الخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب ، ط 1 ، القاهرة ، 2009 .
- 105- محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، مصر، دتط.
- 106- محمد عبد المطلب- البلاغة و الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 01، القاهرة، 1994 .
- 107- محمد علي التهانوي - كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، لبنان ، 1996 .
- 108- محمد العمري - البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، أفريقيا الشرق، درط، المغرب، 2005 .
- 109- محمد قلنجي - معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط 02، بيروت، 1988 .
- 110- محمد مفتاح - دينامية النص (تنظير و إنجاز) ، المركز الثقافي العربي ، ط 03 ، المغرب ، 2006 .
- 111- محمد بن يوسف الصالحى- سبل الهدى و الرشاد، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1993 .
- 112- محمود جاب الرب - علم اللغة نشأتها و تطورها ، دار المعارف ، ط 01 ، القاهرة ، 1985 .
- 113- محمود طلحة- تداولية الخطاب السردى، عالم الكتب الحديث، ط 01، الأردن، 2011 .
- 114- مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط 01 ، بيروت ، 2005 .
- 115- مشري بن خليفة- الشعرية العربية، وزارة الثقافة، درط، الجزائر، 2007 .
- 116- مصطفى الجوزو- نظريات الشعر عند العرب ج1، دار الطليعة، ط 02، بيروت، 1988 .
- 117- مصطفى حركات- نظرية الوزن، دار الآفاق، درط، الجزائر، 2005 .
- 118- مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2004 .
- 119- مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط 39، بيروت، 2001 .
- 120- منصور كافي - مناهج المفسرين في العصر الحديث، دار العلوم للنشر ، درط ، الجزائر ، 2006 .

- 121-ميخائيل باختين- الخطاب الروائي، ت: محمد برادة، دار الفكر للدراسات و النشر، ط 01، القاهرة، 1998 .
- 122- ابن منظور الإفريقي- لسان العرب ، دار المعارف ، د ر ط ، القاهرة ، 1981 .
- 123- الميلود عثمانى 1- شعرية تودوروف، عيون المقالات ، ط 01 ، الدار البيضاء ، 1990 .
- 2- الشعرية التوليدية، شركة النشر و التوزيع المدارس، ط 01، المغرب، 2000 .
- 124-نصر حامد أبو زيد1- الاتجاه العقلي في التفسير، المركز الثقافي العربي، ط 06، المغرب، 2007 .
- 2- إشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 08، المغرب، 2008 .
- 125-نعوم شومسكي- البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، منشورات عيون، ط 02، المغرب، 1987 .
- 126- نور الدين السد - الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج 1، دار هومه، ط 01، الجزائر، 1997 .
- 127- أبو هلال العسكري- الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 01، إيران، 1412 هـ .
- 128-وتيكى كميلا- بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة مقارنة تداولية، دار قرطبة، ط 01، الجزائر، 2004 .
- 129- أبو يعرب المرزوقي- النخب العربية و عطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية، الدار المتوسطة للنشر، ط 01 ، تونس ، 2007 .
- 130-أبو يعقوب يوسف السكاكي- مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط 02، بيروت، 1987 .
- 131- يوسف نور عوض - علم النص و نظرية الترجمة، دار الثقة للنشر و التوزيع ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1410 هـ
- 132- يونس علي محمد محمد - مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، دار الكتاب الجديد ، ط 01 ، ليبيا ، 2004 .

المراجع الأجنبية :

1-Catherine Kerbrat Orecchioni- L'implicite, Armand Colin, Paris, 1986.

- Les interactions verbales, T1,

Armand Colin, éd 3, Paris, 1990.

2-Dominique Maingueneau- Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990 .

3-Emile Benveniste- Problèmes de linguistique générale,T1,Edi Gallimard, Paris, 1966 .

- 4- Ferdinand De saussure – Cours de linguistique generale, ENAG, 3eme edit, alger, 2004 .
- 5-Georges Elia Sarfati – Précis De Pragmatique, Nathan , 02, France, 2002.
- 6- Georges Elia SARFATI – élément D'analyse Du Discours, Nathan VUEF, SNE , paris , 2001 .
- 7-Jacques Moeschler- Argumentation et conversation, Hatier-Grédif, Genève, 1985, P: 53 .
- 8-J.Austin- Quand dire c'est faire, trad: Gives-Lane, éd du Seuil, Paris, 1970.
- 9-J.M.Adam- linguistique textuelle des genres de discours aux textes,Nathan, 1éd, Paris,1999 .
- 10- John r.searle - Les actes de langage, hermann,éd 01, France, 1972.
- 11-J.Searle- Sens et expression, trad: Joëlle Proust, Minuit, Paris, 1982 .
- 12-Julia Kristeva- La Révolution du Langage Poétique, Edition du Seuil, 1974 .
- Sémiotiké recherches pour sémanalyse, A.J. Picard, 1981.
- Oswald Ducrot- Dire et ne pas dire, Hermann,éd 01, Paris, 1972
- 13.
- 14-P.Charaudeau et d.maingueneau- Dictionnaire d'analyse du discours,Seuil,1 éd,paris,2002.
- 15- Traverso Véronique – L'analyse Des Conversations , Nathan Sejer, SNE , paris , 2004

البحوث الأكاديمية:

- 1- أحمد لافي فلاح المطيري- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007 .
- 2- تهاني بنت سالم بن أحمد- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2007 .
- 3- خديجة محمد أحمد البناني- الالتفات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1413-1414 هـ .
- 4- سعد بن مقبل العنزي- دلالة السياق عند الأصوليين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1427-1428 هـ .
- 5- سليمان بن علي- التفسير النحوي للقرآن الكريم عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2007-2008 .

6- مهى محمود إبراهيم العتوم- تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004 .

7-Ahmed Moutaouakil- Réflexions sur la théorie de le signification, Thèse, Faculté des lettres, rabat, 1982 .

المجلات و الدوريات:

- 1- الأثر مجلة جامعية محكمة- نحو مقارنة في وصف دلالة النص، د.لبوخ بوجملين، عدد 08، جامعة ورقلة، 2009 .
- 2- الباحث- النحو و صلته بالإعجاز القرآني، سليمان بن علي، عدد 01، جامعة الأغواط، 2009 .
- 3- الخطاب- التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، حمو الحاج ذهبية، عدد 04، جامعة تيزي وزو، 2009 .
- 4- دراسات أدبية- العدول الصوتي و تناسب آي الذكر الحكيم، عبد الخالق رشيد، عدد 02، الجزائر، 2008 .
- 5- اللغة العربية- النسق القرآني في ضوء نظرية التلقي، فاذية تيفرشة، عدد 06، المجلس الأعلى للغة العربية، 2011 .
- 6- الممارسات اللغوية- تحليل الخطاب و التداولية، شنان قويدر، عدد 02، جامعة تيزي وزو، 2011 .
- 7- مجلة الآداب و اللغات- تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مسعود صحراوي- عدد 07- جامعة الأغواط-2011 .
- الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي- عدد 6- جامعة الأغواط-2007 .
- 8- مجلة التراث العربي- عودة إلى موسيقى القرآن، نعيم اليافي، عدد 25 و 26، سوريا، 1986 و 1987 .
- 9- مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية- الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض . هند عكرمة، عدد 1، سوريا، 2006 .

المواقع الإلكترونية:

- 1- عبد الرحمان الحاج- القرآن .. من تفسير النص إلى تحليل الخطاب،
<http://www.islamonline.net/servlet/Satellite>
- 2- عبد الرحمان الحاج- ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وآيديولوجيا الحداثة،
<http://www.altasamoh.net/Article.asp>

- 3- عبد اللطيف أبو هاشم زكي - قراءة في كتاب العالمية الإسلامية الثانية،
<http://pulpit.alwatanvoice.com/content-41208.html>
- 4- مسعود صحراوي - كيف يفهم صاحب العالمية الثانية لغة القرآن،
<http://www.almultaka.net/showmaqal>
- 5- ریحانة الیندوزی - صلة أسباب النزول بعناصر السياق ودورها في الفهم والتطبيق، منتدى
الإيوان www.iwan7.com

ملخص باللغة الأجنبية:

Abstract :

The mechanisms of discourse analyses in Adhwa'a-albayan exegesis, of Shanqeeti

Determination of theoretical notions

What we have here is one of discourse analysis subjects, it doesn't concern the discourse on the whole, but a special type of it, exegesis discourse, given the scientificity that paint its connotative aspect, the fact it is another reading of holy Quran, the multiplicity of readers and considering that its meaning are derived from a linguistic coherent set, which is the Quran, extensive in time and place . Unlike the sayings about the Quran, which are sum, just one of many reading classes . (Ulemas) and theologians (Fouqahaa) are unanimous that this text Quran is fit for every time and every place, it's an endless source of meanings and aims .

Many researchers and Ulimas attempted to translate its meanings but their essays couldn't reach its bottoms, what it holds and hides for those who seek; search and probe; meditation . from this angle, introspective studies were many, trying to get along with rame of it; reading identifying its power; exegeses vulgarizing it to understanding; saying were profuse about it; the most important was the exegesis since it was the effective way seeking one of its endless meaning .

From this standpoint, we dealt with Adhwa'a-albayan exegesis of Shanqeeti by analysis and exploring, looking for (seeking, thereby) the mechanisms used by him to clear the aimed meaning, in order to determine, hereafter the global theoretical concepts from this application "corpus" which is the exegesis .

Many reasons motivated us to choose this subject since every (subject) has its root reasons, and if it doesn't stem due to reasons, it is then out of human needs, the ours were among others :

- The explanation discourse is among the subjects that from a fertile corpus lacking research that focuses on its mechanisms and procedures, and works which dealt with this aspect, were in terms of theology and jurisprudence (Fiqh) .

- Linguistic scan alone, as mechanisms became not enough to clear up meanings and aims in the Quranic discourse by the exegesis discourse there is a desperate need to newly (renovated) concepts from contemporary methods and strategies, either occidental; with adaptable input with Islamic Arab patrimony, or original extracted from our own legacy .
- The delimitation of the theoretical concepts through exegesis discourse can provide the searcher with special theoretical concepts that he may need later in discourse analyzing .
- We also want to uncover scientific traditions of interpretation, because it is a lesson scientifically, through a sample Adhwa'a-albayan exegesis .

The subject issues problematic are an endless sequence of questions, and probably among the most important we can mention the following :

- *" What are the theoretical mechanisms Shanqeeti had used in his exegesis Adhwa'a-albayan?"*

To answer this question, we should before answer these questions :

- *"What is a discourse ? Is there one definition of discourse?"*
- *"What is an explanation ? Does it follow discourse in terms of multiplicity ? what is relation between the two?"*
- *"What is the structure of explanation discourse? What is its inner context? Which linguistic process arrangements must be used to analyze it?"*
- *"What are the mechanisms of discourse analysis and what are the external context processes? Where are the coherence and cohesion areas?"*

These are problematic and theoretical questions, when answered them in order we got a plan that may be the following :

- A- stylistic and structural context mechanisms. We assessed the following details :
 - Simplifying context : simple phonetic context – morphological context – lexical context .
 - Composing context : composed phonetic context – grammatical context – rhetoric and stylistic context and Quran reciting ways (quiraàt) .
- B- Semantic context mechanisms : its includes : a polysemies, the context of the contrast, context of juxtaposition semantic, context of inclusion, referral context, overall in the context of the Quran, the context of the weighting, the allocation Commons in the Quran, the context of proportionality.
- C- The mechanisms of pragmatic : We assessed the following details : the presupposing, the implicits, verbal acts, the context of arguments, and there are mechanisms related to Quran sciences like : context of causes of downcoming (revelation), context of Mecca and Medina sourats, and the context of the Quranic miracles, context of out Quran examples, context doctrines .

The research brought us a mean result that consists of remarques we reached without pretending them to be perfect, albeit we consider it as research that sought the best, if it got the target it will be recompensed .

Through the data and the hypotheses which were our standpoint in the beginning of this research, and through the theoretical imagination in the first chapter, and through what we analyzed in the second one we had the following results :

- Shanqeeti dealt with Quranic verses meaning by using phonetic mechanisms like : stress, changing omission affirming, liaison by proceeding to this, he made it clear the discourse analysis can never be sought without textual linguistic mechanisms since it is an important piece in determining the first meaning, and then a step to ultra textual approaches. It is a basis.
- He used what is of composing :composed phonetic context, grammatical context, it is known that phonetic context appears clear the most in the rhythmic structures of poetry since its aspects are systematic and sequenced he detailed in presenting the mechanisms and grammatical concepts in his analysis, thing that made it structural.
- Rhetoric issues are profuse. He mentioned comparison with its kinds, metaphor, and some of the rhetorical aspects of (Iltifat), because grammar may assess some issues in terms of grammatical function following the class rule as exchange between sentence units, but unlike that rhetoric deal with it in terms of its aim as importance, there for Shanqeeti ought to deal with this issues. He doesn't deny figuration completely and calls the figuration that affirms variety (real meanings) an Arabic style. It is remarquable that the stylistic orientation served the meaning well. Repetition of articulated letters is a proof of Quran inimitability that of phrasal additive composition aims at confirmation, and that of example citing, since it among the functional procedures to bring meanings closer.

Quran different reciting (quiraàt) are very important in meaning exact delimitation. These are the ways, the messenger of Allah (peace be upon him) approved, intending by this variety in reading, ease and facility. Recitations stem from old Arabic accents and pitches, he used these quiraàt as an approved readings of it .

- When we try to classify speech contexts in what is semantic ,we will find lot of them lying beneath interpretation content. This is due to Quranic orientations which are guiding signs to meaning and aims, through formulating a set of concepts, that may help in reading among the lines of discourse and extracting it. And among lot we cite :antinomy, inflection, semantic chiasmus, inclusion, implication, reference synopsis (synopticity), weighting, specification, congeries.
- He used external context mechanisms, presupposing, dissimulated aims, speech acts, dialectics, out Quran examples, Quran by Quran approaching .

He used, then, in what is known in the circle of Quran studies "situation context" : causes of downcoming (revelation), Mecca and Medina sourats, what way the tenant context being in, and what aims we can reach through Quran inimitability; intrinsic to it, absolutely alone .

This is, in short, what our research aimed at, through approaching and targeting, If we got that aim, it's Allah backed guidance, if we missed it, then it's due to lack in human .